العراق الشمالي

دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية

تأليف

الدكتور شاكر خصباك

ساعدت جامعة بغداد في نشره

مطبعة شفيق ـ ١٩٧٣

العراق الشمالي

دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية

تأليف

الدكتور شاكر خصباك

ساعدت جامعة بغداد في نشره

مطبعة شفيق – ١٩٧٣

مقدمة

لابد لنا قبل البدء بدراسة « العراق الشمالي » ان نحدد جغرافيا المواضع المشمولة من العراق بهذا المصطلح • ولقد اختير هذا المصطلح ـ وهو قليل التداول في الكتابات الجغرافية عن العراق ـ للدلالة على الالوية (المحافظات) التي تشغل الجزء الشمالي من البلاد • فهو اذن يماثل المصطلح الاكثر شيوعا وهو « المنطقة الشمالية » والذي يعتبر بديلا عنه في هذا الكتاب نظرا لان اغلب الاحصاءات الرسمية تفضل استخدامه • ومن المألوف ان يقسم العراق في الابحاث والنشرات الرسمية الى ثلاث مناطق ، وهي « المنطقة الشمالية » وتشمل محافظات نينوى (الموصل) ودهوك واربيل والسليمانية وكركوك ، و « المنطقة الوسطى » وتشمل محافظات بغداد وديالى والانبار (الرمادي أو الدليم) وبابل (الحلة) وكربلاء والكوت (واسط) ، و « المنطقة الجنوبية » وتشمل محافظات القادسية (الديوانية) وذي قار (الناصرية أو المنتفك) وميسان (العمارة) والبصرة والمثنى (السماوة) • وهناك أجزاء ادارية أخرى للعراق تغطي المناطق الصحراوية في قسمه الغربي وهي البادية الشمالية والبادية الجنوبية وبادية الجزيرة • وبالرغم من ان هذا التقسيم لم يأخذ بنظر الاعتبار سوى الضرورات الادارية ، الا ان في استطاعة الباحث ان يتلمس أساسا جغرافيا له أيضا • فالمنطقة الشمالية التي تشتمل على المحافظات المذكورة تتصف بسمات طبيعية واقتصادية وبشرية تميزها عن المنطقتين الوسطى والجنوبية مما يجعل منها اقليما جغرافيا متميزا • فمن وجهة النظر الطوبوغرافية تصنف المنطقة الشمالية عموما ضمن الاراضي المرتفعة ، ويكاد خط الكونتور (٣٠٠ مترا) يمر من

حدودها الجنوبية ، بينما يمكن القول ان المعدل العام لارتفاع الارض في المنطقة الوسطى يبلغ حوالي (٣٠ مترا) ، ولا يكاد يتجاوز في المنطقة الجنوبية خمسة أمتار فقط فوق سطح البحر • وهكذا يمكن القول بأن المنطقـة الشمالية تمثل اقليم مرتفعات • كذلك تتميز المنطقة الشمالية عن المنطقتين الوسطى والجنوبية بمناخها ، فدرجات الحرارة عموما أعظم انخفاضا في الشتاء وأكثر اعتدالا في الصيف ، وتتساقط الثلوج في المنطقة الشمالية لعدة أسابيع ، وتتكلل هامات الجبال وسفوحها الوعرة بالثلوج لبضعة أشهر في فصلي الشتاء والربيع ، بينما تنعدم ظاهرة تساقط الثلج في المنطقتين الوسطى والجنوبية الا في حالات نادرة • ويجعلها معدل التساقط ضمن المناطق شبه الجافة ، بينما تصنف المنطقتان الوسطى والجنوبية ضمن المناطق الجافة • وبالرغم من تعرض أمطار العراق لذبذبة عالية مما يجعل من الصعب تعيين مواضع خطوط الامطار بثبات ، الا ان من المتفق عليه بأن خط المطر (٣٠٠ ملمترا) يمر من الحدود الجنوبية للمنطقة الشمالية ، وبذلك يمثل الحد الفاصل بين المنطقة الديمية (المطرية) وبين منطقة الري الصناعي • وبعبارة أوضح فان المنطقة الشمالية تقع ضمن خطي المطر ٣٠٠ ملمترا و ١٠٠٠ ملمترا • أما المنطقتان الوسطى والجنوبية فالغالبية العظمى من مساحتهما تقع ضمن خطي المطر ٢٠٠ ملمترا و ٥٠ ملمترا • (يمر خط المطر ١٠٠ ملمترا من بغداد في قلب المنطقة الوسطى ، كما يخترق نفس الخط المنطقة الجنوبية حيث يمر بجوار مدينة الديوانية وقصبة قلعة سكر • أما خط المطر ٥٠ ملمترا فيحاذي الحدود الجنوبية الغربية للمنطقة الجنوبية ويمر بالقرب من مدينة السماوة) •

ان هذا التميز المناخي للمنطقة الشمالية عن المنطقتين الوسطى والجنوبية ينعكس ايضا انعكاسا واضحا على الاوضاع الزراعية • فالمنطقة الشمالية تعتبر منطقة ديمية ، أي ان زراعتها تعتمد على الامطار ، بينما تعتمد المنطقتان الوسطى والجنوبية اعتمادا رئيسيا على الري الصناعي • وهذا يعني ان ازدهار المنطقتين الوسطى والجنوبية يتعلق الى حد كبير باقامة مشاريع الري الكبرى ، بينما تحتاج المنطقة الشمالية الى مشاريع ري صغرى أكثر من حاجتها الى مشاريع ري كبرى • والواقع ان مشاريع الري الكبرى المنجزة

في البـــلاد تخدم بدرجـــة رئيســـية المنطقتين الوسطى والجنوبيـــة ، بالرغم من ان معظمها قائم في المنطقـــة الشمالية ، كخـــزان دوكان وخزان دربندي خان ، وعدد آخر من الخزانات المزمع انشاؤها • ولقـــد انعكست آثار هذا التميز المناخي أيضا على نوعية الانتاج الزراعي في المنطقة الشمالية بمقارنتها بالمنطقتين الوسطى والجنوبية نوعا وكما • فقد بلغت المساحة المزروعة بالقمح من المنطقـــة الشمالية لعام ٦٨-١٩٦٩ حوالي ٩٨٢ر٧٢٥ر٥ دونما كما بلغت نسبة انتاجه ٨٦ر٦٨٪ ، بينما بلغت المساحة المزروعة بالقمح لنفس العام ٧٤٨ر١٩٩ر١ دونما للمنطقة الوسطى وبلـــغ انتاجها ١٤ر٢٢٪ ، وحوالي ١٩١ر٩٣٠ دونما في المنطقة الجنوبية وبلغت نسبة الانتاج ٩٪ • كذلك بلغت المساحة المزروعة شعيرا لعام ٦٨-١٩٦٩ في المنطقة الشمالية حوالي ٨٧٥ر٩٨٣ر١ دونما ، وبلغت نسبة انتـــاجه ١٨ر٤٧٪ ، بينما بلغت المساحة المزروعة بالشعير في المنطقة الوسطى لنفس العام ٨٤٢ر٩٥٠ر١ دونما وبلغت نسبة انتـــاجه حوالى ٣٨٪ ، وفي المنطقة الجنوبية ٣٢٠ر٩٣٧ دونما ونسبة انتاجه ٨٤ر١٤٪ • ومن المعلوم ان الحنطة والشعير يمثلان أهم الحاصلات الزراعية في العراق •

أما من وجهة النظر الإثنولوجية فان المنطقة الشمالية تكتسب شخصية تميزها عن المنطقتين الوسطى والجنوبية تميزا واضحا ، ذلك ان غالبيـــة سكانها أكرادا ، بينما يكاد يكون سكان المنطقتين الوسطى والجنوبية جميعهم عربا عدا مجموعات أثنولوجية ضئيلة • وتتركز الاقليات الاثنولوجيـــة الاخرى ، عدا العرب والاكراد ، في المنطقة الشمالية • وتتنوع المنطقـــة الشمالية تنوعا عظيما في تركيبها الديني • فبينما تبلغ نســـبة السكان المسلمين في المنطقة الشمالية ٢٥٪ من مجموعهم العام ، نجد أن نسبة السكان المسيحيين في المنطقة الشمالية تبلغ ٩ر٥٤٪ من مجموعهم العام ، كما تبلغ نسبة اليزيديين ٩ر٩٨٪ بالاضافة الى عدة آلاف من المعلي اللهية والشاباك والكاكائيين • والواقع ان المنطقة الشمالية تمثل متحفا اثنوغرافيا عظيما بقومياته وأديانه المختلفة وعاداته وتقاليده وممارساته اليومية المتباينة ، وهي ولا شك تتميز بهذا المفهـــوم تميزا واضحا عن المنطقتين الوســـطى والجنوبيـــة •

وهكذا يتبين لنا ان « المنطقة الشمالية » او « العراق الشمالي » هو مصطلح اداري وجغرافي في آن واحد ، وان هذا الجزء من البلاد يستحق ان يدرس كاقليم جغرافي متميز ٠

واخيرا لابد من قول كلمة بشأن قضاء خانقين ٠ فمن المعلوم انه يمثل امتدادا فزيولوجيا واثنولوجيا لاقليم العراق الشمالي ، وكان ينبغي ان يدرس ضمن الاقليم ٠ غير ان اقتصار الاحصاءات الرسمية عن « المنطقة الشمالية » على المحافظات الخمس المذكورة قد اضطرنا الى استثنائه من هذه الدراسة ٠

وختاما أود ان أقدم جزيل شكري الى الآنسة نسرين محمود حمزة الدلوي للجهود القيمة التي بذلتها في رسم خرائط الكتاب ، والى الموظفين والاداريين الذين امدوني بالاحصاءات والمعلومات الرسمية الضرورية ، والى جميع الزملاء الذين ساعدوا في اخراج هذا الكتاب ٠

بغداد ١٩٧٣

- ١ -

التكوين الجيولوجي

كان العراق في الزمن الاول جزءا من القـــارة العظيمـــة المسماة غوندوانا لاند Gondwana Land والتي كانت تشتمل – فيما تشتمل – على جزيرة العرب والعراق وايران وارمينيا وشمالي الهند والنصف الشمالي من القارة الافريقية وكذلك النصف الشمالي من قارة أمريكا الجنوبية • وكانت معظم أجزاء العراق تمثل حوضا تحف به من الغرب والجنوب هضبة جزيرة العرب المرتفعة • وقد أصبح هذا الحوض فيما بعد جزءا من بحـــر تتس Tethys الذي غمر أجزاء واسعة من منطقة الشرق الاوسط بما فيها أواسط ايران والعراق والبحر المتوسط الحالي وجـزءا من جنوبي أوربا وشمالي افريقيا • وكانت منطقة الجزيرة الشمالية تشغل الجرف القاري لهذا البحر بينما تحتل منطقة كردستان العراق المناطق العميقة منه • وقد نشأ هذا البحر في العصر الاخير (البرمي) Permian من الـزمن الاول حينما اجتاحت المياه مناطق واسعة من قارة غوندوانا لاند ولاسيما المناطق الشمالية والشرقية من جنوب غربي آسيا • وظلت المياه تغمر هـــذا الجزء الواســـع من قارة غوندوانا لاند طيلة عصور الزمن الثاني الثلاث ، الجوراسي Jurassic والترياســي Triassic والكريتاسي Cretaceous والعصر الاول من الزمن الثالث (الايوسين) Eaocene • وترسبت اثناء ذلك فوق قاعه طبقـــات عظيمة السمك من الصخور الكلسية وصخور الطفل التي كانت تجرفهـــا

السيول من المرتفعات الشمالية والشرقية المجاورة وتلقيها في البحر • وقد اشتملت ترسبات الكريتاسي والجوراسي في منطقة العراق الشمالي على الطفل وعلى حجر جيري قاتم اللون وحجر جبسي اوليتي وعلى بعض الطبقات الجبسية • واشتملت تكوينات العصر الكريتاسي الاسفل على كتل ضخمة من الحجر الجيري البرتقالي اللون مع حجر الدولومايت ، بينما اشتملت ترسبات العصر الكريتاسي الاعلى على حجر جيري أبيض وبرتقالي اللون شديد الصلابة[1] •

ثم أخذت مياه هذا البحر بالانحسار منذ أوائل عصر الاوليجوسين Oligocene نظرا لارتفاع الارض وتراكم الطبقات الرسوبية حتى تحول ذلك البحر العظيم الى بحر داخلي محدود يغمر العراق وجنوب غربي ايران • وقد ترسبت في هذا البحر أثناء عصر الميوسين Miocene التكوينات الكلسية اولا ، ثم أعقبتها تكوينات جبسية انهدرايتية ثم تكوينات ملحية • ويطلق على هذه التكوينات بمجموعها اسم تكوينات فارس الاسفل Lower Fars • وفي اواخر عصر الميوسين تكونت الترسبات التي يطلق عليها اسم تكوينات فارس الاعلى Upper Fars والتي تشتمل على صخور رملية وطينية وعلى صخور كلسية بحرية[2] •

ومنذ اواخر عصر الاوليجوسين وفي غضون عصر الميوسين باجمعه وحتى اوائل عصر البليوسين Pliocene حدثت حركة تكتونية عظيمة أعطت لهذه المنطقة شكلها النهائي وهي الحركة التي يطلق عليها اسم الحركة الالبية Alpine Movement نسبة الى جبال الالب والتي أدت الى ظهور سلاسل الجبال الالتوائية الحديثة • فلقد ضغطت هذه الحركة على الطبقات

1. Ralph, M. Parson Co., Report on ground water prospects of the Arbil Liwa, PP19 FF., 1955
2. Ibid.

اللينة التي تراكمت في بحر تثس ، ونظرا لوقوعها بين كتل ارضية صلبة هي كتلة هضبة جزيرة العرب وكتلة الهضبة الايرانية وكتلة آسيا الصغرى فقد ارتفعت على شكل التواءات محدبة تحصر بينها أودية عميقة • وتمثل تلك الالتواءات في منطقة الشرق الاوسط جبال طوروس وجبال زاگروس وجبال كردستان • وقد صاحب هذه الحركة أيضا انفجار البراكين وتدفق المواد البازلتية التي غمرت أجزاء واسعة في شمالي العراق وغربه ، وقد برزت آثار تلك الحركة في العراق على أشدها في طرفه الشمالي الشرقي نظرا لمجاورته لمركز الضغط في غربي ايران وشرقي تركيا فالتوت الطبقات التواءا شديدا وزحفت فوق بعضها بعضا كما حدثت بعض العيوب والانكسارات ، ويطلق على هذه المنطقة اسم منطقة الفوالق الزاحفة او المنطقة المعقدة الالتواء Nappe or Thrust Zone • وتمتد من كاني رش الى جبال هورمان وتتميز بصخورها النارية المتداخلة كصخور الجرانيت والصوان والشست وبجبالها الشاهقة الوعرة • غير ان تأثير هذه الحركة الارضية يتضاءل في الجهات المجاورة كلما انحدرنا نحو الجنوب الغربي ، ويكاد يقتصر هذا التأثير على التواءات بسيطة وغير عميقة ، ويطلق على هذه المنطقة المجاورة اسم المنطقة البسيطة الالتواء[1] Simple Folded Zone • ويعتقد بعض الباحثين أن الحد الفاصل بين هاتين المنطقتين هو الالتواء المقعر الذي يمثله سهل السندي ــ رانية ــ شهرزور[2] •

ولقد اختلف الجيولوجيون في اتجاه الحركة الارضية التي أدت الى خلق جبال كردستان العراق ، فالبعض يعتقد أنها آتية من الشمال نحو الجنوب، أي من المرتفعات الايرانية الى الرافدين والخليج العربي كما توضح ذلك .

1. Noble, A. H., Ground Water of Iraq, Baghdad 1921 P. 4.

٢ ــ غوردون هستد ــ الاسس الطبيعية لجغرافية العراق ، ترجمة الدكتور جاسم محمد الخلف ، بغداد ١٩٤٨ ، ص٩

المدرجات المتعاقبة للصخور الالتوائية ، بينما يعتقد آخرون ان تلك الحركة قد بدأت من الجنوب الى الشمال[1] .

ولقد أعقب تكون هذه الجبال حركة نحت شديدة قامت بها مجاري المياه المنحدرة من تلك الجبال خلال عصر البلايوسين Pliocene ، حيث ارسبت كميات هائلة من المواد المنحوتة في الاودية المجاورة ، وكانت تلك المنحوتات تشتمل بشكل رئيسي على حصا خشن وحصباء وصخور مكتلة وصخور رملية وصخور طموية وصخور طينية .وتتخذ تلك التكوينات في الغالب لونا أصفر أو أسمر ويطلق عليها اسم تكوينات بختياري العليا والسفلى Upper & Lower Bokhtiari . وقد تراكمت هذه المواد في الاودية المجاورة للجبال وفي الحوض العميق المتكون أمام الالتواءات .

وفي اواخر عصر البليوسين تعرضت التكوينات البختيارية الى حركة التوائية خفيفة نتج عنها ظهور منطقة التلال المتموجة[2] . وقد أعقب التواء طبقات البختياري فترة نحت طويلة جدا خلال عصر البلايوستوسين Pliostocene انكشفت اثناءها تكوينات فارس العليا وبعض تكوينات فارس السفلى على امتداد قمم بعض الالتواءات . كما مهدت التواءات واسعة في سهول رانية وشهرزور . ثم أعقبت تلك الفترة مرحلة من الترسيب العام فامتلأت الاودية الخلفية والسهول بالترسبات حتى فاضت ، وطمرت جبهات السلاسل الممسوحة بترسبات خشنة من الرسوبات الفيضية القديمة . وفي نهاية عصر البلايوستوسين حدث ارتفاع عام في المنطقة صاحبته التواءات قليلة زالت

1. Admirality Naval staff, Geology of Mesopotamia and its borderlands, London 1918, P. 30

2. Buringh, P., soil and soil condition in Iraq, Baghdad 1960, P. 37

خلالها كثير من ترسبات الاودية الخلفية[1] • وقد استعادت الانهار شبابهـا نتيجة لهذا الارتفاع واخذت تحفر أخاديد صغيرة في سهولها المروحية ، بينما قامت روافدها الجانبية بحفر قيعانها القديمة التي لاحت على شـكل مدرجات واضحة على كلتي جانبيها[2] • وكان هذا الارتفاع آخر طور من أطـــوار التطور الجيولوجي للمنطقة وان حدثت بين حين واخر هزة أرضية تذكرنا بأن بناء المنطقة ما يزال في طريقه الى الاستقرار •

ان أهمية البناء الجيولوجي للعراق الشمالي تكمن في اشتماله على عدد من التكوينات الصخرية ذات العلاقة الخاصة بالنشاط البشري • لذلك فمن الاهمية بمكان أن تتذكر بأن جزءا كبيرا من تلك التكوينات هي ذات صفـات كلسية • وتكتسب العلاقة بين التكوينات الكلسية ونظام المياه أهمية عظيمـة ، وخاصة في المناطق التي تعاني من قلة موارد المياه السطحية • وتبرز أهميـــة الصخور الكلسية في طبيعتها النفاذة ، فهي تمتص مياه الامطار ثم تعيدها الى السطح على شكل عيون وينابيع • لذلك فان وجود هذه الصخور يتحكم الى درجة كبيرة في أنماط وتوزيع السكنى البشرية[3] •

وهناك أهمية أخرى لنوع البناء الصخري في المنطقـــة تتعلق بارتباط المعادن بأنواع معينة من الصخور • فالصخور الكلسية مثلا غنية بمعـــادن متنوعة كالبترول والاملاح والجبس • وتستخرج مواد البناء وخاصة الرخام والاسمنت والكلس من هذه التكوينات الصخرية أيضا • وتكتسب الصخور

1. Dennis, P. Eldon, Investigation and development of ground water resources, F.A.O. Rome 1953

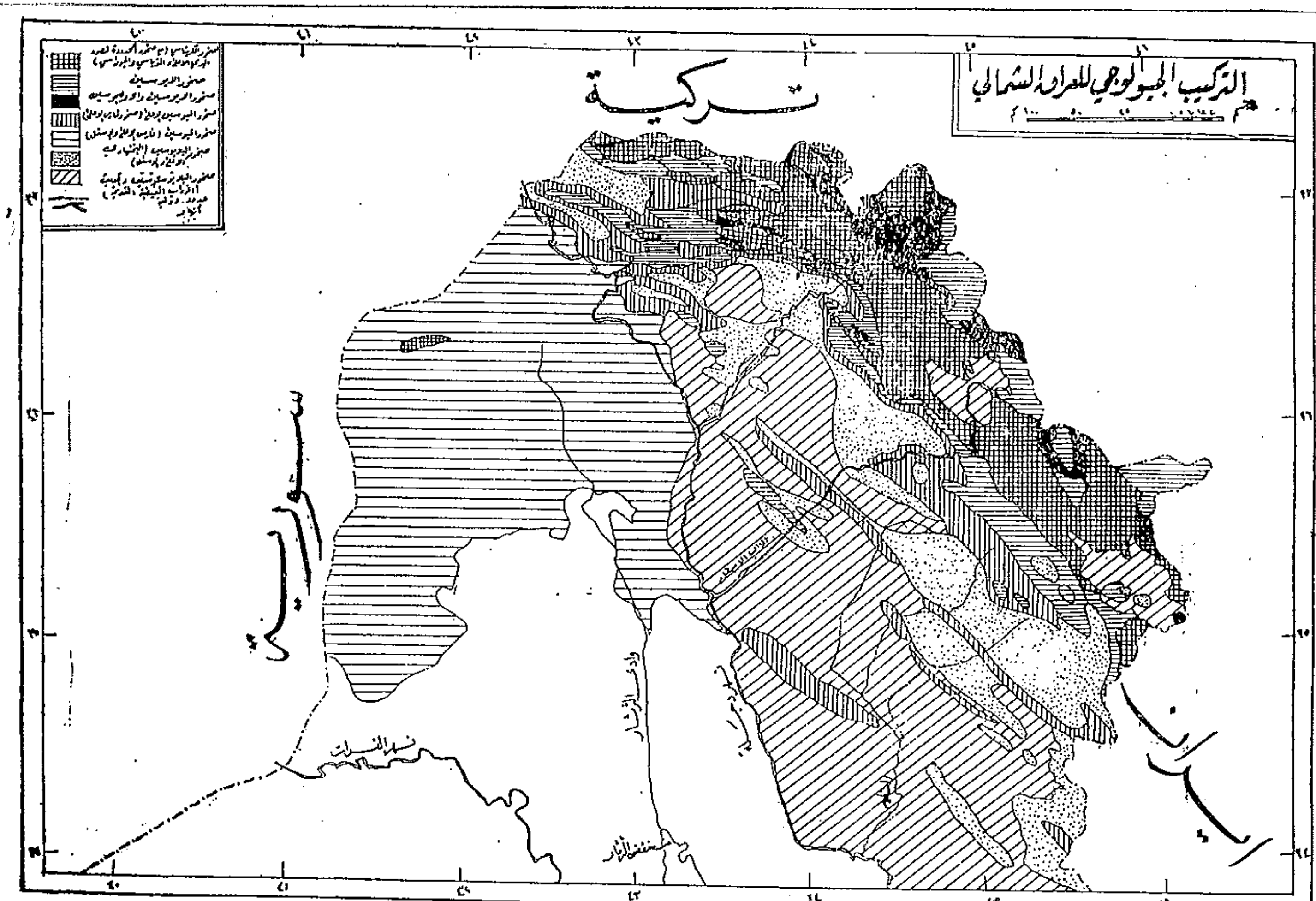
2. Naval Intelligence Division, Iraq and the Persian Gulf, 1927, P. 19

3. Fisher, W.B., The Middle East, London 1956, 3rd edt., P. 19.

النارية في المنطقة الجبلية المعقدة الالتواء أهمية كبيرة . وتبرز أهميتها في ارتباط الخامات المعدنية بالعروق النارية .

وتوضح الخارطة الجيولوجية للعراق الشمالي (أنظر شكل رقم ١٠) بأن المنطقة الجبلية المعقدة الالتواء ذات الصخور النارية تمتد امتداداً واسعاً على طول الحدود الشرقية والشمالية الشرقية . ففي محافظة السليمانية تمتد في الاطراف الشرقية والجنوبية الشرقية من قضاء حلبجة والاطراف الشرقية والشمالية الشرقية على نحو الخصوص من قضاء بنجوين ، بل تكاد تشمل القضاء بكليته ، كما تمتد في الاطراف الشرقية والشمالية الشرقية من قضاء رانية . وفي محافظة أربيل تحتل جزءا كبيرا من قضاء راوندوز ولاسيما الاطراف الشرقية والشمالية منه ، والاطراف الشمالية من قضاء الزيبار . كذلك تمتد في محافظة دهوك في الاطراف الشمالية القصوى من قضائي زاخو والعمادية . وتظهر التكوينات الايوسينية والتي يكون الكثير منها على شكل صخور متحولة ضمن المنطقة المعقدة الالتواء ولا سيما في مرتفعات بنجوين وكتلة جبال ماوت وجبال قنديل والكتل الجبلية العالية في ناحية بالك وخصوصا تلك التي تحاذي الحدود العراقية الايرانية . وتظهر التكوينات الايوسينية الكلسية أيضا في مواضع أخرى من العراق الشمالي ، فهي تحتل جهات واسعة من ناحيتي قرهداغ وبازيان ، كما تنتشر أيضا على نطاق واسع في قضاء دهوك ولاسيما في ناحية الدوسكي . وتظهر بدرجة محدودة في ناحيتي شقلاوة وحرير وفي أقصى الطرف الشمالي لناحيتي برواري بالا ونروه ريكان .

أما التكوينات القديمة الاخرى والتي تعود الى عصور البرمي والترياسي والجوراسي فلا تظهر الا في مواضع محدودة ، وأكثرها شيوعا هي التكوينات الجوراسية ذات الصخور الكلسية والطفلية . فهي تظهر في الطرف



شكل رقم ١ – الخارطة الجيولوجية للعراق الشمالي

الجنوبي الشرقي من قضاء حلبجة ، وعلى المرتفعات التي تمتد جنوبي نهر چم گوگسر ، وفي الطرف الشمالي الشرقي من ناحية سورداش ، وفي شمالي رانية • وتظهر التكوينات الجوراسية أيضا في جهات محدودة متفرقة من قضاء راوندوز ، ولكنها تنتشر بامتدادات واسعة في المرتفعات الواقعة شمالي عقرة ، وفي المرتفعات المحيطة بالعمادية ، وفي أقصى الطرف الشمالي من ناحية نروه ريكان ، كذلك تظهر بامتدادات محدودة في ناحية السندي بالقرب من الحدود التركية العراقية ، أما التكوينات البرمية فتظهر في مساحة محدودة في أقصى الطرف الشمالي لناحيتي الگلي والسندي •

وأما التكوينات الكريتاسية ذات الصخور الجيرية فتنتشر انتشارا واسعا في محافظة السليمانية وتكاد تغطي معظم جهاتها • كذلك تنتشر هذه التكوينات على نطاق واسع في محافظة أربيل ولا سيما في أقضية كويسنجق وراوندوز والزيبار • ولكنها لاتظهر في محافظات العراق الشمالي الاخرى الا بدرجة محدودة للغاية • وهي لاتكاد تظهر في محافظتي نينوى وكركوك •

وتظهر تكوينات فارس الأعلى من الصخور الرملية والكلسية في جهات واسعة من قضاء جمجمال في محافظة السليمانية ، ولا سيما في مرتفعات قره داغ وبرنان ، وعلى العموم فان تكوينات فارس الاعلى تكاد تتمثل في معظم سلاسل الجبال الشمالية والوسطى ، كسلاسل متينة والجبل الابيض وعقرة وهيبة سلطان وپرمام •

أما تكوينات فارس الاسفل من الصخور الجبسية والطينية والجيرية فتظهر على نطاق واسع جدا في محافظة نينوى وتكاد تغطي جميع جهات المحافظة مع بعض تكوينات فارس الاعلى ، ولكنها لاتكاد تتمثل خارج نطاق هذه المحافظة •

اما التكوينات البختيارية العائدة لعصر البلايوسين من الصخور المكتلة والرملية والغرينية والطينية والحصى فتظهر في مناطق محدودة جداً في محافظة السليمانية ولا سيما بجوار حلبجة وفي الاودية التي تنحصر بين سلاسل قره داغ وبرنان وفي هضبة جوارته • ولكنها تنتشر على نطاق واسع في محافظة كركوك ، فتكاد تغطي قضاء كفري برمته تقريبا وناحيتي قادر كرم وقره حسن • كما تغطي أيضا جزءا واسعا من قضاء كويسنجق في محافظة أربيل ولا سيما ناحية طقطق ، كذلك تظهر التكوينات البختيارية بصورة واسعة في ناحية السليفاني من قضاء زاخو ، كما تظهر بصورة متناثرة وبدرجة محدودة في مناطق أخرى من محافظات العراق الشمالي ولا سيما في محافظة أربيل •.

واخيرا فان تكوينات البليوستوسين والعصر الحديث من الرسوبات الفيضية القديمة الخشنة من الحصى والكونجلومرات ، ومن الرسوبات النهرية الحديثة من الحصى والرمل والغرين الناعم تغطي جهات واسعة من محافظات العراق الشمالي ، وبصورة خاصة الجهات السهلية • ففي محافظة السليمانية تغطي هذه التكوينات سهل شهرزور الواسع وسهل رانية وسهل بشدر ، وتغطي في محافظة كركوك سهل حمرين وهضبة كركوك وسهل الحويجة • أما في محافظة أربيل فتغطي سهل أربيل وسهل ديبگة وسهل كندناوه • وفي محافظة نينوى تغطي سهل الموصل وسهل بعشيقة وسهل تلكيف وسهل سيتك • ولا تكاد هذه التكوينات تمثل في محافظة دهوك الا في سهل السندي (سهل زاخو) وفي أودية أخرى محدودة جدا • ومن الجدير بالذكر أن الترسبات الفيضية القديمة تأتي الثانية في أهميتها بين التكوينات التي تحتوي على المياه في العراق بعد التكوينات الكلسية •.

- ٢ -

الوضع الطوبوغرافي

لقد توضح لنا أن التطور الجيولوجي للعراق الشمالي قد أدى الى خلق وحدتين طوبوغرافيتين متميزتين ، تتصف الاولى بكثرة التواءاتها وشدة ارتفاع تلك الالتواءات وتكتلها وتسمى بالمنطقة الجبلية ، وتتميز الثانية بقلة التواءاتها وانخفاضها وتفرقها وتسمى بالمنطقة الشبيهة بالجبلية أو منطقة الهضاب والتلول ، وسنحاول في الصفحات التالية أن ندرس المظاهر الجيومورفولوجية في كل من هاتين المنطقتين (أنظر شكل ٢) .

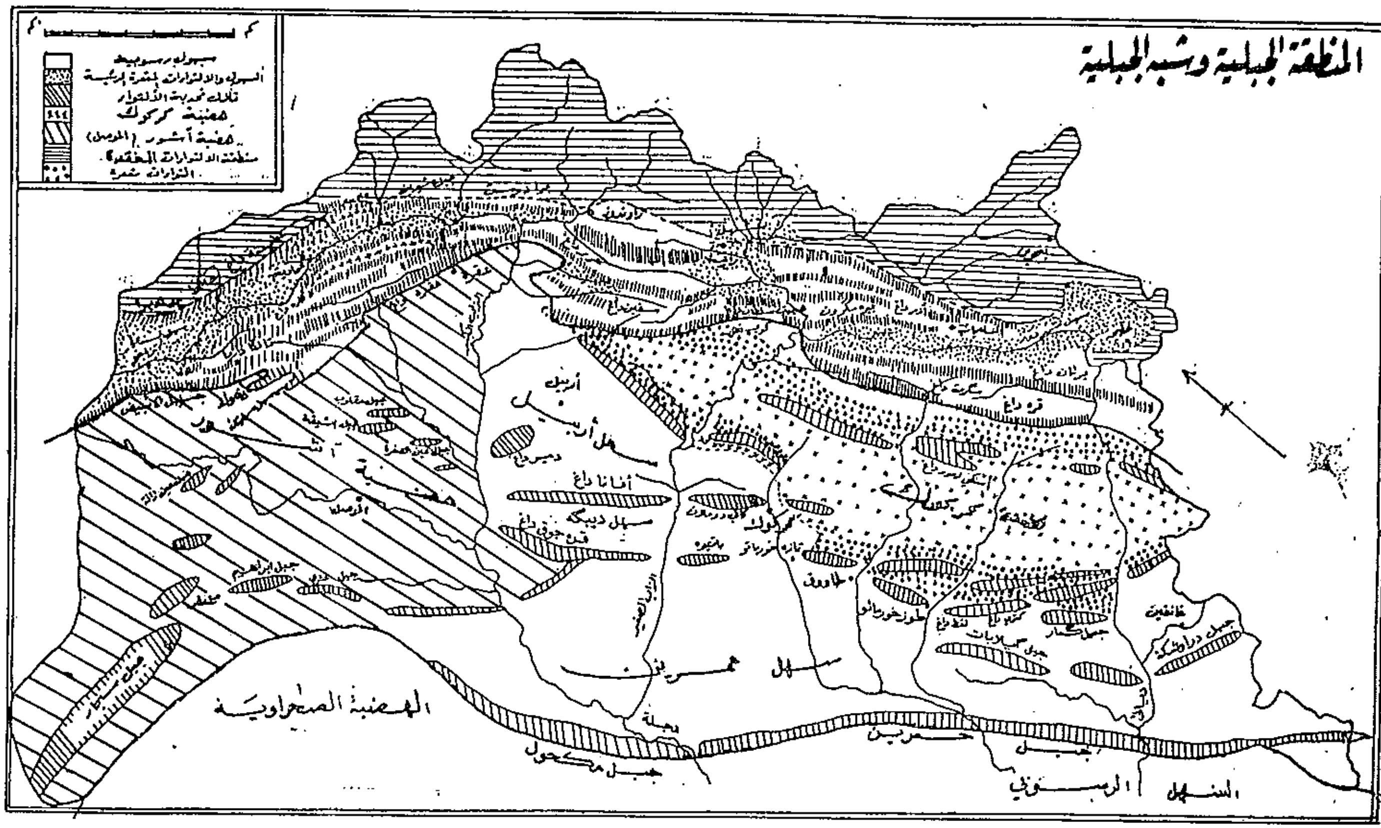
أولا – المنطقة الجبلية

تمثل هذه المنطقة طوبوغرافيا أصغر مساحة في البلاد ، فهي تقدر بحوالى ٥٪ من المساحة الكلية للعراق أو ما يعادل ٢٣٢٧٠ كيلومترا[١] . ولا يقل ارتفاع أرضها على العموم عن ٨٠٠ مترا فوق سطح البحر . وقد اتفق أغلب الباحثين بأن الحدود الجنوبية التي تفصل هذه المنطقة عن منطقة

---

١ – الدكتور جاسم محمد الخلف – جغرافية العراق – معهد الدراسات العربيةالعالية – الطبعة الثالثة – القاهرة ١٩٦٥ ، ص٢٦ .

وقد قدر ارنست دوسون Dowson مساحة هذه المنطقة بحوالى ٢٣٣٧٠كم٢ ،كما قدرها هستد Husted بحوالي ٢٣٥٠٠ كم٢ (ص ١١) . واعتبرها الدكتور محمد حامد الطائي مساوية (١/٦ مساحة العراق أو ما يعادل ٢٧٫٠٠٠ كم٢ ، وقدر طولها بحوالي ٣٩٠ كم وعرضها بما يتراوح بين ٢٠ كم الى ١٢٠كم (ص ٢٩ – مجلة الجمعية الجغرافية العراقية – المجلد الخامس ، حزيران ١٩٦٩) .



شكل رقم ٢ – المنطقتان الجبلية وشبه الجبلية في العراق الشمالي
لاحظ الخط الفاصل بينهما (عن هستد)

الهضاب والتلول تتمثل بعدد من السلاسل الجبلية الممتدة باتجاه شمالي – غربي – جنوبي – شرقي وتشتمل على جبل بيخير والجبل الابيض وجبل شيرمان وجبل عقرة وجبل بيرمام وجبل هيبت سلطان وجبل سگرمة وجبل قرهداغ • ويكتسب هذا الخط أهمية فيزيوغرافية وبشرية بالاضافة الى أهميته الطوبوغرافية • ففضلا عن كونه يفصل بين منطقتين متباينتين في تضاريسهما فهو يكوّن في الوقت ذاته حدا مناخيا ، اذ يكاد يرافق خط المطر ٦٠٠ ملمترا ، وهو بالتالي يصبح بداية للتغير في نوعية النباتات الطبيعية ودرجة كثافتها وأنواع المحاصيل الزراعية السائدة(١) •

ولقد توضح بان هذه المنطقة كانت جزءا من بحر تثس القديم ، وان عملية ظهورها فوق المياه قد بدأت منذ أواخر عصر الاوليجوسين واستغرقت عصر الميوسين بأجمعه ، وذلك اثناء الحركة الارضية العظيمة المسماة بالحركة الالبية التي نتج عنها ظهور الاقواس الجبلية الحديثة المتمثلة في جبال الالب وطوروس وزاكروس والهملايا وغيرها • ولذلك فان من الممكن ان توصف المنطقة بانها عبارة عن أقواس من الالتواءات المحدبة Geo-Anticlines تحصر بينها التواءات وأودية مقعرة Geo-Synclines • وتتخذ هذه الالتواءات شكل انحناء يبدأ من شمال غرب العراق متجها نحو الشرق ثم منحنيا نحو الجنوب الشرقي •

ولقد أثرت الحركة الارضية على المنطقة بقدر بعدها أو قربها من مركز الضغط مما أدى الى خلق وحدتين جيومورفولوجيتين متميزتين ضمن حدودها يطلق على الاولى اسم منطقة الفوالق الزاحفة أو المنطقة المعقدة الالتواء Nappe Zone ، ويطلق على الثانية اسم المنطقة البسيطة الالتواء Simple Folded Zone •

---

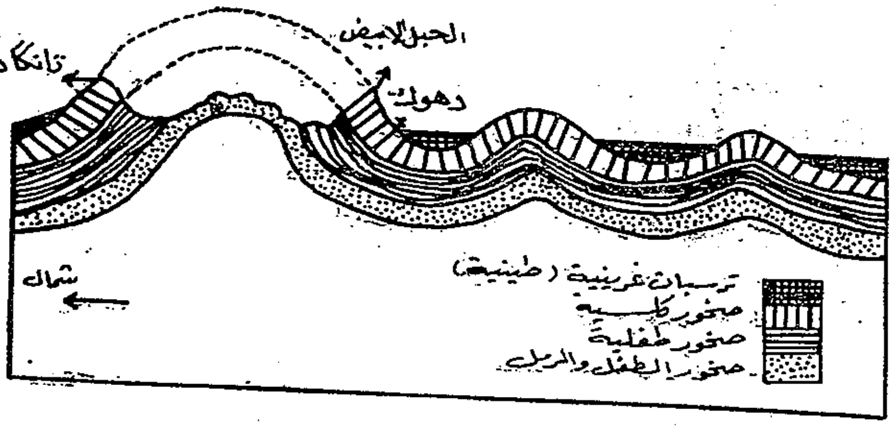
١ – الدكتور محمد حامد الطائي – تحديد اقسام سطح العراق – مجلة الجمعية الجغرافية العراقية المجلد الخامس ، حزيران ١٩٦٩ ، ص٣٠

فأما المنطقة المعقدة الالتواء فتشمل الجهات التي تقع الى الشمال والشرق من الالتواء المقعر الذي تحتله سهول السندي ورانية وشهرزور • وتتصف جبال هذه المنطقة بكونها شاهقة الارتفاع (يتراوح ارتفاعها بين ١٥٠٠ مترا الى ٣٥٠٠ مترا) وأنها ذات التواءات شديدة ومضاعفة وتكثر فيها المناطق العيبية والانكسارات الزاحفة • وقد أدت شدة الحركة التي تعرضت لها الى اضطراب طبقاتها اضطرابا عظيماً فاختلطت صخورها اختلاطاً بيّنا وزحفت القديمة فوق الحديثة • لذلك تظهر في قمم مرتفعاتها الصخور البلورية القديمة والصخور المتحولة الى جوار صخور الطفل والصخور الكلسية •

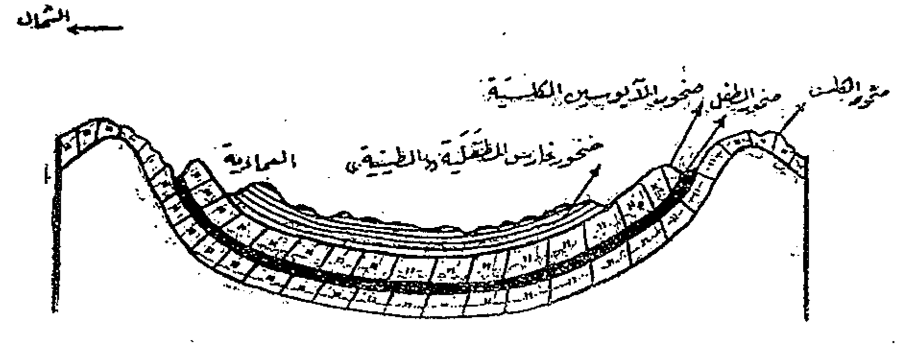
وتتصف التواءات هذه المنطقة أيضا بكثرة قممها ووعورتها ، وبشدة انحدارات سفوحها ، وكثيرا ما تتقارب التواءاتها وتتسع كتلها الجبلية فتصبح الاودية الفاصلة شديدة الضيق وقليلة الصلاحية للزراعة • ويبلغ معدل انخفاض تلك الاودية عن الجبال المجاورة لها حوالي ١٠٠٠ مترا •

ومما يزيد في وعورة المنطقة شدة فعالية عوامل التعرية ، لاسيما وان جبالها ما تزال حديثة التكوين • وتلعب الامطار الغزيرة الوابلة والثلوج المتراكمة فوق هامات الجبال لبضعة أشهر ، يؤازرهما فقدان الغطاء النباتي ، دورا رئيسياً في عملية التعرية • وبصورة عامة فان جبالها عارية من النباتات ، الا أن البعض منها ، ولاسيما في الجهات النائية عن العمران ، تغطيه غابات البلوط من النوع الكثيف والقليل الكثافة •

ان هذا البناء الطوبوغرافي الشديد الوعورة قد قصر الاستيطان البشري على جهات محدودة من المنطقة ، وهي تلك الجهات التي يمكن استثمارها في الزراعة • وتتمثل على وجه الخصوص في الاودية الطولية ذات الاتساع النسبي • اما بقية جهات المنطقة المتمثلة بالمنحدرات والقمم الجبلية فتستثمر في الرعي فقط •



أ ـ مقطع في منطقة دهوك (عن هستد)



ب ـ مقطع في منطقة العمادية (عن هستد)

شكل رقم ـ٣ـ مقاطع جيولوجية في المنطقة الجبلية

وبالرغم من صعوبة تمييز سلاسل جبلية متصلة في التواءات المنطقة المعقدة بالنظر لتباين واختلاط اتجاهاتها، وبسبب ما احدثته عوامل التعرية من تقطيع فيها، الا أننا مع ذلك يمكن أن نميز السلاسل الجبلية التالية : (أنظر شكل رقم ٤)

آ ـ الجبال الواقعة ما بين الحدود العراقية التركية وبين نهر الخابور : وتشتمل على جبل شراتش (٢٠٥٢ مترا) وسلسلة چياكيرة (١١٨٦ مترا) و چياديرى (١٢٣٠ مترا) وسلسلة رشوني (٢٠٢٣ مترا)

ب ـ الجبال الممتدة بين نهر الخابور ونهر الزاب الكبير : وتتألف من سلسلتين تشتمل السلسلة الشمالية على جبال زوزان حرور أو جيازينان (٢٤١١ مترا) ، وتشتمل السلسلة الجنوبية على قسمين يدعى القسم الغربي جبل متينه* (٢٠٩٥ مترا) ويدعى القسم الشرقي سرعمادية (٢٠١٣ مترا) وهو يتصل بجبل سربيزني (١٩٠٢ مترا) وبجبال بروادي بالا (٢٠٩٧ مترا) •

جـ ـ الجبال الممتدة بين الزاب الكبير وروبادي كوجك : وابرزها جبل كوهي زير (٢٢٨٢ مترا) وجبل سوكي (١٦٣٥ مترا) وجبل بادوش أو شيرين (٢٣٧٨ مترا) وجبل سرميدان (٢٦٠٨٢ مترا) •

د ـ الجبال الواقعة بين روباري كوجك ونهر راوندوز : وهي ذات اتجاهات شمالية غربية جنوبية شرقية وأهمها سلسلة برادوست التي تقع شرقي الزاب الاعلى (٢٠٧٦ مترا في قمة نواخين) وجبل زوزك (١٨٢٩ مترا) وجبل بيران (٢٠٧٦ مترا) وسلسلة روست التي تقع بين روبار راوندوز وروبار حاجي بك واعلى

---

* يلاحظ ان أسماء بعض الجبال قد كتبت بالفاظ تخالف ما تعارف عليه الجغرافيون الذين كتبوا عن المنطقة ، وذلك نتيجة لتحقيقات المؤلف •

قممها قمة حصاروست أو هلگورد (وهي أعلى قمة في العـراق ٣٦٠٧ مترا) وسلسلة جبل دولەمەر وأبرز قممها ســر كلاوة (٣٣٩٩ مترا) وجبل شاكيف (٣٠٦٨ مترا) وجبل سربندام (١٨٠٠ متر) • وتمتد في هذه المنطقة كذلك ألسنة أخرى تتمثل في جبال جيامنداو (٢٤٤٠ مترا) وجبل گورك أو خليفان (٢١٢٥ مترا) وجبل بيجان (٢١٧١ مترا) وجبل كونه كوتر (٢٦٩٢ مترا) وجبـل كاوروخ (٢٥٦٠ مترا في قمة هندرين) ، وجبل زرنه‌كو (٢١٣٦ مترا) •

هـ ـ الجبال الممتدة بـين نهر راوندوز والـزاب الصغير : وهي تمتـد بموازاة خط الحدود العراقية ـ الايرانية وتشتمل على سلسلة قنـديل وابرز قممها حاج ابراهيم (٣٤٥٢ مترا) وقمة الحاج عمران (١٧٨٠ مترا) وجبال دوبزه (٢٣١٤ مترا) •

و ـ الجبال الممتدة بين الزاب الصغير وسيروان (نهر ديالى) : وهي تمثل أيضا خط الحدود العراقية ـ الايرانية وتشتمل على جبل سوركيف (٢٢٢٣ مترا) وكوتره رش (٢٧٥٢ مترا) وجبل بردسپي شيرة (٢٤٨٩ مترا) وجبال هورمان (٢٥٤٨ مترا) ، وجبال بنجوين (١٥٠٠ مترا الى ٢٠٠٠ مترا) •

ز ـ الجبال الممتدة شمال شرقي مدينة السليمانية : وتشتمل على جبـل كوّرى كاچاو (١٩٥٧ مترا) وجبل گومەدول (١٣٣٢ مترا) وكونه كوثر (٢٧٦٤ مترا) وجبل بيرەمگرون (٢٦٢٠ مترا) وجبـل شيرباغ (٦٣٧ مترا) وجبل أزمر (١٧٠٢ مترا) وجبـل گويجه (١٥٢٤ مترا) وسرمند (١٤٨٦ مترا) •

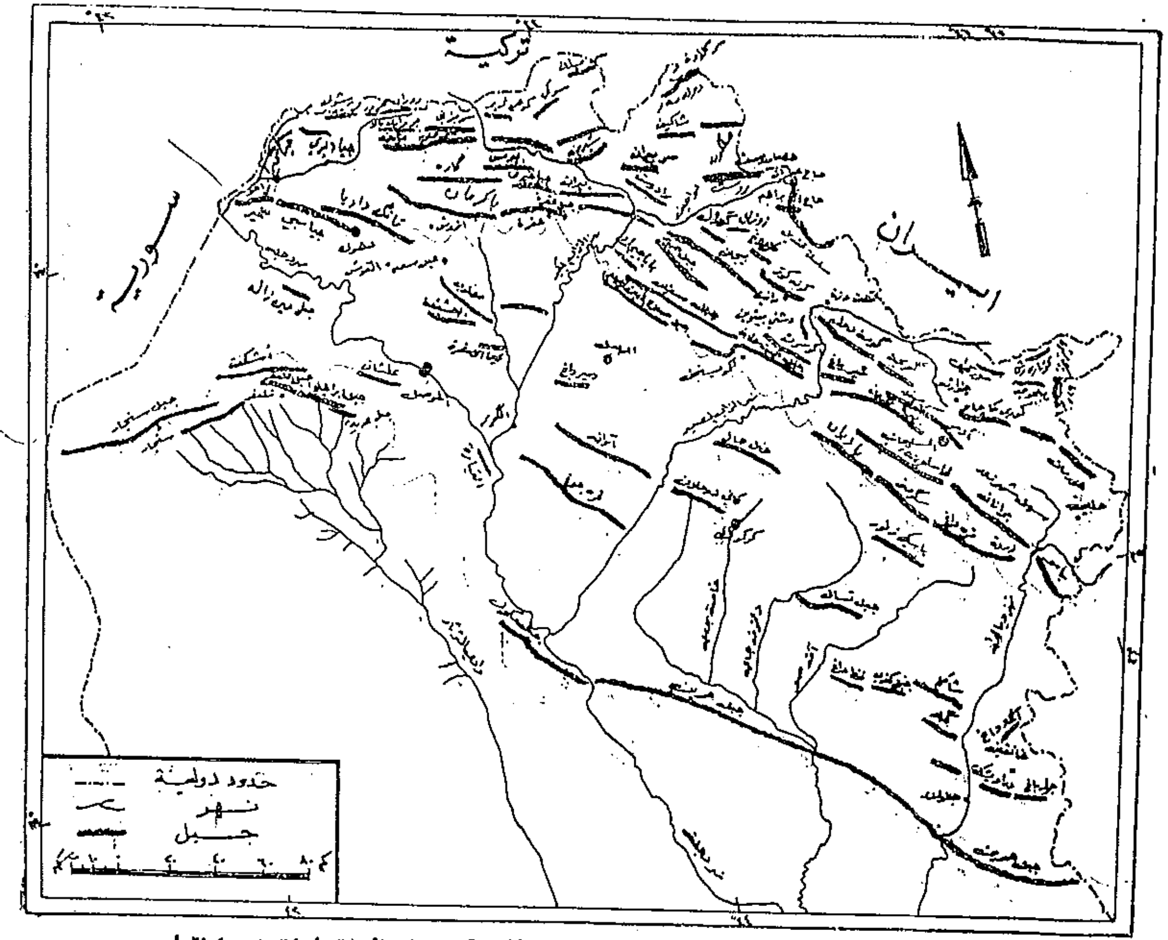
أما المنطقة البسطة الالتواء فهي أقل تأثرا بالحركة الارضية ، لذلك فقد قلّت ارتفاعات التواءاتها (تتراوح بين ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ مترا) ، واتخـذت اتجاهات واضحة من الشـمال الغربي الى الجنـوب الشرقي • كذلك

حافظت صخورها على انتظام طبقاتها • وتتألف محاورها بصـــــورة عامة من الصخور الكلسية التي تعود للعصر الجوراسي تلوها الصخور الكلسية التي تنتمي الى العصر الكريتاسي • وتفصل بين التواءاتها المحدبة أودية طوليـــــة مقعرة أكثر اتساعا من أودية المنطقة المعقدة الالتواء لذلك فهي أكثر ملاءمـة للاستيطان البشري وأعظم صلاحا للزراعة • وكلما انحدرنا نحو الجنـــوب الغربي تباعدت الالتواءات المحدبة واصبحت الالتواءات المقعرة التي تفصـــل بينها متســـعة القاع • ومن أمثـــلة تلك السهول المقعرة ســـهل حرير الذي ينحصر بين جبلي سفين وحرير (ويسمى أيضا سهل باتاس) ، وسهل بازيان الذي يقع بين سلسلتي بازيان وطاسلوجة • غير ان الالتواءات المحدبة تكون شديدة الانحدار وكثيرة الانثناءات والعيوب في جهاتها الغربية، بينما تكون خفيفة الانحدار في جهاتها الشمالية الشرقية •

وبما ان الصخور الكلسية تكّون معظم كتل السلاسل الجبلية لذلك أثرت فيها سيول الأمطار فكثرت فيها الخوانق والاودية العميقة مما يكّون عقبة كأداء تجاه المواصلات في المنطقة • أما سهولها وهضابها فقد أصبحت عارية من النبات بسبب مساميتها العالية سوى الحشائش القصيرة ، غير ان البعض منها مكسو بغابات البلوط القليلة الكثافة • ويظهر جزء من الامطار الساقطـة فوق مرتفعاتها عند السفوح على شكل ينابيع وعيون •

وبالرغم من تأثر التواءات هذه المنطقة بعوامل التعرية وتقطعها الا ان سلاسل جبالها أكثر وضوحا من سلاسل جبال المنطقة المعقدة الالتواء • ويمكن ان نميز بينها خطين متوازين هما الخط الشمالي والخط الجنوبي • (أنظـر شكل رقم ٤) •

فأما الخط الشمالي فيتألف من جبـــل گارة (٢١٦٠ م) وجبل بيرس (١٦٢٤م) وجياخيري (١٤٧٠ م) وجبال بيرات (١٦٥٢ مترا) وجبل حرير



شكل رقم ٤ – توزيعات الجبال في العراق الشمالي – لاحظ اتجاهات امتداداتها

(١٤٤١ مترا) وجبال بانزاد (١٥٣٠ مترا) وجبال طاسلوجة (٩١١ مترا) وجبال برانان (١٣٧٣ مترا) وكوهي بامو (١٨٢٨ متر) •

وأما الخط الجنوبي فيشتمل على جبل بيخير أو الجبل الابيض « جياسي » (١٣٠٢ مترا) وجبل باكرمان (١٠٢٤ م) ، وجبل عقرة (١٥٤٨ مترا) وجبل بابا جيجك (١٠٠٥ مترا) ، وجبل بيرمام (١٠٩٠ مترا) وجبل سفين (١٤٧٥ مترا) وجبل هيبت سلطان (١٢٠٦ مترا) وجبال بازيان (١٥٤٤ مترا) وجبل سگرمه (١٧٢٧ مترا) وجبل هنجيرة (١٣٧٢ مترا) وجبل قرهداغ (١٠٧٦ مترا) وجبل زرده (١٧٩٥ مترا) •

ان الالتواءات المحدبة سواء في المنطقة المعقدة الالتواء أم في المنطقة البسيطة الالتواء تحصر بينها سهولا ضيقة أو واسعة حسب مواقعها ، وهي عبارة عن التواءات مقعرة في الغالب ، كما انها تحصر بينها عددا من الهضاب ، وغالبا ما تنتج تلك الهضاب من تقارب الالتواءات المحدبة واندماجها في كتلة واسعة • وبالرغم من أن تلك الهضاب قليلة الاستثمار في الزراعة الا انها تعتبر مراعي ممتازة • ومن ابرز تلك الهضاب هضبة بنجوين وهضبة برزنجة وهضبة بشدر وهضبة جوارته وجميعها تقع في محافظة السليمانية ، وهضبة كواندة التي تقع في أقصى الطرف الشمالي لمحافظة دهوك • وتحتل هضبة بنجوين الطرف الشمالي من محافظة السليمانية وهي أضخم وأهم هضبة في المنطقة الشمالية • وتحيط بها جبال المنطقة المعقدة الالتواء من جهات ثلاث ويتراوح ارتفاعها بين ١٥٠٠ مترا الى ٢٠٠٠ مترا وأهمها سلسلة قاية وسلسلة هرزله وسلسلة ياسمال • وهي لاتستثمر في الزراعة الا بدرجة محدودة ، لكنها تمتلك مراعي غنية •

وتمتد هضبة برزنجة شرقا حتى جبال هورامان وجنوبا حتى سهل

شهرزور ، بينما يحدها نهر قلاجوالان من الشمال • وتشتمل على بضعة جبال من بينها جبل كالاكراه وجبل كركازاو (٢٢٠٠ مترا) •

أما هضبة بشدر فيحدها من الشرق الجزء الايراني من المنطقة المعقدة الالتواء ومن الجنوب وادي سيويل ومن الغرب قلاجوالان كما يحدها نهر الزاب الصغير من الشمال • وتشتمل على بضعة جبال تمتد في الغالب بموازاة الحدود ومن بينها جبل سرشو (٢١١٦ مترا) وجبل كتيو (٢٣١٦ مترا) •

وتنحصر هضبة جوارته بين وادي سيويل وقلاجوالان وأهم جبالها جبل سرسير (١٥٨٩ مترا) وجبل لارى[1] •

وأما هضبة كوانده فتقع على الحدود التركية العراقية ويتفاوت ارتفاعها بين ٢١٠٠ مترا الى ٢٤٣٠ مترا وهي صخرية تحيط بها سفوح متحدرة يصعب تسلقها وتتراكم عليها الثلوج في أشهر الشتاء والربيع[2] •

أما السهول المقعرة التي تنحصر بين المنطقة المعقدة الالتواء والمنطقة البسيطة الالتواء فيمكن القول انها أهم الاجزاء الطوبوغرافية لمنطقة الجبال من وجهة النظر البشرية ، ذلك لانها تمثل أهم مراكز الاستيطان البشري في المنطقة ، ولهذا قامت فيها القصبات والقرى الكبيرة ، وهي بطبيعة الحال أبرز المناطق الزراعية في المنطقة الجبلية وأعظمها انتاجا • وأهم تلك السهول سهل شهرزور وسهل رانية وسهل السليمانية وسهل زاخو (السندي) •

ويعتبر سهل شهرزور اوسع سهول المنطقة الجبلية اذ يبلغ معدل طوله من الشرق الى الغرب حوالي ٤٥ كيلومترا كما يبلغ معدل عرضه حوالي ١٥ـ٢٠ كيلو مترا وقد يمتد الى ٢٥ كيلو مترا في الجزء الجنوبي الشرقي

---

١ ـ سلمان الدركزلي ـ جغرافية العراق العسكرية ، بغداد ١٩٥٦ ص ٩٠ـ٩١

٢ ـ الهاشمي ـ جغرافية العراق الثانوية ـ بغداد ١٩٣٨ ص١٨

منه ، ويتراوح معدل ارتفاعه بين ٤٥٠ مترا ـ ٦٠٠ مترا • وتحيط به جبال هوراماں من الشرق وجبال جوارته من الشمال وجبل بالامبو (١٥٨٥ مترا) من الجنوب • كما تتصل جهته الشمالية الغربية بسهل السليمانية • وهناك نظريات متضاربة في تكوين هذا السهل ، فبينما يدعي هستد بأنه التواء مقعر مفتوح[١] ، يعتقد دنيس Dennis بانه التواء محدب قد أزالت تحدبه عوامل التعرية[٢] • ويمتاز سهل شهرزور بخصوبة عالية بسبب الترسبات النهرية التي تحملها اليه المجاري المائية العديدة من الجبال المجاورة • ويرويه نهر تانجرو وروافده العديدة كرافد زلم ورافد جقان فى الجزء الشرقى والاوسط منه ، بينما يصرف الجزء الغربي منه نهر تابين أحد روافد الزاب الصغير • وتتميز بعض المناطق الجنوبية من السهل برداءة تصريفها المائي مما يؤدي الى تشبع أرضها بالمياه والى نشوء المستنقعات في فصلي الشتاء والربيع •

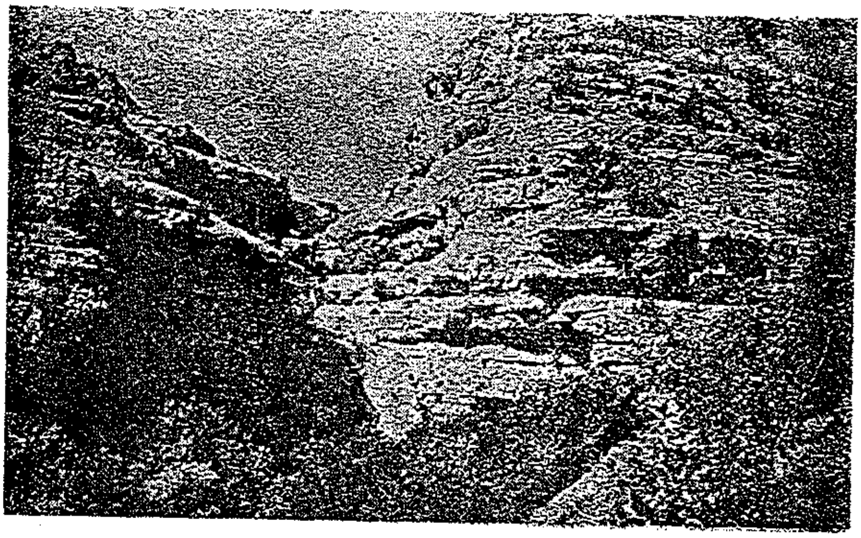
وأما سهل السليمانية فهو عبارة عن الحوض الواسع لوادي تانجرو الاعلى ، ويمتد الوادي باكمله نحو الجنوب الشرقي لمسافة ٦٤٫٥ كيلومترا • ويأخذ السهل بالاتساع عند مدينة السليمانية حتى يصبح عرضه ١٤٫٥ كيلو مترا ، ثم يندمج طرفه الجنوبي مع سهل شهرزور • ويمتد نحو الشمال الغربي في شريط ضيق حتى سهل سورداش • ويتصف الجزء الشمالي من السهل بأنه مموج وذو تربة خصبة ، في حين أن القسم الجنوبي منه منخفض تحتله بعض المستنقعات • ويروى سهل السليمانية نهر تانجرو وبعض روافده كما تسقيه ينابيع عديدة •

أما سهل رانيه فيحيط بنهر الزاب الصغير وهو اوسع سهول المنطقة الجبلية ، اذ يبلغ طوله حوالي ٣٠ كيلو متراً من الشرق الى الغرب ويتراوح

---

١ ـ هستد ، ص١٥

2. Dennis, P. 6



شكل رقم ـ٥ـ منظر من جبل كويجه

عرضه بين ٢٠ـ٣٠ كيلومترا (مساحته حوالي ٨٠٠ كم^{٢}) • وتفصل النصف الشرقي منه عن النصف الغربي حافة ضيقة يخترقها الزاب الصغير في خانق عند دربند ، ويطلق على القسم الشرقي اسم سهل بشدر وعلى القسم الغربي اسم دشتي بتوين ويتراوح ارتفاع السهل على العموم بين ٥٠٠ مترا الى ٦٠٠ مترا • ويروى السهل عدد من العيون والجداول ، ولا تستغل مياه الـــزاب الصغير في الري الا في مواضع قليلة من السهل • وقد شيد سد دوكان عنـــد النهاية الجنوبية من السهل • وقد غمرت بعض أجزائه مياه بحيرة دوكان •

أما سهل زاخو ، والذي يطلق عليه أيضا اســـم سهل السندي ، فيبلغ متوسط اتساعه حوالي ٦ كم ، كما يتراوح ارتفاعه بين ٤٠٠ مترا الى ٦٠٠ مترا • وهو يمتد شرقي نهر الهيزل الى مسافة ٣٥ كيلومترا ، ويتخذ شكلا مثلثا يأخذ بالضيق كلما اتجهنا نحو الشرق • ويتكون سطحه من ترسبات

غرينية فوق الصخور البختيارية المكتلة • وتحده جبال بروراي بالا (جبل متينه) شمالا ، وجبال براودى زير (جبل گارة) جنـــوبا ، ويرويه نهر الخابور •

ثانيا ـ منطقة الهضاب والتلول

لقد سبق أن أوضحنا الحدود الفاصلة بين هذه المنطقة والمنطقة الجبلية• وقد ذكرنا بان تلك الحدود (وهي حدودها الشمالية) تتمثل في امتـدادات جبال بيخير والجبل الابيض وجبل عقرة وجبل بيرمام وجبـــل هيبت سلطان وجبال بازيان وجبال سگرمه وجبال قرهداغ • أما حدودها الجنوبية فتتمثل في جبل سنجار الواقع بالقرب من الحدود السورية ثم جبل اشكفت ثم جبال تلعفر ثم جبل ابراهيم ثم جبل عديه ثم جبل مكيحل ثم جبـــل مكحول ثم جبال حمرين التي تنتهي بالقرب من الحدود الايرانية • ويعتقد هستد ان من الممكن اعتبار الحدود الايرانية حافة شرقية للسهل الرسوبي في حالة تلاشي جبال حمرين[1] • ويبلغ طول المنطقة حوالي ٥٠٠ كيلومترا ويتراوح عرضها بين ٨٠ الى ١٥٠ كيلومترا ، وبذلك تقرب مساحتها من ٦٧٫٠٠٠كم٢ ، وهو ما يعادل ١٥٪ من مساحة العراق[2] •

---

١ ـ هستد ، ص٢٥

٢ ـ المصدر السابق ، ص٢٤

أما الطائي فيعتبر مساحة المنطقة حوالى ٩٥٫٠٠٠كم٢ أي ما يعـــادل ٢١٪ من مساحة العراق ، حيث يقدر امتدادها بحوالي ٤٥٠ كيلومترا وعرضها بما يتراوح بين ١٤٠ كم ـ ٣٥٠ كم • وهو يضم اليها قسـما كبيرا من هضبة الجزيرة والهضبة الصحراوية الغربية ، ويعتقـد ان الحدود الغربية للمنطقة تمثلها الحدود السورية ، والحدود الجنوبيـة الغربية تبدأ من مخفر الربط على بعد عشرة كيلومترات شمال نهـــر الفرات ثم تمر بقرية فالوق ثم بقرية ابو جيشه ثم بقرية خنفسان ثم بقرية عدوى ثم بقرية شنانه ثم بخط حدود السدة الترابية لقنـــاة الترثار حتى نهر دجلة (الطائي ص ٣٣ـ٣٥)

وقد أطلق الجغرافيون اسماء عديدة على هذه المنطقة ، فمنهم من اسماها بمنطقة الروابي[1] ، ومنهم من أسماها بالمنطقة شبه الجبلية[2] ، ومنهم من اسماها بمنطقة المقدمات الجبلية[3] ، ومنهم من اسماها بمنطقة التلال[4] ، كما ان البعض أطلق عليها اسم منطقة السهول المتموجة[5] ، غير ان الاسم الشائع للمنطقة هو « المنطقة المتموجة » . ولعل أكثر التسميات انطباقا عليها هو اسم « منطقة الهضاب والتلول » ، فما هي في الحقيقة سوى مجموعة من التلال تحصر بينها هضابا متميزة .

والواقع انها عبارة عن منطقة انتقالية بين المنطقة الجبلية في أقصى الشمال والشمال الشرقي وبين السهل الرسوبي في الوسط والجنوب . وهي تندمج في جزئها الغربي مع الهضبة الصحراوية في الغرب ، وهذا الاندماج يتم في طرفها الشمالي الغربي الذي يطلق عليه اسم منطقة الجزيرة الشمالية . ويعتبر بعض الكتاب هذا الجزء من سطح العراق ضمن الهضبة الصحراوية ، لكن الغالبية يتفقون بانه جزء لا يتجزأ من منطقة الهضاب والتلول . ويعيّن البعض حدود منطقة الجزيرة الشمالية بانها تمتد من الحدود العراقية السورية في الشمال والشمال الغربي وتنحدر الى الجنوب ما بين دجلة من الشرق والحدود العراقية السورية من الغرب حتى تنتهي عند خط عرض ٥ر٣٤° ، وهو الخط الذي يمتد ما بين مرتفعات مكحول وسنجار ، وبذلك يكون شكلها العام على هيئة مثلث ينتهي رأسه عند جبل

---

١ ـ طه الهاشمي ، المرجع السابق ، ص٢٦

٢ ـ مستند ، ص٢٤

٣ ـ الدكتور ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، الجزء الاول ، بغداد ( ) ص٨١

4. Buringh, P. 37

٥ ـ الطائي ، ص٣٢

الباب الاول

المسح الفيزيوغرافي

مكحول في منطقة الفتحة بينما تمتد قاعدته مع الحد السياسي الكائن ما بين العراق وسورية[1] ٠

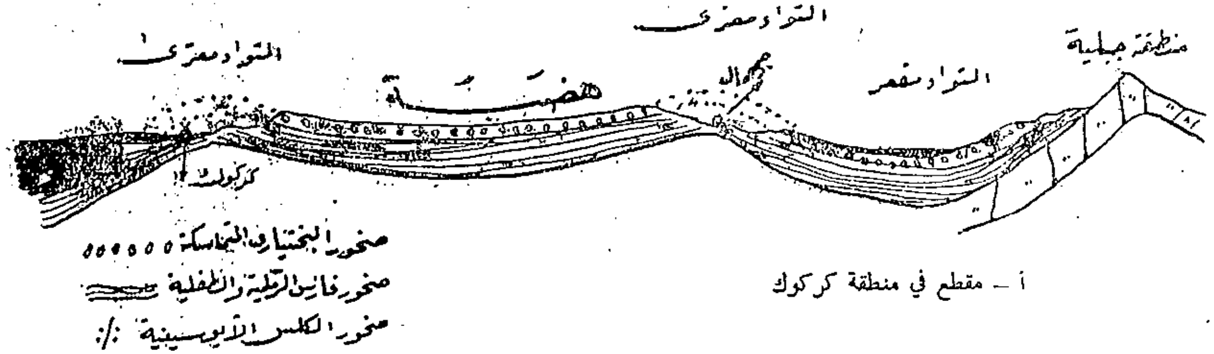
وهكذا اشتمل هذا الجزء من اقسام سطح العراق على جميع مظاهر السطح في الاقسام المتميزة الثلاث ، الجبلية والهضبية الصحراوية والسهلية الرسوبية ، فهو منطقة انتقالية بحق وحقيق بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب • وقد سبق أن اوضحنا عند الحديث عن التكوين الجيولوجي للعراق الشمالي بأن منطقة التلال تعرضت لنفس الظروف الجيلوجية التي تعرضت لها المنطقة الجبلية حيث ظلت مغمورة بمياه بحر تشس لعصور عديدة • كما تعرضت ايضا لضغوط الحركة التكتونية العظمى في اواخر الزمن الثالث الا أن سطحها كان اقل تأثرا بتلك الحركة بسبب بعدها عن مركزها • وقد خلفت هذه الحقائق الجيلوجية آثارا فيزيوغرافية واضحة على سطحها •. فلقد اصبحت التواءاتها خفيفة ، وهي أشبه بالتلال منها بالجبال ، وقلما تتجاوز ١٠٠٠ مترا • وهي على العموم متباعدة عن بعضها وقليلة الوعورة والانحدارات ، وان الاودية والاحواض التي تحصرها بينها عبارة عن سهول أو هضاب فسيحة وهي تتخذ نفس الاتجاهات التي تتخذها التواءات المنطقة الجبلية ، اى انها تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، عدا جبل سنجار الذي يمتد من الغرب الى الشرق • وهذه الالتواءات تزداد ارتفاعا وتقل امتدادا وتكثر فيها الانكسارات كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي ، اى كلما اقتربنا من المنطقة الجبلية ، ويتناقص ارتفاعها كلما انحدرنا نحو الجنوب الغربي ، اى كلما ابتعدنا من مركز الحركة الارضية واقتربنا من منطقة السهل الرسوبي • (انظر شكل رقم ٢)

---

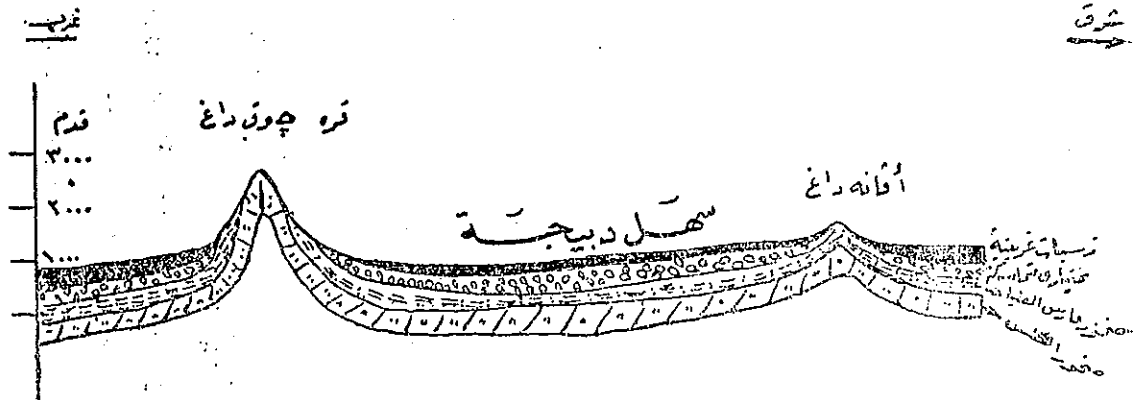
١ ــ الدكتور نوري خليل البرازي ــ البداوة والاستقرار في العراق ، القاهرة ١٩٦٩ ص١٢

كذلك اثر التكوين الجيلوجي تأثيرا واضحا على صخور تلال المنطقة وسهولها وهضابها • فبالنظر لانها كانت تمثل أساسا حوضا يمتد امام مرتفعات المنطقة الجبلية ، لذلك ترسبت فيه الصخور الجيرية وصخور الطفل اولا ، ثم تراكمت فوقها الرسوبات التي كانت تحملها مجاري المياه المنحـــدرة من الجبال المجاورة من الحصا والرمال والصخور ، في حين تراكمت فـــوق اراضي الجزيرة الشمالية طبقات من الصخور الجبسية باعتبارها تمثل بقايا البحر الداخلي • وهكذا تكشف محاور المرتفعات في المنطقة عن صخـــور متعددة ، ففي الالتواءات الشديدة تظهر للعيان صخور الكلس العائدة لعصر الآيوسين ولعصر فارس الاسفل (الميوسين) ، وفي الالتواءات البسيطة تظهر صخور الطفل والصخور البختيارية المكتلة وصخور الرمل العائـدة لعصـــر فارس الاعلى (كما هو الحال في تلال حمرين)[١] (انظر شكل رقم ٦) • اما الهضاب والسهول فقد غطت صخورها الباطنية ترسبات من الرمل والطين والحصا والطفل • وتبلغ هذه الترسبات السطحية في بعض المناطق الســهلية عمقا كبيرا مما يكسب هذه الجهات خصوبة كبيرة ويجعلها عظيمة الصلاحيـة للزراعة • وقد اثر التكوين الجيلوجي للمنطقة في مياهها السطحية والباطنية ايضا • فنظرا لقلة ارتفاع التواءاتها فهي لم تعد مصدرا مهما من مصـــادر المياه السطحية ، فليس ثمة مجار هامة تنحدر من تلك التلال ، يضـــاف الى ذلك تناقص كميات التساقط التي تصيب المنطقة ، فهي على العموم تنحصـر بين خطي المطر ٢٠٠ و ٥٠٠ ملمترا • لذلك فقد اتصفت المنطقة عمـــوما بالجفاف ، وكثرت فيها الاودية الجافة التي لا تجري فيها المياه الا في موســم الامطار • وهذه الاودية قد كونت في بعض الجهات سهولا فيضية يصـــل عرضها الى حوالي خمسة كيلومترات ، وقد تكون ضيقة ملتوية وتحاذيهـــا في بعض الاحيان اجراف عالية يصل ارتفاعها الى حــــوالي ٣٠ مترا[٢] •

١ ـ هستد ، ص٢٧.
٢ ـ الخلف ، ص٦٦



أ – مقطع في منطقة كركوك



ب – مقطع في منطقة اربيل

شكل رقم ٦ – مقاطع جيولوجية في منطقة الهضاب والتلول (عن هستد)

وتكشف بعض هذه الوديان عن مدرجات متعددة تشير الى تعرض المنطقة الى ارتفاع تدريجي ومرحلي خلال العصور الجيولوجية . وعلى العموم فان المجاري السطحية التى توجد فى الجزء الواقع الى شرقى نهر دجلة من المنطقة هي اعظم غزارة واكثر دواما وهي تستمد مياهها في الغالب من خارج المنطقة . اما الاودية التي تقع الى الغرب من نهر دجلة ، ولاسيما في الطرف الشمالي من منطقة الجزيرة ، فانها تكون عموما على هيئة وديان قصيرة تمتد في اتجاهات مختلفة ولا تحتوي على المياه الا في موسم المطر . كذلك تنعكس آثار التكوين الجيلوجي للمنطقة على حالة المياه الباطنية فيها ، فنظرا لان معظم صخورها السطحية هي صخور كلسية ورملية ذات مسامية عالية فقد أصبحت غنية بالمياه الجوفية ، حيث تغور معظم مياه الامطار الى الاعماق . وتتلقى منطقة التلال والهضاب جزءا من مياهها الجوفية في بعض جهاتها من المنطقة الجبلية التي تتكون التواءاتها أيضا من صخور كلسية تغوص بعيدا تحت التربة فتخزن في اعماقها مياه الامطار ، كما هو الحال في سهلي اربيل ومخمور مثلا ، ولذلك اصبحت منطقة التلال ثرية عموما بمياهها الجوفية وغنية بالعيون والآبار . وقد ادى ذلك الى انتشار مراكز الاستيطان فيها في مختلف الجهات . ومما ساعد على ظهور القرى الكبيرة فيها ، والتي تحولت في بعض الاحيان الى مراكز مدنية كبيرة ، صلاحية المنطقة لزراعة الديم (الزراعة المطرية) مما جعلها من اغنى مناطق البلاد في انتاج القمح والشعير ، ولا سيما في جزئها الشمالي .

ولقد ترك التكوين الجيلوجي للمنطقة آثارا ذات اهمية معدنية ايضا . فالمعروف ان التلال التي تمثل الحد الجنوبي للمنطقة ، ونعنى بها تلال حمرين ومرتفعات القيارة ، هى من المناطق الغنية بالنفط في البلاد .

توضح اذن بأن سطح منطقة الهضاب والتلول عبارة عن سلاسل من

الجبال المنخفضة المتفرقة التي تحصر بينها الأحواض والهضاب • وبالرغم من أن تلك المرتفعات تمتد في اتجاهات متباينة في بعض الاحيان الا انها على العموم ذات اتجاه شمالي غربي ـ جنوبي شرقي ، عدا جبل سنجار الذي يكون امتداده غربيا ـ شرقيا • واهم تلك السلاسل هي : (انظر شكل رقم ٤)

آ ـ المجموعة الاولى : وهي تقع غربي نهر دجلة ، وتتميز بقلة ارتفاعها وتكون على هيئة مرتفعات منفصلة عن بعضها البعض وتنصرف مياهها في الاودية والمنخفضات والاحواض القريبة منها ، وهي عارية من النبات عدا جبل سنجار وتنقسم الى فرعين ابتداءا من مرتفعات مكحول (٥٣٣ مترا) في الجنوب ، ويوازي الفرع الاول ضفة دجلة الغربية ويشتمل على مرتفعات نجمة الواقعة جنوب وادي القوصة ثم التلال الواقعة في منطقة القيارة والعطشان (٤٩٠ مترا) وعين زالة •

اما الفرع الثاني فيتجه غربا ابتداء من مرتفعات نجمة ويشتمل على مرتفعات عدية (٤٧٧ مترا) وابراهيم (٥٣٣ مترا) وتلعفر (٥٩٨ مترا) وزمبر (٦٠٥ مترا) واشكفت (٦٢٩ مترا) حتى تنتهي بجبل سنجار وهو أعلى جبال المنطقة (١٤٦٣ مترا) ويمتد لمسافة ٧٢ كيلومترا • ويحصر هذان الفرعان بينهما سهل الجزيرة الشمالي الذي يشتمل على بعض المرتفعات الاخرى •

ب ـ المجموعة الثانية : وتقع شرقي دجلة بين نهر دجلة والزاب الصغير وهي في الغالب عبارة عن نطاقات منعزلة من التلال والروابي القليلة الارتفاع العارية من النبات وأهمها جبل مقلوب (١٠٧٥ مترا) وجبل بعشيقة (٦٦٣ مترا) وجبل قرەجوغ (٨٧٥ مترا) وجبل باتيوه (٨٧٠ مترا)• ويكتسب بعض هذه المرتفعات اهمية خاصة نظرا لكونها تمد مستودعات المياه الباطنية بالمياه وخاصة تلول مقلوب وبعشيقة ، وتنبثق تلك المياه في

السفوح والسهول المجاورة على شكل ينابيع وعيون • كذلك تشتمل هذه المجموعة ايضا على جبال آوانه (٥٣٠ مترا) وسفوحها غنيـــة بالعيون والينابيع التي تسقي حافة سهل ديكة المجـاور • وتقع الى شمالها جبال دميرداغ (٥٠٠ مترا) •

جـ ـ المجموعة الثالثة : وتقع بين الزاب ونهر ديالى وهي أشـد انخفاضـا وفقرا بالنبات من المجموعتين السابقتين وأهم جبالها جبل غرة (نفط داغ) الذي يقع شمال شرقي طوزخرماتو وجبل گلابات (٢٢٥ مترا) وجبل بابا شهوار (جبل كفري) (٣٦٨ مترا) وجبل گمار (٢٥٨ مترا) وجبل شاكل (٤٠٥ مترا) ، وجبال كاني دوملان وهي سلسلة طويلة تمتـد الى ١٠٠ كيلومترا •

د ـ المجموعة الرابعة : وتمتد بين نهر ديالى والحدود الشرقية والجنوبية لمنطقة الهضاب والتلال ، وهي تمثل الاطراف النهائية للانثناءات لذلك فهي اقلها وضـــوحا ، وتشتمل على سلسلة آخ وداخ (٦٣٢ متـرا) التي تمتد غربي قصر شيرين بين ديالى وجبل جوارباغ ، ثم سلسلـة جبال حمرين وهي اطول سلاسل هذه المنطقة بل اطول سلسلة جبلية في العراق اذ يبلغ امتدادها حوالي ١٦٠ كيلو مترا ، وتبدأ شـرقي مندلي عند الحدود الايرانية العراقية وتتجه نحو الشمال الغربي حتى تنتهي عند نهر دجلة في الفتحة ، وهي ضيقة على العموم وأعظم اتساع لها في قسمها الاوسط ، وهو أشد اجزائها ارتفاعا حيث تتجاوز بعض قممه ٣٦٥ مترا • وهي تتخذ صفة الوضوح في جزئها المشرف على نهر دجلة حيث تبدو على شكل حائط حاد ، بينما تبدو ضامرة عند الحدود الايرانية • وتخترق الانهار هذه السلسلة في عدة مواضع منها ، حيث يخترقها نهر دجلة في الفتحة ويخترقها نهر ديالى في منصورية الجبل، كما يخترقها نهر العظيم في دميرقبو •

وهكذا يتضح بان معظم سلاسل منطقة الهضاب والتلول لا يتجاوز ارتفاعها ١٠٠٠ مترا ، (بين ٤٠٠ مترا الى ١٠٠٠ مترا) ، كما انها قليلة الوعورة وعارية من النبات وقد أثرت فيها عوامل التعرية تأثيرا كبيرا بسبب فقر نباتها وشدة انحداراتها • وهي كما ذكرنا ذات أهميـــة اقتصادية خاصة ، اذ تجمعت في جزء كبير منها مستودعات النفط ، كما انها ذات أهمية بشرية اذ تقوم فيها مراكز مدنية هامة لاسيما في المواضع التي تخترقها الانهار ، ومثال ذلك الكوير ومخمور والتـون كوبري وكركوك وداقوق وطوز خرماتو وكفري • وقد اكتسبت هذه المدن أهمية خاصـــة نظرا لوقوعها عـــلى الطرق الموصلة بين منطقـــة السهل الرسوبي في الجنوب ومنطقة الجبال في التـــمال حيث يتم عن طريقها التبادل التجـــاري بين هاتين المنطقتين المتباينتين في طبيعتهمـــا وانتاجهمـا •

أما أبرز السهول التي تمتد بين سلاسل التلال المذكورة فهي[1]: (انظر شكل رقم ٢ ورقم ٦)

آ ـ سهل حمرين : وهو عبارة عن التواء مقعر قد ملأته عوامل التعـــرية بطبقة سميكة من الترسبات الرملية والطفلية غـير انها ليست كبـــيرة الخصوبة ، ويمتد من التواء القيارة المحدب شمالا حتى الحدودالايرانية جنوبي خانقين ، وهو منبسط في قسمه الشمالي بينما تعلوه في جزئـه الجنوبي سلاسل قليلة الارتفاع • ويضيق السهل في قسمه الاوســـط حيث يصل الى ٣٧ كيلو مترا ويزداد عرضه كلما اتجهنا شـــمالا أو جنوبا فيكون ما بين ٦٤ الى ٨٠ كيلو مترا • وتكفي امطاره للزراعة

1. راجع : Naval Intelligence Division, Iraq and the Persian Gulf, London 1944, P. 81-97

وكذلك هستد ، ص ٣٤ـ٤٢

والخلف ، ص٧٢ـ٧٣

المطرية ، كما يمكن الاستفادة من مياه بعض انهاره للري . وتجري انهاره عبر سهول رسوبية مكونة لها مجاري واسعة فيضية ذات تربة سميكة من الحصى ، وهذه المجاري جافة في معظم أيام السنة كما هو حال نهر طاووق .

ب ـ سهل ديگة : وهو التواء مقعر يمتد بين جبال اوانة وقره جوغ ويقدر عرضه بـ ١٦ كيلو مترا وطوله بـ ٨٠ كيلو مترا . وتنصرف مياه القسم الشمالي منه والمسمى بسهل شماملك الى نهر الزاب الكبير ، كما تنصرف مياه القسم الجنوبي الشرقي منه والمسمى بسهل كندناوه الى نهر الزاب الصغير ، وقد امتلأ حوض هذا السهل بالرواسب الغرينية وبترسبات خشنة من الرمل والحصا والحجارة . ويتميز هذا السهل بوفرة مياهه الباطنية التي تنحدر اليه من التلال المجاورة والتى تظهر عند حافاته على شكل ينابيع وعيون ، كما انه غني بالحشائش وقت الامطار مما يجعله صالحا لرعي الحيوانات .

جـ ـ سهل أربيل : وهو يقع في الشمال الشرقي من سلسلة أوانه وتحده الهضاب من الجهة الشرقية والغربية ويمتد جزؤه الجنوبى الشرقى حتى جبال كاني دوملان . ويبلغ طوله بين الجنوب الشرقي والشمال الغربى نحو ٨٥ كيلو مترا ، أما عرضه فلا يتجاوز نصف هذا المقدار . ويتكون من حوض واسع قد امتلأ بترسبات غرينية وطينية ورمل وحصى ، كما تقع تحتها طبقات من حصى البختياري وصخور متكتلة. وسطحه على العموم متموج تتخلله الوديان الضحلة التي تصرف مياهه الى نهري الزاب الكبير والزاب الصغير . وتعلو بعض أجزائه الروابي والتلال وأهمها دميرداغ . ويحتمل وجود مياه جوفية غزيرة فيه بطبيعة تكوينه الجيولوجي ولمجاورته لجبال ذات صخور كلسية مسامية . وهو من أكثر سهول المنطقة صلاحية لزراعة القمح .

د ـ سهل سنجار الشمالي : وهو عبارة عن حوض مضرس السطح ويشغل الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة الشمالية ، ويمتد شمالي جبل سنجار على طول النطاق الغربي حتى الحدود العراقية السورية ويطلق عليه أيضا اسم سهل شمر الشمالي • وتبلغ مساحته حوالي ١٨٠٠ كم٢ • وتشتمل بنيته على تكوينات مختلفة بين الرواسب الفيضية الحديثة وبين الصخور الايوسينية ، وتظهر بعض التكوينات الكريتاسية والبركانية في بعض جهاته ولا سيما في تلاله المتناثرة • ويقطع هذا السهل عدد من الاودية التي تجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وأهمها وادي المر ووادي سويدية ووادي القوصة وجميعها تصب في نهر دجلة •

ان السمة الاخيرة من سمات سطح هذه المنطقة وهو السمة الهضبية هي في الواقع أبرز صفات المنطقة ، فتلالها كما رأينا هي على العموم التواءات متفرقة وواطئة بصورة عامة وأقرب الى قباب تتناثر فوق الهضاب السهلية المترامية أو الهضيات التي تقطعها الاخاديد • كما ان سهولها المذكورة أعلاه ما هي في الحقيقة سوى هضاب يغلب على سطحها التموج • فسهل حمرين يتراوح ارتفاعه بين ١٨٠ مترا و ٢٥٠ مترا ، وسهل ديكة يبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠٠ مترا ، كما يتراوح ارتفاع سهل أربيل بين ٣٠٠ مترا و ٤٥٠ مترا • فالصفة الهضبية اذن هي السائدة في صفات المنطقة ، ومع ذلك فمن الممكن تمييز وحدتين هضبيتين كبيرتين فيها هما هضبة كركوك التي تمتد شرقا وهضبة الموصل التي تمتد غربا ويفصل بينهما سهل أربيل[1] •

1. Iraq and the Persan Gulf, P. 81-97 راجع :
وكذلك هستد ، ص٢٨ـ٣٠ و٤٣ـ٤٤
والخلف ، ص٧٤ـ٧٦

أ ـ هضبة كركوك : وهي تنحصر بين الحدود العراقية ـ الأيرانية وسهل اربيل من جهتي الشرق والغرب وبين سلاسل الجبال العالية في الشمال والتلال في الجنوب ، ويتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠ مترا و ١٠٠٠ مترا. وقد تكونت هذه الهضبة نتيجة حركة ارضية قافزة وحدثت على حافتها الغربية التواءات محدبة كجبال تساق (٦٨٨ مترا) وخلخلان (١١٨٥ مترا) وشاكل (٤٠٥ مترا) ، كما امتدت على حافتها الشرقية سلاسل جبلية ، مثل بازكي زنور (١١٨٠م) . ولقد قام نهر الزاب الصغير وتوابع نهر العظيم (وهي خاصة صو وطاووق صو وآق صو) وكذلك نهر ديالى بتقطيع الهضبة الى تلال ووديان وساعد على ذلك فقر الهضبة بالنبات الطبيعي وشدة انحداراتها ووجود صخور لينة فيها . وتوجد فيها بعض السهول الفيضية الصغيرة قرب مجاري الانهار مثل سهل آق صو ، ولكن وديانها لا تصلح عموما الا لنمو حشائش فقيرة .

ب ـ هضبة الموصل : ويطلق عليها بعض الكتاب اسم هضبة آشور ، وهي تحتل الجزء الشمالي الغربي من منطقة الهضاب والتلول ، وسطحها متموج يحتوي على وديان واحواض تتخللها سلاسل واطئة من التلال مثل جبل عين الصفرة وجبل موسى ، وتغطي هذه الاحواض ترسبات غرينية وتكون خشنة او كبيرة الحجم في أطراف الاحواض أو بالقرب من الجبال ومن ضفاف دجلة القديمة ، وهي على العموم قليلة الخصوبة. ويتصل بها سهل سيتك في قسمها الشمالي وهو التواء مقعر يقع بين جبل زاوه وسلسلة شيخان (١١٠٠ مترا) . ويشطرها نهر دجلة الى شطرين متساويين تقريبا ، ويتميز القسم الشرقي بغزارة مطره مما يؤدي الى ثرائه بالعيون والينابيع ، كما تكسو بعض جباله وتلاله الاشجار والحشائش . ويرويه وادي الخوصر الذي ينبع بالقرب من القوش

ويلتقي بدجلة عند الموصل • أما القسم الغربي فهو متكون من أراضي متموجة ذات سطح غير منتظم •.

ان دراسة سطح منطقة الهضاب والتلول يكشف عن التنوع الكبير بين اجزائها المختلفة ، بالرغم من تشابهها في بعض الصفات ، مما أدى الى تنـــوع في أنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان كما سيتوضح في الدراســـة المقبـــلة •

- ٣ -

المناخ

يصنف مناخ العراق عموما بكونه ضمن المناخات شبه المدارية ، غير ان امطاره متأثرة بنظام مناخ البحر المتوسط . ولكن اذا أردنا تحديد مناخه على وجه الدقة فان صفاته الرئيسية وهي المدى الحراري المرتفع (اليومي والسنوي) ، وقلة الامطار ، وانخفاض الرطوبة النسبية ، وقصر الفصول الانتقالية تجعل مناخه قاريا شبه صحراوي . غير ان هناك تفاوتا في صفاته المناخية بين جهاته المختلفة حسب نوعية التضاريس والقرب والبعد عن المساحات المائية . ومن المعلوم ان العامل الرئيس الذي يؤثر على المناخ هو موقعه الفلكي ، أي الموقع من خطوط العرض ، ذلك ان هذا الموقع يحدد ابرز عامل يؤثر على الحرارة وهو زاوية سقوط أشعة الشمس وطول النهار ، أي الفترة التي تشرق فيها الشمس . ويقع العراق بين خطي العرض ٥٠َ ٢٩ْ شمالا و ٢٢َ ٣٧ْ شمالا ، وقد اكتسب من هذا الموقع حرارته الشبيهة بالمدارية . كذلك فان هذا الموقع يؤثر في نوع الرياح السائدة التي تهب عليه ، حيث جعل منه موقعه هذا في مهب الرياح العكسية الغربية في فصل الشتاء .

أما العامل الثاني فهو قربه من المساحات المائية . وهنا نلاحظ ان المساحات المائية التي تؤثر على مناخ العراق هي الخليج العربي وبحر العرب ويقعان في أقصى طرفه الجنوبي الشرقي ، والبحر المتوسط الذي يقع الى الغرب منه على بعد يتجاوز ١٠٠٠ كيلو مترا .

أما العامل الثالث المؤثر على مناخ العراق فهو نوعيـــة التضاريس التي تلعب دورا فعالا بالنسبة للعراق الشمالي حيث تعـــدل من حـــدة درجات الحرارة وتزيد من كمية التساقط • ويؤثر شكل التضاريس فى البلدان المحيطة بالعراق أيضا تأثيرا هاما في تحديد نوعية مناخه اذ انها تشكل العامل الاساس في مسارات الكتل الهوائية وفي هبوب الرياح واتجاهاتها بما تخلقه من ضغوط مرتفعة أو منخفضة •

وهناك تفاوت واضح في الصفات المناخية بين جهات البلاد المختلفة حسب نوعية التضاريس والبعد والقرب من المساحات المائية •• ومن الممكن القول ان هناك منطقتين مناخيتين رئيسيتين في البلاد يفصل بينهما خط العرض ٣٥° ، وهما منطقة العراق الشمالي ويتمثل فيها منـــاخ البحر المتوسط الهامشي بصيفه الحار الجاف وشتائه البارد الممطر وسمائه الصافية ، ومنطقة العراق الجنوبي (سهل الرافدين والهضبة الغربية) بحرارته شبه المدارية وأمطاره الصحراوية[1] • وهناك من يعتقد ان العراق الشمالي ينقسم بدوره الى منطقتين مناخيتين حسب كمية الامطار وموعد سقوطها وهى المنطقـــة الجبليـــة التى يتمثل فيها مناخ البحر المتوسط والمنطقة الشبيهة بالجبلية التي يتمثل فيهـــا مناخ السهوب • ولتوضيح طبيعة مناخ العراق الشمالى فاننا سندرس العناصر الرئيسة للمناخ وتأثيرها عليه •

الضغط الجوي والرياح

ان أحوال الضغط الجوي والرياح في العـــراق عموما تتأثر بنظامين رئيسيين للضغط •• ففى فصل الصيف تتركز منطقة ضغط واطىء فوق شبه القارة الهندية والخليج العربى ، يقابلها منطقة ضغط مرتفع فـوق هضبـــة الاناضول• لذلك تتجه خطوط الضغط فى شهور الصيف من الشمال الشرقى الى

---

١ ــ هستد ص١٠٢

الجنوب الغربي بميل شديد ، وتصبح الرياح السائدة خلال فصل الصيف شمالية غربية ، وتعرف محليا باسم ريح الشمال • ونظرا لعدم وجود الاضطرابات الاعصارية التي تقاطع هذه الرياح فانها تهب باتجاه واحد وبصورة متواصلة أكثر مما هي عليه في فصل الشتاء[1] • وتتصف هذه الرياح عادة بالجفاف والحرارة ، وتتراوح سرعتها أحيانا بين ٢٠-٤٠ ميلا في الساعة خلال النهار ولكنها تتلاشى أثناء الليل ، كما انها تلعب دورا ملطفا في المساء يخفف من الحرارة[2] • وتثير هذه الرياح غبارا محليا في بعض الاحيان لا سيما في الجهات الوسطى والجنوبية من البلاد وخصوصا في شهر حزيران وتموز وآب ، غير انها قلما تثير الغبار في الجهات الشمالية من العراق بسبب صلابة التربة • الا انها قد تسبب ضررا كبيرا لاشجار الفواكه •

أما في فصل الشتاء فان أحوال الرياح تتأثر بمنطقة الضغط المرتفع التي تتركز فوق الجزء الشرقي من كردستان وفوق الهضبة الارمنية – الاناضولية والتي يقابلها منطقة ضغط منخفض فوق الصحراء العربية الكبرى في شمال أفريقيا • لذلك فان خطوط الضغط تتجه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي • ويتناقص الضغط بالاتجاه غربا نحو منطقة الضغط الواطيء فوق الحوض الشرقي للبحر المتوسط وكذلك بالاتجاه جنوبا نحو المحيط الهندي • وتهب على امتداد الجانب الجنوبي لنطاق الضغط المرتفع رياح شمالية نحو منطقة الضغط المنخفض فوق شمالي أفريقيا وتخترق هذه الرياح الممرات في شمال غربي ايران وتدخل العراق فتضطرها سلاسل الجبال الممتدة في امتداد شمالي – غربي جنوبي شرقي ان تحرف اتجاهها وتجعلها رياحا

---

١ – كندرو – مناخ القارات – تعريب الدكاترة حسن طه النجم وعلي المياح وحسن الخياط ، الجزء الاول بغداد ١٩٦٧ ص٣٥٨

2. Redpath, C. H., 'Notes on the Climate of Mesopotomia', Symon Metrological Magazine, No. 54, London 1919, P. 90

شمالية ـ غربية[١] • غير ان هذا الاتجاه يقاطع فى مناسبات عديدة نتيجة لتعرض العراق للمنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط التي تهب في مقدمتها رياح جنوبية شرقية مصحوبة بسماء غائمة وبعض الامطار وبدرجات حرارة أعلى من المستويات العادية[٢] •

وهكذا تهب خلال فصل الشتاء على العراق ثلاثة أنواع رئيسية من الرياح : هي الرياح الشمالية الغربية التي تهب من الهضبة الارمنية ـ الاناضولية حاملة الدفء النسبي والطقس الجاف ، والرياح الشمالية الشرقية التي يصحبها طقس بارد جاف وسماء صافية جدا ، والرياح الجنوبية الشرقية (التي يطلق عليها محليا اسم الشرجي) وتنشأ أمام الانخفاضات الجوية المتحركة وهي دافئة نسبيا ورطبة ويصحبها في العادة غيوم وأمطار ، الا انها فى حالة جفاف سطح الارض قد تنقلب الى عواصف رملية[٣] •

الحـــرارة

ان دراسة الحرارة فى العراق تواجه صعوبة كبيرة بالنظر لقلة عدد محطات الانواء الجوية وعدم توزعها بانتظام على جهات العراق • ثم ان تسجيلاتها غير منتظمة ولا تغطي فترات طويلة عدا ثلاث محطات هي بغداد والموصل والبصرة وهي لا يمكن أن تعطي فكرة صحيحة عن جميع أنحاء العراق • ولهذا فان أحكامنا على طبيعة هذا العنصر المناخي في العراق الشمالي سيسودها التعميم وتفتقر الى الدقة •

1. 'The Climate of South East Asia', Report No. 410, Statistcs Divisions, U.S.A., Weather Bureau, P. 15

٢ ـ كندرو ـ مناخ القارات ، ص٣٥٦

3. Al-Shalash, Ali, the Climate of Iraq, Amman 1965, P. 17

وقد سبق أن أوضحنا بأن العامل الاساسي المؤثر في درجة الحرارة هو الموقع الفلكي • ويمكن القول ان العراق الشمالي ينحصر بين خطي عرض ٣٥° و٣٧° شمالا ، أي انه يقع ضمن المنطقة المعتدلة الدافئة • غير ان هناك عاملا آخر ذو أهمية رئيسية في تعديل درجة الحرارة في العراق الشمالي هو عامل التضاريس • ويبرز تأثير هذا العامل كلما اتجهنا نحو شمال أو شمال شرقي المنطقة ، ذلك لان ارتفاع الارض يزداد في هذين الاتجاهين ، حتى اذا بلغنا أقصى الشمال والشمال الشرقي اكتسبت الحرارة صفة جديدة مغايرة الى حد كبير لمعدلاتها المألوفة في الاطراف الجنوبية والجنوبية الغربية • وبعبارة أوضح فان الفروق الحرارية تكاد تقسم العراق الشمالي الى منطقتين متميزتين ، كما هو الحال في تقسيمها الطبوغرافي ، وهما المنطقة الجبلية والمنطقة الشبيهة بالجبلية أو منطقة الهضاب والتلول • وتتضح هذه الحقيقة في الجدول التالي الذي يسجل متوسطات الحرارة لمحطات تقع ضمن المنطقة الجبلية وأخرى تقع ضمن المنطقة الشبيهة بالجبلية •

جدول رقم ١

متوسطات الحرارة العظمى والصغرى بالدرجات المئوية لمحطات مختارة في العراق الشمالي(١).

الشهر	الموصل (٢٢٣متر١) العظمى	الصغرى	كركوك (٣٣١م) العظمى	الصغرى	صلاح الدين (١٠٨٨م) العظمى	الصغرى	بكرجو (٧٥٠متر١) العظمى	الصغرى	سنجار (٤٧٦م) العظمى	الصغرى
كانون٢	١٢ر٨	٢ر٥	١٣ر٧	٤ر٥	٦ر٧	٠ر٤	٩ر٢	-٠ر٥	١٠ر—	٣ر٣
شباط	١٥ر٣	٣ر٥	١٥ر٥	٥ر٥	٨ر٦	١ر١	٨ر٥	-٢ر—	١٣ر٥	٤ر١
مارت	١٠ر—	٦ر٣	١٩ر٣	٨ر٥	١٢ر٨	٥ر٢	١٥ر—	٤ر٩	١٦ر٥	٧ر٣
نيسان	٢٥ر٤	١٠ر٢	٢٥ر٥	١٣ر—	١٨ر—	٩ر٧	٢٠ر٨	٩ر٥	٢١ر٢	١١ر—
مايس	٣٢ر٩	١٥ر—	٣٢ر٩	١٨ر—	٢٤ر٥	١٥ر٦	٢٩ر٤	١٣ر٢	٢٨ر٧	١٨ر—
حزيران	٣٩ر٦	١٩ر٥	٣٩ر٩	٢٣ر—	٣٠ر٧	٢٠ر٣	٣٤ر٦	١٨ر٨	٣٥ر٤	٢٣ر٩
تموز	٤٣ر٤	٢٢ر٩	٤٢ر٨	٢٦ر٧	٣٤ر٦	٢٣ر٧	٣٩ر٥	٢٣ر—	٣٩ر١	٢٦ر٧
آب	٤٣ر—	٢١ر٨	٤٢ر٥	٢٦ر٥	٣٤ر٩	٢٣ر٧	٣٨ر٥	٢٢ر٨	٣٩ر—	٢٦ر٥
أيلول	٣٨ر—	١٦ر٦	٣٨ر٣	٢٢ر٤	٣٠ر٩	٢٠ر٥	٣٥ر٦	١٩ر٥	٣٤ر١	٢٢ر٣
تشرين١	٣١ر٢	١١ر٤	٣١ر٦	١٧ر٢	٢٣ر٩	١٤ر٩	٢٩ر٥	١٤	٢٧ر١	١٦ر٩
تشرين٢	٢٢ر٣	٢٧ر—	٢٣ر—	١١ر٣	١٦ر—	٨ر٧	١٨ر—	٧ر٥	٢١ر٥	١٠ر٩
كانون١	١٥ر١	١٣ر٣	١٦ر١	٦ر٨	٩ر٤	٣ر٢	٩ر—	٠ر٩	١٢ر٨	٤ر٨

(١) مأخوذ من سجلات دائرة الانواء الجوية في بغداد وتشتمل متوسطات الموصل وكركوك للفتـــرة ما بين ١٩٤٠ـ١٩٧٠ ، ومتوسطات سنجار للفترة ما بين ٦٢ـ١٩٧٠ ، ومتوسطات صلاح الدين للفترة ما بين ٦٧ـ١٩٧٠ ، ومتوسطات بكرجو للفترة ما بين ٧١ـ١٩٧٢ .

ومع أن الجدول المذكور أعلاه لا يمثل درجات الحرارة في المنطقة الجبلية تمثيلا دقيقا لانه لم يؤخذ لفترات طويلة ، الا أن من الواضح أن درجات الحرارة تعتدل في أشهر الصيف كلما ازداد ارتفاع الارض وكلما صعدنا الى خطوط العرض العليا . وينبغي أن نؤكد أيضا ان محطتي صلاح الدين وبكرهجو لا تمثلان الاقسام المرتفعة من المنطقة الجبلية تمثيلا صحيحا . فالمعروف ان ارتفاع الارض ضمن المنطقة الجبلية ينحصر بين خطي الكونتور ١٠٠٠ مترا الى ما يتجاوز ٣٠٠٠ مترا ، بينما لا يكاد ارتفاع أية محطة من المحطات المذكورة يتجاوز ١٠٠٠ مترا . وهكذا فان درجات الحرارة في الجهات المرتفعة من المنطقة الجبلية هي أشد انخفاضا في أشهر الشتاء وأكثر اعتدالا في أشهر الصيف . ففي فصل الشتاء تنخفض درجات الحرارة في بعض المواضع الى الصفر المئوي لعدة أسابيع وتبقى الثلوج متراكمة لمدة شهرين على ارتفاع يتجاوز ١٠٠٠ مترا في السفوح المواجهة للجهة الشمالية ، حتى أن هذه الثلوج تسبب مثلا قطع طريق راوندوز ـ الحاج عمران وطريق دهوك ـ العمادية لبضعة أسابيع . ويمكن القول ان حدود خط الثلج الدائم في هذه الجهات يقع ضمن ارتفاع يتراوح بين ١٠٠٠ مترا الى ١٥٠٠ مترا .

وما عدا الجهات الشديدة الارتفاع في العراق الشمالي فان من الممكن القول عموما بأن هناك تفاوتا قليلا في درجات الحرارة بين منطقة العراق الشمالي والمنطقتين الوسطى والجنوبية من البلاد ، ولاسيما في أشهر الصيف . ويوضح هذه الحقيقة الجدول التالي الذي يسجل متوسطات الحرارة الصغرى والعظمى لكل من بغداد والديوانية اللتين تمثلان المنطقة الوسطى ، والعمارة والبصرة اللتين تمثلان المنطقة الجنوبية .

جدول رقم ٢

متوسطات الحرارة العظمى والصغرى الشهرية لمحطات وسط وجنوبي البلاد(١)

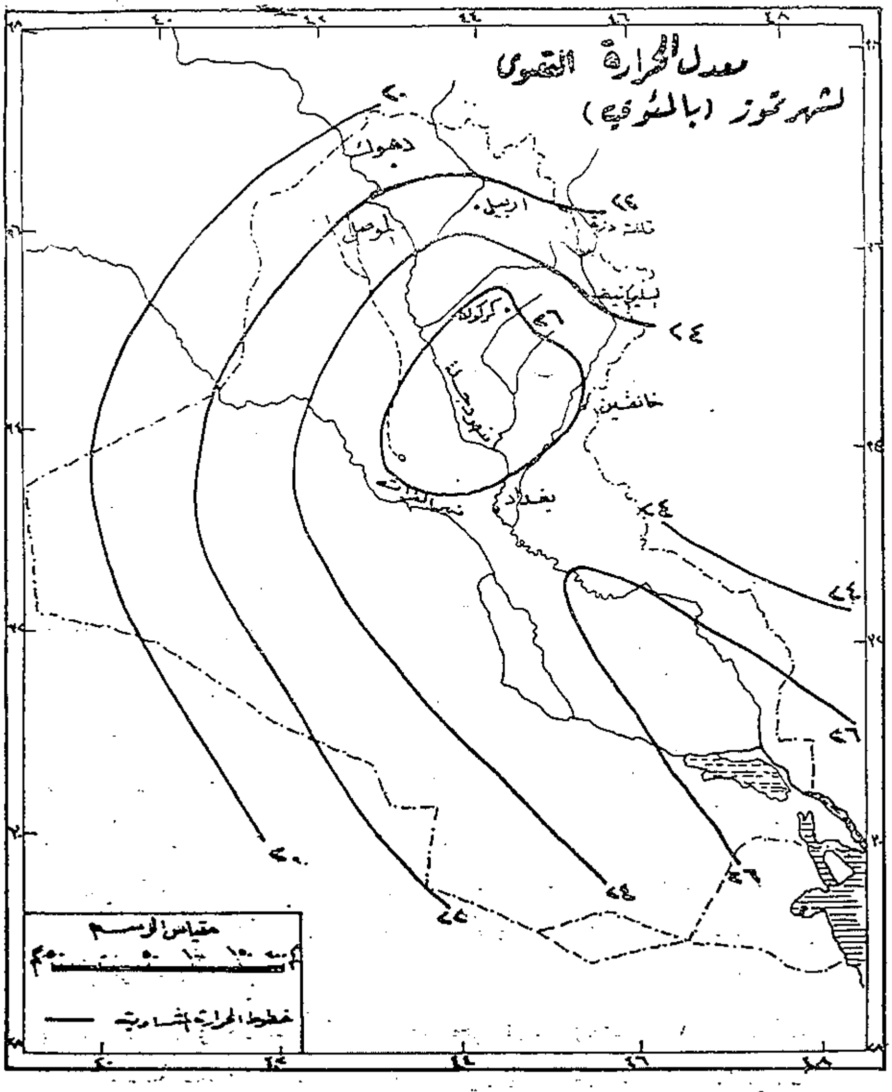
الشهر	بغداد العظمى	بغداد الصغرى	الديوانية العظمى	الديوانية الصغرى	العمارة العظمى	العمارة الصغرى	البصرة العظمى	البصرة الصغرى
كانون٢	١٥ر٨	٤ر٣	١٧ر١	٥ر١	١٨ر١	٦ر١	١٨ر٦	٧رـ
شباط	١٨ر٧	٥ر٩	١٩ر٧	٥ر٨	١٩ر٣	٦ر٦	٢١رـ	٨ر٧
مارت	٢٢ر٧	٩ر٦	٢٤ر٤	٩ر٦	٢٥ر٩	١١ر٩	٢٥ر٣	١٢ر٦
نيسان	٢٨ر٧	١٤ر٦	٣٠ر١	١٤ر٥	٣٠ر١	١٥ر٨	٣٠ر٨	١٨رـ
مايس	٣٥ر٨	٢٠رـ	٣٤ر٨	٢٠رـ	٣٧ر٥	٢١ر٧	٣٦ر١	٢٣ر٧
حزيران	٤١رـ	٢٣ر٤	٤١رـ	٢٣ر١	٤١ر٧	٢٤ر٦	٣٨ر٨	٢٦ر٩
تموز	٤٣ر٤	٢٥ر٣	٤٢ر٧	٢٤ر٣	٤٣ر٧	٢٥ر٨	٤٠ر٥	٢٧ر٧
آب	٤٣ر٣	٢٤ر٦	٤٢ر٩	٢٣ر٦	٤٣ر٥	٢٤رـ	٤١ر٣	٢٦ر٣
أيلول	٣٩ر٨	٢١رـ	٤٠ر١	٢٠ر٣	٤١ر٢	٢٠رـ	٣٩ر٧	٢٢ر٦
تشرين١	٣٣ر٤	١٦ر٢	٣٤ر٥	١٥ر٨	٣٤ر٦	١٧ر٢	٣٥رـ	١٨ر٣
تشرين٢	٢٤ر٦	١٠ر٣	٢٥ر٦	١٠ر٤	٢٦ر٧	١٢رـ	٢٦ر٧	١٣ر٢
كانون١	١٧ر٧	٥ر٥	١٨ر٦	٦ر٤	٢٠رـ	٦ر٨	٢٠رـ	٨رـ

(١) مأخوذ من احصاءات دائرة الانواء الجوية التي سجلت للفترة ما بين ١٩٤١ـ١٩٧٠ (عدا العمارة فاحصائياتها للفترة ما بين ٦٦ـ١٩٧٠) .

من الواضح اذن أن الفروق الحرارية بين محطات العراق الشمالي ومحطات المنطقتين الوسطى والجنوبية ضئيلة نسبيا ، ولاسيما في فصل الصيف . فبينما يبلغ متوسط الحرارة القصوى لشهر تموز ٣٤٫٦ مئوى في مصيف صلاح الدين ، و ٤٣٫٤° مئوى في الموصل ، يبلغ في بغداد ٤٣٫٤° مئوي ، وفي البصرة ٤٠٫٥° مئوي . وتعزى ضآلة هذه الفروق الحرارية بين المحطات المختلفة الى طول النهار وشدة الاشعاع الشمسي وقلة الرطوبة النسبية في جميع جهات البلاد . غير ان الفروق في درجات الحرارة واضحة نوعما في أشهر الشتاء بين محطات العراق الشمالي ومحطات المنطقتين الوسطى والجنوبية . فبينما يبلغ متوسط الحرارة العظمى لشهر كانون الثاني ٦٫٧° مئوي في مصيف صلاح الدين ، و ١٢٫٨° مئوي في الموصل ، يبلغ في بغداد ١٥٫٨° مئوي ، وفي البصرة ١٨٫٦° مئوي . ان هذا الفرق الواضح في درجات الحرارة لاشهر الشتاء بين محطات العراق الشمالي ومحطات المنطقتين الوسطى والجنوبية يمكن تعليله بأثر انتقال الشمس الظاهري نحو الجنوب (الى مدار الجدي) ، مما يؤدي الى قصر النهار وقلة الاشعاع الشمسي في العراق الشمالي على نحو الخصوص ، فضلا عن زيادة الايام الغائمة فيه عما هي عليه في المنطقتين الوسطى والجنوبية .

وعلى أية حال فان الجدول الاسبق يوضح أيضا الحقائق التالية عن الاحوال الحرارية في العراق الشمالي . فالصيف يبدأ منذ أواخر نيسان أو أوائل مايس وينتهي في اواسط تشرين الاول ، فيدوم بذلك حوالي ستة أشهر . وترتفع درجات الحرارة ارتفاعا عظيما خلال أربعة اشهر ابتداءا من شهر حزيران حتى نهاية ايلول ، وتبلغ اقصاها في شهري تموز واب (يوليو واغسطس) (انظر شكل رقم ٧) .

ويساعد صفاء السماء وطول النهار وكتل الهواء القارية الحارة الجافة على رفع درجة الحرارة بدرجة عظيمة . غير أن هناك عاملان يخففان من شدة



شكل رقم ٧ ـ معدلات الحرارة القصوى في فصل الصيف (لشهر تموز)
بالدرجات المئوية . (عن الاطلس المناخي ـ مديرية الانواء الجوية)

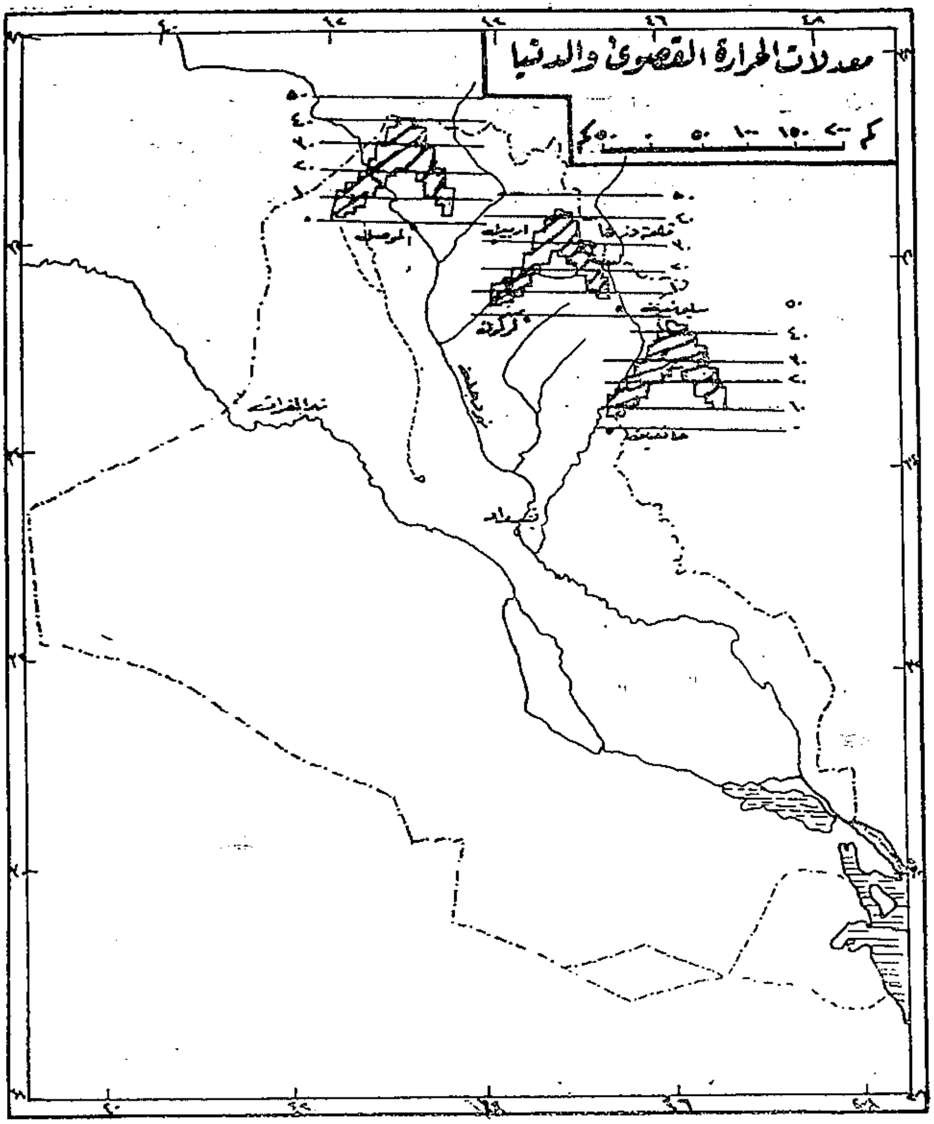
الحرارة هما متوسط الرطوبة النسبية الواطيء ونسائم الجبل • فقد بلغت متوسطات الرطوبة النسبية لصلاح الدين مثلا ٢٨٪ و٢٨٪ و٢٤٪ و٢٨٪ لاشهر حزيران وتموز وآب وأيلول على التوالى • وبلغت في الموصل ٣١٪ و٢٨٪ و٣٠٪ و٣٧٪ على التوالي لنفس الاشهر[١] •

ان هذا المتوسط المنخفض يخفف من وطأة الحرارة على الاعصاب اذ يسمح بتبخر العرق من جسد الانسان وبالتالي يؤدي الى انخفاض درجة حرارة الهواء حواليه • وتأخذ الرطوبة النسبية بالارتفاع كلما اقترب موسم الامطار ، وتبلغ أقصاها فى شهر كانون الاول وكانون الثانى (ديسمبر ويناير) فتصل الى متوسط عال نسبيا (حوالي ٨٠٪ و٨٢٪ على التوالي لمدينة الموصل مثلا و٧٣٪ و٧٧٪ على التوالى لمصيف صلاح الدين) •

كذلك يوضح الجدول المذكور صفة أخرى من صفات الحرارة فى المنطقة ، وهو الفرق الكبير ما بين متوسط الحرارة العظمى ومتوسط الحرارة الصغرى ، أي ان مدى الحرارة اليومى كبير جدا • وهو يزداد بشكل خاص فى فصل الصيف ، حيث يبلغ فى بكرهجو ٥ر١٦°م و٧ر١٥°م و ١ر١٦°م في تموز وآب وأيلول على التوالي • كما يبلغ في مدينة الموصل ٣ر٢١°م و ٢ر٢١°م و ٤ر٢١°م في تموز وآب وأيلول على التوالي • ويعزى انخفاض درجة حرارة الليل الى الاشعاع السريع لحرارة النهار عقب غروب الشمس حيث تيسر السماء الصافية عملية الاشعاع من سطح الارض ، كما يعزى أيضا الى حالة التصريف الهوائى أو نسائم الجبل الباردة التى تهب من المرتفعات الى الاودية وخاصة فى الجهات الجبلية •

ومن الملاحظ أيضا أن مدى الحرارة السنوي عظيم أيضا ، مما يكسب المنطقة صفة المناخ القاري ، ويبلغ الفرق بين المعدل العام لحرارة أشهر

١ ــ مستقاة من سجلات دائرة الانواء الجوية في بغداد •

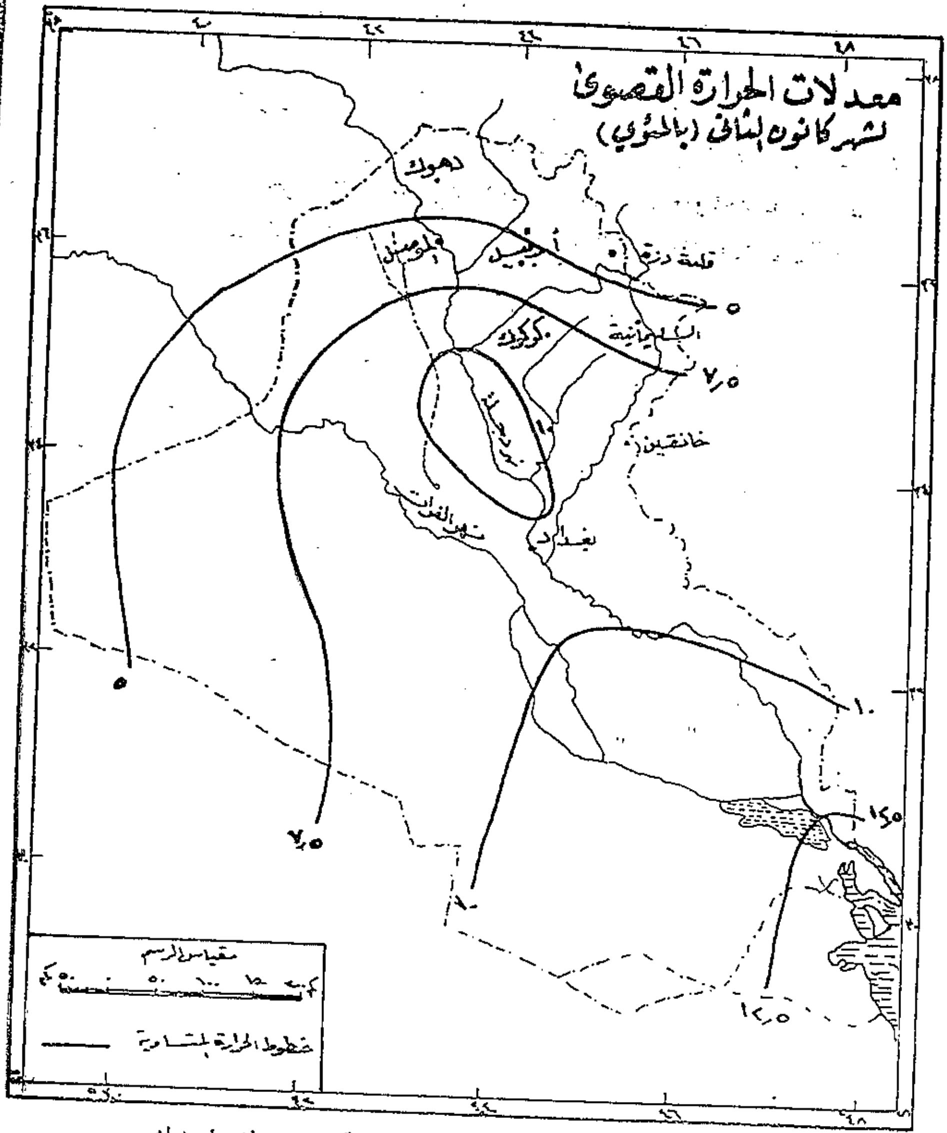


شكل رقم ٨ ـ معدلات الحرارة العظمى والصغرى السنوية لمحطـات العراق الشمالي (عن الاطلس المناخي ـ مديرية الانواء الجـوية)

الصيف تموز وآب وأيلول ، وأشهر الشتاء كانون الأول وكانون الثانى وشباط ٨ر٢٢°م و٦ر٢٥°م و٨ر٢٠°م على التـــوالي لمصيف صلاح الدين و١٩°م و٨ر٢٥°م و١٨°م على التوالى لمدينة الموصل • غير انه لابد من الاشارة الى ان مدى الحرارة اليومى والسنوي فى العراق الشمالى أقل مما هو عليــه في العراق الجنوبي (أنظر شكل رقم ٨) •

وتبدأ الحرارة بالهبوط السريع فى نهاية شهر تشرين الاول وتبلــغ أدناها في شهري كانون الثاني وشباط (أنظر شكل رقم ٩) • ومـــع ان كانون الثاني هو أشد شهور السنة برودة في جميع أنحاء القطر ، الا أن شهر شباط عموما يبلغ نفس درجات كانون الثانى • ومن الملاحظ ان متوسط حرارة هذين الشهرين فى مصيف صلاح الدين تبلغ ٥ر٣°م و٩ر٤°م عـــلى التوالي ومتوسطهما في مدينة الموصل ٩ر٧°م و٩ر٤٠°م عـــلى التوالي • ويحدث الصقيع خلال هذين الشهرين وكذلك فى أواخر شــــهر كانون الاول ، كما تسقط الثلوج بضعة مرات في كل شهر • ومن الواضـــح ان مدى الحرارة اليومى الشتوى هو أقل ارتفاعا بكثير من مدى الحرارة اليومى الصيفى كما توضحه الارقام المذكورة ، وذلك لان النهار يتلقى حرارة أقل في أيام الشتاء ، كما ان الاشعاع الذى يبدأ بعد الغروب لا يكـــون بنفس القوة بسبب تأثير الرطوبة النسبية العالية •

ومن الجدير بالذكر ان أرقام الحرارة التى ذكرت أعلاه لا توضـــح الحالة الحقيقية للحرارة فى جميع جهات العراق الشمالى ، ولا سيما فى الجهات الجبلية المرتفعة منه • والحقيقة ان تلك الارقام لا توضـــح الا حالة الجهات التى تقع تحت مستوى الخط الكنتورى ١٠٠٠ مترا • وقــد سبق ان أوضحنا بأن ارتفاع الارض فى بعض الجهات يتجاوز خط الكونتور ٣٠٠٠ مترا وتتميز أمثال تلك المناطق بشتاء أكثر برودة حيث يبلغ متوسط



شكل رقم ٩ — معـــدلات الحرارة الصغرى في فصل الشتاء (لشهر كانون الثاني) لمحطات العراق الشـــمالي (عن الاطلس المنـــاخي — مديرية الانواء الجوية)

الحرارة ٢°م خلال شهري كانون الثاني وشباط وقد ينخفض دون الصفر المئوي لبضعة أسابيع ، كما تتصف بصيف أقل حرارة اذ يبلغ متوسط الحرارة حوالى ٢٢°م مئوي في شهري تموز وآب • وتأخذ درجة الحرارة بالهبوط كلما تقدمنا نحو الجهات الشمالية الشرقية على الخصوص •

الامطار

تعتبر المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط السبب الرئيسي للتساقط في العراق[١] ، فهو اذن يخضع في نظام امطاره لنظام البحر المتوسط الهامشي التي تتسبب أمطاره من الاعاصير التي تصحب الرياح الجنوبية الغربية •

وقد ذكرنا بأن العراق محاط في فصل الشتاء بضغط مرتفع في جهاته الشرقية والغربية يمتد فوق هضبة الاناضول والهضبة العربية والهضبة الايرانية ، كما انه محاط من الجهة الجنوبية الغربية بضغط منخفض فوق الخليج العربي ، وتتوسط هاتين المنطقتين منطقة ضغط منخفض نسبيا تحتل حوض وادي الرافدين ، وتمتد امتدادا شماليا ـ غربيا ، جنوبيا ـ شرقيا فتربط منطقة الضغط المنخفض فوق البحر المتوسط بمنطقة الضغط المنخفض فوق الخليج العربي • ان منطقة الضغط المنخفض هذه تيسر مرور انخفاضات البحر المتوسط من الغرب الى الشرق • وفي أثناء مرور هذه الانخفاضات تهب رياح جنوبية شرقية من الخليج العربي وتسود البلاد أمطار غزيرة وزوابع رعدية ، ثم تهب الرياح الشمالية الغربية الباردة في أعقاب تلك الانخفاضات تصاحبها سماء صافية وأحوال مناخية مستقرة[٢] • وترتبط أعلى كمية من الامطار بالفترة التي تحدث فيها أعلى مقدار من هذه الانخفاضات ، وذلك في شهري كانون الثاني وشباط • وقد تبقى بعض تلك

١ ـ كندرو ـ مناخ القارات ، ص ٣٥٧ •

2. Al-Shalash, P. 20-21

الانخفاضات لعدة أيام مسببة أمطارا ثقيلة بينما قد يبقى بعضها في أحيان أخرى لبضعة ساعات فقط يسقط أثناءها كمية من المطر تتراوح بين ١٠-٣٠ ملمترا . ويختلف عدد هذه الانخفاضات اختلافا عظيما حسب موقع المنطقة من خطوط العرض ، فمن مجموع (١٢٠) انخفاضا دخلت العراق خلال السنوات الثلاث (١٩٣٨-١٩٤٠) ، دخلت حوالى ٨٥ منها (حوالى ٧٠٪) القسم الاوسط من البلاد فيما بين خطي عرض ٣٢° و٣٦° شمالا . وقد بلغت أقصى أعدادها في شهر شباط وأقل اعدادها في شهر مايس وتشرين الثاني[١] . ويمكن القول عموما بأن هذه الانخفاضات يتكرر مرورها ثلاث مرات في الشهر بين تشرين الثاني ومارت[٢] .

ويسقط بالاضافة الى الامطار الاعصارية مقدار محدود من الامطار الانقلابية (التصعيدية) لا سيما في فصلي الربيع والخريف ، وهي تتسبب عن شدة تسخين الارض .

وتدوم الامطار من أواسط تشرين الاول حتى شهر مايس ، وتبلغ أقصاها في كانون الثاني وشباط . وتنعدم الامطار في بقية العام حتى أوائل تشرين الثاني .

ويختلف متوسط المطر السنوي من منطقة الى أخرى من مناطق البلاد ، وهو في العراق الشمالي أعلى كمية من العراق الجنوبي ، ويعود ذلك الى ارتفاع الارض والى ظروف أخرى . ويعتقد فيشر Fisher بأن مرور الانخفاضات الجوية على المنطقة الجنوبية من البلاد ذات الاهوار الواسعة وعلى الطرف الجنوبي للخليج العربي يزيد من كمية بخار الماء فيها فتستفيد من ذلك منطقتي التلال والجبال[٣] . وهناك من يعتقد بأن عامل الارتفاع في المنطقة الشمالية هو عامل أساسي في غزارة أمطارها ، وان

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦

٢ ـ هستد ، ص ٣٧

3. Fisher, P. 356.

أمطارها تضاريسية بقدر ما هي اعصارية مما يجعل كمية الامطار السنوية فيها تتأثر محليا تأثرا عظيما بالظروف الطوبوغرافية[1] •

وهكذا تختلف كمية المطر ضمن العراق الشمالي من مكان الى آخر تبعا لاختلاف الارتفاعات وتبعا لمواضع محطات الرصد ان كانت في السفوح المواجهة للرياح المحملة ببخار الماء أم في ظل المطر ، وهي تزداد كلما ارتقينا نحو الشمال الشرقي • وبعكس الحال بالنسبة لعنصر الحرارة ، فان الفروق تكون واضحة جدا في كمية التساقط بين المنطقة الشمالية بصورة عامة وبين المنطقتين الوسطى والجنوبية • ويوضح الجدول التالي هذه الحقيقة •

جدول رقم ٣

معدل المطر السنوي بالملمترات لمحطات مختارة(٢)

المحطة	متوسط المطر السنوي (بالملمتر)	فترة القياس (بالسنوات)
بنجوين	١١٤١ر-	بين ١٥–١٩
السليمانية	٧٠٦ر-	بين ١٤–١٧
العمادية	٨٨١ر-	بين ١٥–٢٢
الموصل	٣٩١ر٩	بين ٢٩–٣٠
كركوك	٣٧٤ر٤	٣٠
حويجة	٢٥٨ر٣	بين ٢٦–٢٨
خانقين	٣٠٠ر٧	٣٠
بغداد	١٤٦ر٩	٣٠
الديوانية	١١٨ر٥	٣٠
الناصرية	١١١ر٦	٣٠
البصرة	١٤٠ر-	٣٠

1. Harza Engineering Co., Hydrological survey of Iraq, Baghdad 1963, Appenidx A., vol. 11, P. A 61-2

٢ ـ ماخوذ من سجلات دائرة الانواء الجوية ببغداد •

وتمثل محطات بنجوين والسليمانية والعمادية المنطقة الجبلية المرتفعة ، وتمثل محطات الموصل وكركوك والحويجة وبنجوين محطات المنطقة شبه الجبلية ، في حين تمثل بغداد والديوانية والناصرية والبصرة محطات العراق الاوسط والجنوبي • ومن الواضح ان هناك فرق عظيم بين ما تتسلمه المنطقة الشمالية من الامطار وبين ما تتسلمه المنطقتان الوسطى والجنوبية •

وهناك فرق آخر مهم بين أمطار العراق الشمالي وأمطار العراق الجنوبي يتمثل في نسبة أمطار الشتاء الى أمطار الربيع • فالموصل مثلا تتسلم كمية من المطر خلال شهري شباط ومارت اكثر مما تتسلمه بغداد في هذه الفترة ، ويكون هذا الفرق اكثر وضوحا في شهري مارت ونيسان • ويعزى سبب زيادة مطر الشمال في فصل الربيع عن مطر الجنوب الى مسار الاعاصير في هذا الفصل ، حيث تتبع طريقا شماليا ولا تؤثر على جنوب العراق الا بمقياس قليل وبذلك تكون امطاره قليلة • كما يرجع ايضا الى ما يحدث من فروق حرارية واضحة في المنطقة الشمالية بين حرارة سطح السهول والمرتفعات المجاورة بسبب ذوبان الثلوج وبرودة المرتفعات • (أنظر شكل رقم ١٠) • ولهذه الظاهرة المطرية أهمية عظمى بالنسبة للزراعة الديمية في العراق الشمالي حيث تتسلم المزروعات كمية كافية من الامطار خلال دور نموها الاخير[١] •

ولابد من التأكيد ايضا بأن هناك فروق واضحة في كمية التساقط السنوية ضمن منطقة العراق الشمالي نفسها ، وترجع تلك الفروق بالدرجة الاولى الى التباين في تضاريس المنطقة كما يوضح ذلك الجدول التالي الذي يعطي معدلات الامطار في محطات متباينة الارتفاع من العراق الشمالي •

---

١ ــ هستد ، ص ٩٥ــ٩٦

جدول رقم (٤)

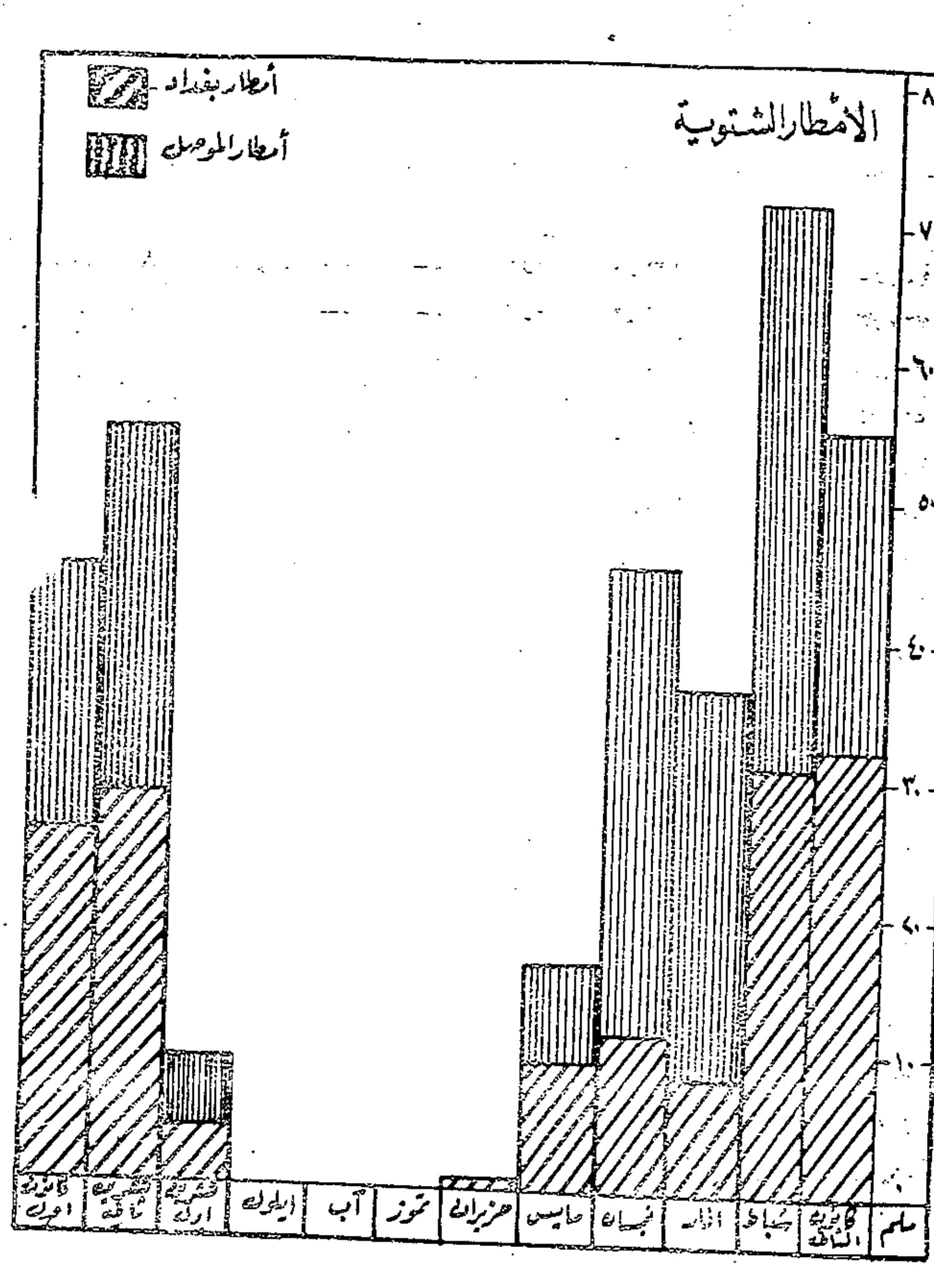
معدلات الامطار السنوية بالملمتر لمحطات مختارة في العراق الشمالي(١)

المحطة	الارتفاع (بالامتار)	فترة التسجيل (بالسنوات)	كانون٢	شباط	مارت	نيسان
بنجوين	١٣١١	١٥-١٩	٢١٨ر٩	٢٠٠ر٩	٢١٦ر٨	١٣١ر٨
چوارتا	١٣٥٦	١١-١٧	١٤٧ر٤	١٤٢ر١	١٦٧ر٩	١٠٩ر١
سليمانية	٨٥٣	١٤-١٧	١٢٦ر٣	٩٨ر٣	١٣٩ر١	١٠٥ر٤
جمجمال	٧٠١	١٤-١٨	١١٩ر٢	٩٥	١٠٥	٦٧ر٩
كركوك	٣٣١	٣٠	٦٠ر٢	٦٣ر٢	٧٥ر٣	٥٠ر٧
حلبجة	٧٤٢	٢٢-٢٧	١١٢ر٥	٩٩ر-	١١٣ر٧	٨٤ر٩
خانقين	٢٠٢	٢٦	٥٤ر٧	٤٢ر-	٦٦ر٧	٣٢ر-
حويجة	٣٠٥	٢٦-٢٨	٤١ر-	٤١ر٣	٤٥ر٩	٤٣ر٢
شقلاوة	٩٢٠	١٩-٢٤	١٤٨ر٦	١٩٦ر٣	١٦٣ر٤	١٠٩ر٥
زاخو	٤٤٢	١٤-٢٠	١٥٠ر٧	١٠٧ر١	١١٤ر٤	٩٣ر٢
العمادية	١٢١٠	١٥-٢٢	١٢١ر٦	١٢٩ر٢	١٤٩ر٣	١٤٣ر٥
سرسنك	١٠٤٦	١٤-٢٠	١٤٠ر٧	١٦٩ر١	١٧٥ر٧	١٢٣ر٧
دهوك	٨٦٠	١٩-٢٦	١٠٣ر-	٨٤ر١	١٠٥ر٩	٧١ر٤
عقرة	٧١٦	١٨-٢٤	٢٠٤ر٩	٢٠٣ر٤	٢١٣ر٤	١٣٤ر٢
ديانا	٧٠٠	١٢	١٢٣ر٤	١٢٧ر٥	١٤٣ر٨	١٢٤ر٤
صلاح الدين	١٠٨٨	١٥-١٩	١٠٩ر٧	٩٢ر٥	١٠٦ر٢	٨٩ر٣
راوندوز	١٠٠٦	٢٠-٢٣	١٤٤ر٣	١٨٢ر-	١٧٢ر٩	١٣١ر-
تلعفر	٢٧٣	٢٥-٣٠	٦١ر٣	٤٧ر٣	٦٣ر-	٤٣ر-
سنجار	٤٧٦	٢٦-٢٩	٨٢ر٢	٦٢ر٦	٦٦ر٨	٥٢ر٥
موصل	٢٢٣	٢٩-٣٠	٦٧ر٢	٦٣ر٤	٦٩ر٣	٥٠ر٨
اربيل	٤١٤	١٨-٢٠	٩٤ر١	٨١ر٧	٨٧ر٨	٥٥ر٣
كويسنجق	٦١٠	٦-٩	١٤٠ر٢	٨١ر٥	١٠٧ر١	١٢٤ر٧
دوكان	٤٥٩	١٤	١٣٦ر٧	١١٠ر-	١٣٧ر٣	١٣٧ر٢
القيارة	١٨٠	٧-١٤	٥٨ر٢	٥٠ر٦	٤٨ر٢	٥٤ر٧
مخمور	٢٧٠	٥-٧	٧٤ر٨	٣١ر١	٨٠ر٦	٦٩ر٩

١ ـ مأخوذ من سجلات دائرة الانواء الجوية ببغداد ، وقد سجلت للفترة فيما بين ١٩٤٠ ـ ١٩٧٠

تابع : جدول يمثل معدلات الامطار السنوية لمحطات مختارة

مايس	حزيران	تموز	آب	ايلول	تشرين١	تشرين٢	كانون١	المعدل السنوي
٣٣ر٤	٩ر٨	—	—	—	١٧ر٢	١٢٧ر١	١٥٦ر٥	١١٤١ر-
٤٩ر٣	—	—	—	—	١٠ر٢	٧٧ر٢	١٠٤ر-	٧٦٧ر٣
٤٩ر٣	٠ر٥	—	—	—	١٦ر٢	٨٠ر٥	١٠٧ر١	٧٠٦ر-
٣٥ر٩	٢ر٧	—	—	—	٣ر٥	٤٥ر٩	٦٥ر٥	٥٦١ر٥
٢٠ر٧	٠ر٣	—	—	٠ر١	٤ر١	٤٠ر٢	٥٧ر٨	٣٧٤ر٤
٤٠ر٢	٠ر٣	—	٠ر٣	—	١٣١ر-	٦٧ر٥	٩٤ر٤	٦٠٥ر٥
١٨ر٤	٠ر٣	٠ر٢	٠ر١	٠ر١	٢ر٩	٣٢ر١	٤٦ر١	٣٠٠ر٧
١٥ر٩	٠ر٢	—	—	—	٣ر١	٣٣ر٥	٤١ر٩	٢٥٨ر٣
٣٦ر-	٠ر١	—	—	١ر-	٢٠ر٦	٧٨ر٣	١٤١ر١	٩٥١ر٥
٤٢ر٥	—	—	—	—	٢٢ر٣	٨٦ر-	١١٨ر٤	٦٩٧ر٣
٧١ر-	٠ر٦	—	٠ر٥	٠ر٩	٢٥ر-	٩٨ر٩	١٣٢ر٣	٨٨١ر٨
٦٢ر٧	٢ر٨	—	—	١ر١	١٥ر٨	١٠١ر٧	١٤٠ر٨	٩٢٦ر٨
٣٢ر٣	٠ر٩	—	—	٠ر٩	١٥ر-	٦٣ر١	١٠٤ر٦	٦٢٦ر٤
٣٧ر٦	—	—	—	٠ر٣	٢٤ر٨	١٠٤ر٧	١٤٦ر٩	٩٣٥ر١
٤٣ر٥	٣ر-	—	٠ر٣	٢ر١	٤١ر٤	٧٥ر-	١٣٦ر٤	٨١٢ر٤
٥٣ر٢	٠ر٤	—	—	—	١٣ر٥	٩٠ر١	٩٦ر٥	٨١٢ر٦
٦١ر٦	—	—	—	٠ر٥	٣٠ر-	٩٧ر٨	١٢٧ر٢	٩٧٩ر٧
٢٤ر-	—	—	—	٠ر٣	٥ر٣	٣٠ر٨	٨٥ر٩	٣٥٧ر٧
٣٤ر٧	٠ر٣	—	—	٠ر٥	٧ر٧	٣٣ر٧	٧٣ر٩	٤٠٣ر٥
٢٥ر٣	٠ر٧	٠ر١	—	٠ر٧	٩ر٩	٣٦ر١	٦٥ر٣	٣٩١ر٩
٥٥ر٩	—	—	—	—	٦ر-	٣٧ر١	٧٤ر٩	٤٧٤ر٣
٦٠ر٦	٣ر٤	—	—	—	٥ر٢	٩٩ر٣	١١٢ر٩	٦٧٨ر٧
٥٣ر٤	١ر٥	—	٠ر٦	—	١٧ر٦	٨٢ر٩	١٣٢ر٧	٧٨٦ر١
٣٠ر٩	—	—	—	—	١٠ر٩	٣٠ر٧	٥٤ر٥	٣٦٢ر-
٢٠ر٤	—	—	—	—	٧ر٨	٤٥ر١	٥٣ر٥	٣٦٣ر٤

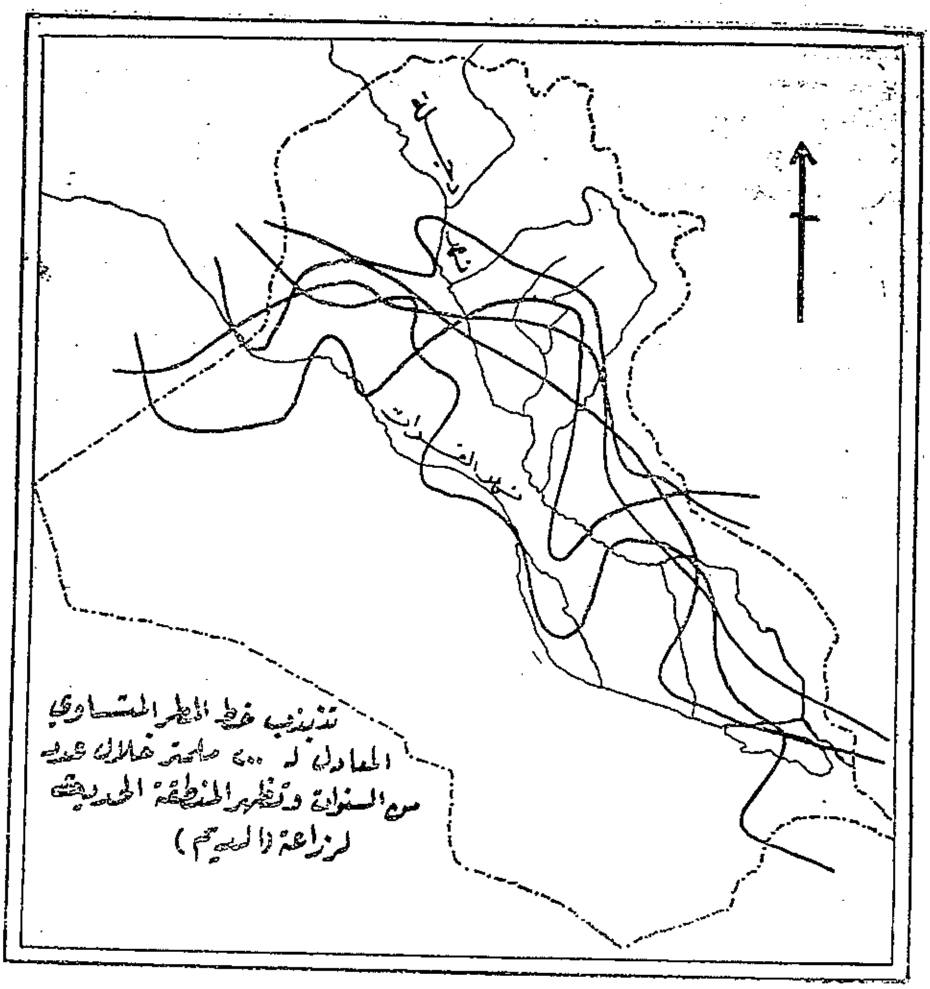


شكل رقم ــ١٠ــ مقارنة بين معدلات أمطار الموصل وبغداد (عن هستد)

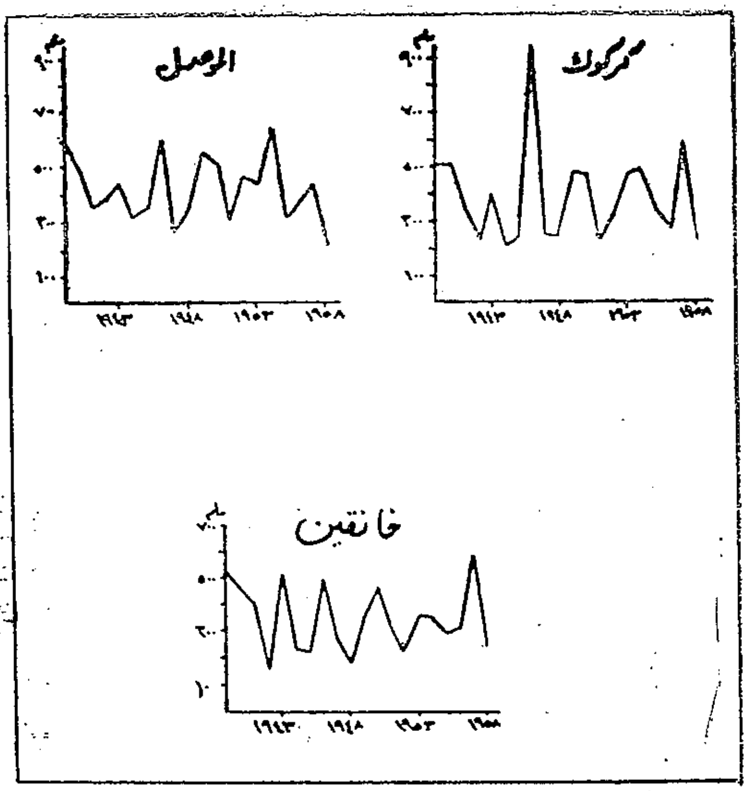
وهكذا يوضح الجدول المذكور أعلاه اثر التضاريس في تفاوت كميات التساقط في جهات العراق الشمالي • ففي المحطات التي تمثل المنطقة الجبلية مثل بنجوين والعمادية وراوندوز وصلاح الدين والسليمانية تبلغ معدلات الامطار السنوية ١١٤١ ملمترا و٨ر٨٨١ ملمترا و ٧ر٩٧٩ ملمترا و٦ر٨١٢ ملمترا و ١ر٧٠٦ ملمترا على التوالى ، بينما تبلغ المعدلات في محطات المنطقة الشبيهة بالجبلية أو منطقة الهضاب والتلول وهي أقل ارتفاعا مثل تلعفر والموصل وخانقين وكركوك والحويجة والقيارة ٧ر٣٥٧ ملمترا ، و ٩ر٣٩١ ملمترا ، و ٧ر٣٠٠ ملمترا ، و ٤ر٣٧٤ ملمترا ، و ٣ر٢٥٨ ملمترا ، و ٣٦٢ ملمترا على التوالي • (أنظر شكل رقم ١١) •

ان هذه الفروق في كميات التساقط بين محطات العراق الشمالى المختلفة ذات اهمية خاصة بالنسبة للزراعة الديمية • ففيما يتعلق بالمنطقة الجبلية فانها يمكن ان تعتمد اعتمادا تاما على الامطار في زراعتها الشتوية • اما منطقة الهضاب والتلول او المنطقة الشبيهة بالجبلية فهى معرضة لاخطار الجفاف في زراعتها الديمية ولا سيما في قسمها الجنوبى والجنوبى الغربى • وبالرغم من أن معظم الكتاب اعتبروا خط المطر السنوي ٣٠٠ ملمترا يمثل الحد الجنوبى للزراعة المطرية (كما اعتبره البعض خط المطر ٢٠٠ ملمتر) الا انه في الحقيقة لا يمثل درجة عالية من الامان بالنسبة للجهات التي يمر بها ، وهى القسم الجنوبى والجنوبى الغربى من منطقة الهضاب والتلال • فهذا الخط عرضة لذبذبة عالية ، وكثيرا ما انحرف نحو شمال مساره انحرافا شديدا وعرض جهات واسعة من المنطقة للجفاف • (انظر شكل ١٢ و ١٣) •

غير ان الذبذبة العالية في كمية التساقط لا تشمل المنطقة الشبيهة بالجبلية من العراق الشمالى فحسب ، بل تشمل المنطقة الجبلية ايضا • ويكشف الجدول التالى هذه الحقيقة •



شكل ١٢ ــ تذبذب خط المطر المتساوي المعادل لـ (٢٠٠) ملمترا (عن هستد)



ذبذبة كمية الأمطار السنوية من ١٩٣٩ - ١٩٥٨

شكل ١٣ – ذبذبة الامطار لمحطات مختارة في العراق الشمالي خلال عدد من السنين (عن القصاب) .

وتتركز الامطار في ايام محدودة من الاشهر الممطرة ، ولا سيما في أشهر كانون الثاني وشباط ومارت ، مما يؤدي الامر الى سقوطها على شكل زخات ثقيلة فتسبب أضرارا للتربة ولا سيما في المنطقة الجبلية ذات الانحـــدارات الشديدة . ويوضح الجدول التالي هذه الحقيقة :

جدول رقم (٦)

المعدلات الشهرية للايام المطيرة لمحطات مختارة في العراق الشمالي(١)

المحطـــة	كانون٢	شباط	مارت	نيسان	مايس	تشرين١	تشرين٢	كانون١	المجمـوع السـنوي
زاخو	١١ر٦	١٠ر٢	١١ر١	٩ر٧	٦ر٨	٤ر٨	٧ر٣	٩ر٢	٧٠ر٧
دهوك	٨ر٩	٨ر٢	٩ر٩	٨ر٦	٥ر٩	٢ر٣	٥ر٦	٥ر٩	٥٥ر٨
سرسنك	١١ر٢	١٠ر٦	١٤ر٧	١١ر٩	٨ر٤	٤ر٣	٦ر٦	٩ر٧	٧٧ر٤
موصل	١١ر٦	٩ر٩	١٠ر٩	٩ر٣	٤ر٩	٢ر٥	٧ر_	٨ر٤	٦٥ر٣
شقلاوة	١٠ر٧	١٠ر٦	١٣ر_	٩ر٧	٦ر٦	٣ر٣	٦ر٤	٨ر٨	٦٩ر١
دوكان	٨ر_	٨ر٩	٨ر١	٥ر٨	٣ر٤	١ر٩	٦ر١	٦ر٣	٤٨ر٥
بنجوين	١٠ر٥	٩ر_	١٠ر٩	٨ر٤	٤ر٦	٣ر٦	٧ر٤	٩ر٤	٦٣ر٥
سليمانية	٩ر٦	٨ر٨	١٠ر٦	٨ر٥	٤ر٨	٢ر١	٧ر_	٧ر٨	٥٩ر٤
كركوك	١١ر٥	١١ر٣	١٢ر٦	١٠ر٦	٥ر٩	٤ر٩	٨ر٦	٩ر٧	٧٥ر١

ملاحظة : اهملت الايام المطرة في اشهر حزيران وتموز واب وايلول نظرا لندرتهـــا .

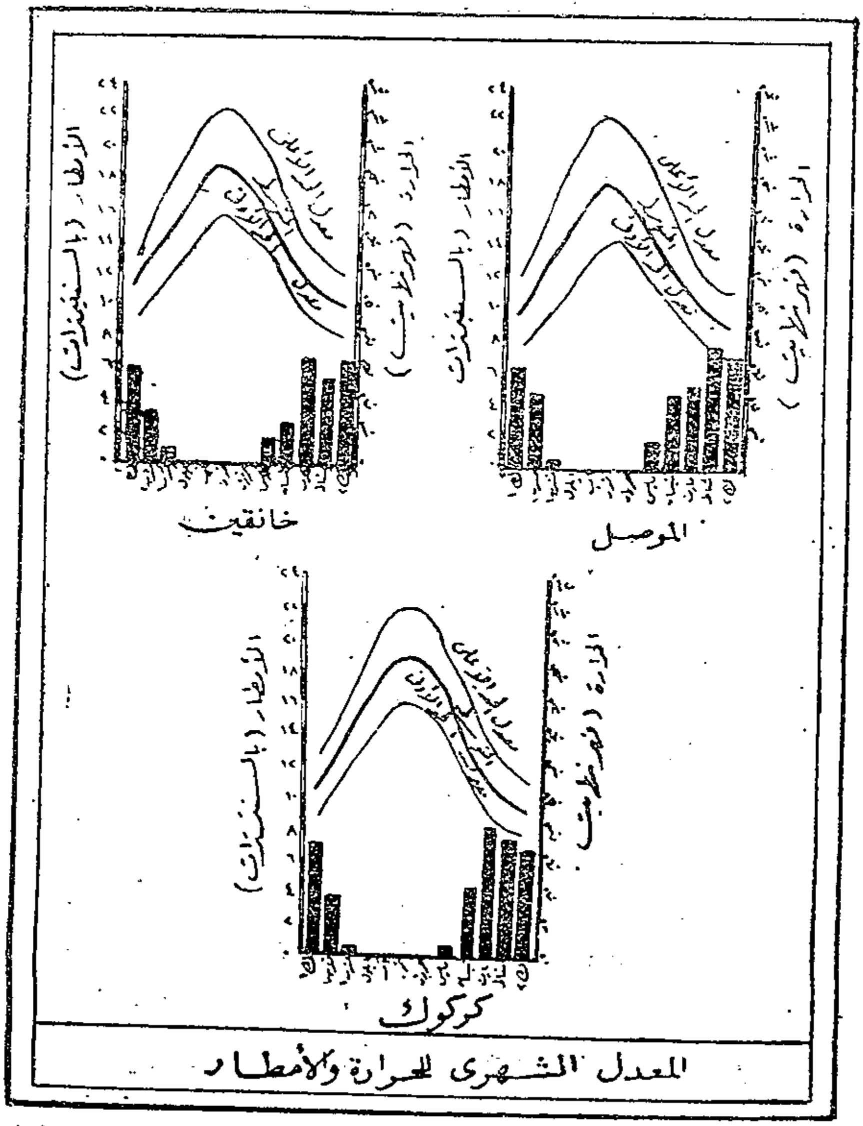
١ ــ ماخوذ من سجلات دائرة الانواء الجـــوية وهي مسجلة للفترة ما بين ١٩٣٥ــ١٩٦٠

وعلى أية حال فان من الواضح ان اشهر الشتاء كانون الاول وكانون الثاني وشباط هي اكثر شهور السنة مطرا في العراق الشمالي • اما أشهر الربيع مارت ونيسان ومايس فتلقى كمية أقل من المطر ومعظمه ينتج عن الزوابع الانقلابية • ويعزى هذا التناقص في كمية المطر الى عوامل متعددة ، منها قلة الزوابع الاعصارية القادمة من البحر المتوسط وضعفها مما يقلل من مقدرتها على التوغل في المنطقة ، ومنها تزحزح الضغط الاطلسي المرتفع الى الشمال مما يجعل الرياح الغربية تهب الى الشمال من مناطقها • أما أشهر الخريف تشرين الاول وتشرين الثاني فهي أقل الاشهر مطرا • ويعود ذلك الى الفترة القصيرة التي تستغرقها الايام المطرة التي تنحصر ما بين تشرين الاول ونهاية تشرين الثاني ، كما يعزى الى الفترة التي تنشط فيها انخفاضات البحر المتوسط والتي تبدأ من منتصف الخريف • وأما أشهر الصيف فهي عديمة الامطار كليا • ويعزى اختفاء المطر في هذه الاشهر الى انتقال مناطق هبوب الرياح الغربية نحو الشمال وبذلك تفقد انخفاضات البحر المتوسط تأثيرها على العراق ، كما يعزى ايضا الى وقوع المنطقة تحت تأثير الهواء القاري المداري الذي يتصف بالجفاف والحرارة والاستقرار • (أنظر شكل رقم ١٤) •

احوال الفصول

يبدأ الصيف في اواسط مايس ويدوم حتى اواسط تشرين الاول • وتنقطع الامطار بين شهر حزيران واب لذلك تذوى اغلب النباتات التى تعتمد على المطر ولا تبقى الاعشاب الخضراء الا فوق المنحدرات المرتفعة للجبال الشاهقة •

وتتصف درجة الحرارة أثناء النهار بالارتفاع ولكن يخفف من وطأتها قلة الرطوبة النسبية • غير انها تنخفض بشكل ملموس اثناء الليل ، لاسيما



شكل ١٤ ـ المعدلات الشهرية للحرارة والامطار في محطات العراق الشمالي (عن الخلف)

فوق المرتفعات ، بحيث يصبح البرد لاذعا • وتهب الرياح الشمالية الغربية القوية غالبا ، اذ تهب حوالى عشرة ايام في كل من شهر تموز واب وايلول• وتكون الشمس ساطعة على العموم ، ولكن تظهر الغيوم المتفرقة العالية في السماء غالبا أيضا •. وتسود بين السكان عادة القيلولة بسبب ارتفاع حرارة النهار وسطوع الشمس لفترة تتراوح بين ٩-١٢ ساعة يوميا ، لكن هذه العادة تكاد تكون مجهولة في جهات المرتفعات الشمالية الشرقية وفي الجهات الشرقية من المنطقة •

فصل الشتاء :

يتصف الشتاء بالبرودة المعتدلة في الاودية والسهول ، الا انه يصبح قارس البرد نوعما في الجبال والمرتفعات • لذلك يراعى سكان المنطقة الجبلية في بناء بيوتهم احوال الشتاء الباردة اكثر مما يراعون أحوال الصيف ، ويفكرون قبل كل شئ بوجوب تجنب الرياح الباردة والثلوج • وتسقط الثلوج بغزارة فوق الجهات الجبلية المرتفعة وقد يؤدي سقوطها الى قطع جميع المواصلات لفترة تدوم عدة أسابيع فتصبح القرى في عزلة تامة • وتظل جميع النباتات في سبات خلال أشهر الشتاء حتى مايس في المنطقة الجبلية ، الا ان الحرارة في السهول والاودية المحمية وفي معظم جهات منطقة الهضاب والتلول تتجاوز درجة التجمد •

ويتصف الجو عموما بكونه متقلبا شأن المناطق المعرضة للاعاصير وتظهر في السماء خلال شهور كانون الاول وكانون الثاني وشباط ومارت غيوم عالية مما يقلل من ساعات أشعة الشمس • ولهذه الظاهرة اهمية خاصة اذ ان كمية الغيوم تؤثر على مقدار الامطار وعلى الحرارة وعلى فترات الاضاءة اليومية •

ويحدث الضباب بمعدل ٦ الى ١٠ ايام اثناء الفصل المطير ، ويبلغ اقصاه في شهري كانون الاول وكانون الثاني ، ويرتبط الضباب بمرور الهواء البارد أثناء الساعات المتأخرة من الليل والساعات المبكرة من الصباح ، اذ يهبط من الاراضي المرتفعة الى الاراضي الواطئة المجاورة . ويحدث الصقيع أغلب الليالي في أشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط .

الفصول الانتقالية :

يمثل الربيع والخريف فترات انتقالية ولا يتطوران الى ما يمكن أن نسميه بالفصول الحقيقية الا في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية من المنطقة الجبلية ، أي أنهما على العموم قصيرين مما يكسب المناخ صفة قارية . كذلك تتضح هذه الفصول في الاقسام الشمالية الغربية من المنطقة الشبيهة بالجبلية ، وهذا ما دعا الى تسمية مدينة الموصل بـ «ام الربيعين» . وفي أثناء هذين الفصلين الانتقاليين تصبح الحرارة المعتدلة ملائمة جدا للحياة البشرية . ويحل فصل الربيع في شهري نيسان ومايس ، وأن كان المفروض ان يبدأ في اواسط مارت . وفي خلال هذا الفصل تكتسي الاودية وسفوح المرتفعات في المنطقة الشمالية بسجادة خضراء وبأنواع عديدة من الزهور الجذابة ، ويبلغ جمال المنطقة مداه ، يضاف الى ذلك نهار مشمس دافئ .

ويبدأ الخريف في تشرين الاول ، ويمثل بشكل اكثر وضوحا الفترة الانتقالية بين الصيف الحار والشتاء البارد . وتختلف هذه الفترة عن فترة الربيع في التغير الفجائي من الصيف الى احوال شتائية واضحة ، بينما يحدث الانتقال من الشتاء الى الصيف خلال الربيع بشكل غير ملحوظ تقريبا .

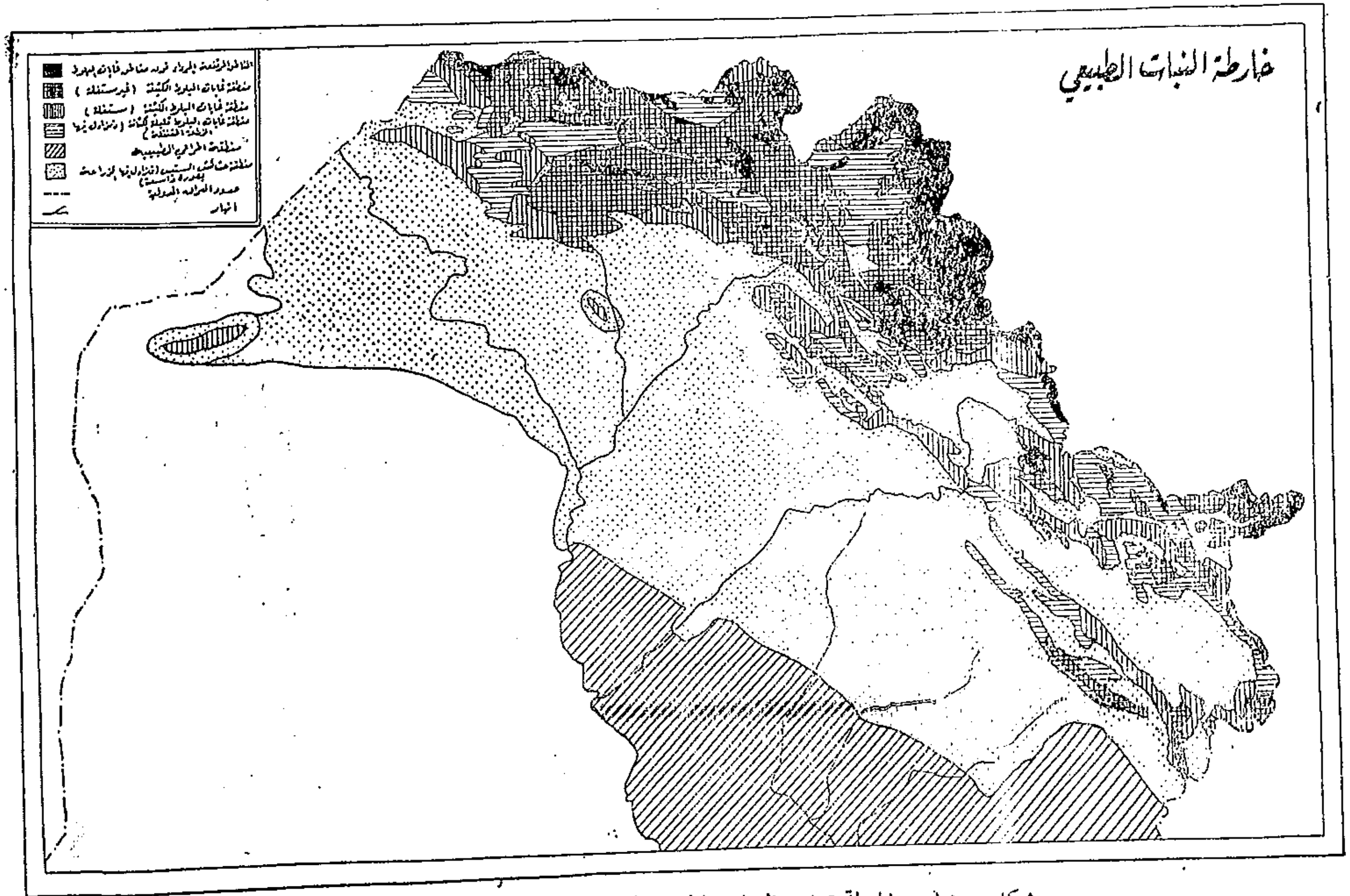
- ٤ -

النبات الطبيعي

يمكن القول أن عامل المطر هو المتحكم في توزيع النبات الطبيعي في العراق ، بالرغم من أن النبات الطبيعي عموما هو ثمرة للتفاعل بين المناخ والتضاريس والتربة • وبناء على ذلك فأن هناك ثلاث نطاقات نباتية رئيسة في البلاد ، اثنان منها ضمن العراق الشمالي ، وهما نطاق الغابات ونطاق الحشائش القصيرة (الاستبس) ، والثالث هو الذي يتمثل في بقية انحاء العراق وهو الاعشاب الصحراوية • أما الانواع النباتية الطبيعية الاخرى التي تنبت حيثما توفرت مياه الانهار أو المساحات المائية فلا علاقة لها بالنظام العام لسقوط الامطار • وستقتصر دراستنا على نباتات النطاق الغابي والنطاق الاستبسي (أنظر شكل رقم ١٥) •

فأما النطاق الغابي فهو يتمثل بصورة عامة في المنطقة الجبلية التي تنحصر بين خطي الكونتور ٦٠٠ مترا و ٢٠٠٠ مترا والتي تتصف بشتاء بارد وصيف معتدل وأمطار متوسطة تتراوح بين ٦٠٠ الى ١٢٠٠ ملمترا ، ومناخها أقرب الى مناخ البحر المتوسط • وقد قدر ما تغطيه من مساحة بحوالي ٦٪ من مساحة البلاد[١] • وبالرغم من تسميتها بنطاق الغابات فلا تكاد تظهر فيها غابات حقيقية ، الا في مناطق محدودة جدا من الجبال المرتفعة الوعرة التي لا تطولها بالعبث يد الانسان • ويتوقف حجم الاشجار وكثافتها على عوامل عديدة كموقعها بالنسبة لهبوب الرياح المحملة ببخار

١ ـ الخلف ، ص ١٢٨



شكل – ١٥ – خارطة توزيع النبات الطبيعي في العراق الشمالي (عن شابمان)

الماء ، فهي أشــد كثافة في السفوح الغربية والجنوبية الغربية المواجهــة للرياح المطرة وأقل كثافة في السفوح الشمالية الشرقية التي تقع في ظــل المطر ، كما تتوقف كثافتها ايضا على طبيعة الصخور ، فالصخور الشديدة المسامية لا تحتفظ بالمياه مما يجعلها جرداء • ولعل السبب المباشر لهذه الصورة النباتية يرجع الى المناخ السائد في المنطقة والذي يتصف بتفاوت عظيــم في متوسطاته الحرارية بين الصيف والشتاء ، وبفصل جاف طويل ، ممــــا لا يساعد على نمو الاشجار الضخمة الكثيفة • كما يرجع السبب أيضا الى تعرض الاشجار الضخمة الى القطع المفرط •

ونظرا لتفاوت الامطار والحرارة في المنطقة الجبلية بسبب التبايــن في أرتفاع الارض فأن من الممكن أن نميز الانواع النباتية التالية فيها :

١ ـ غابات الجبال المرتفعة :

وهي منطقة شبه ألبية ، وتبدأ على ارتفاع ١٨٠٠ مترا تقريبا ، وتمتد فوق منطقة الغابات البلوطية ، وتتميــز بغطاء من الغابات الكثيفة الواطئــة الاشجار من أصناف مخلب العقاب الشوكية Astragales • وان اكثر المجموعات الشجرية شيوعا فيها بين ١٨٠٠ مترا و٢٠٠٠ مترا هي الاشجار ذات الوسادة الشوكية Thorn cushion zone ، كما ان النبـــاتات السائدة في هذه المجموعات هي الاعشاب الواطئة والشجيرات التي تنمو عــلى شكل وسادات متقاربة متلاحمة يبلغ قطرها بعض الاحيان ما يقرب من متر • وهذه الاشجار في العادة شوكية جدا وتتصف أوراقها بالصغر ، وان منظرها العام شبيه بمنظر الاشجار الصحراوية ، وتتناثر هذه الأشجار فوق التربة الصخرية نوعما يخالطها بين موضع وآخر نباتات عشبية(١) •

---

1. Iraq and the Persian Gulf, P. 197.

وتعتبر هذه المنطقة من مناطق الرعي الهامة ، اذ أن مراعيها تحتفظ بطراوتها اثناء الصيف ، في الوقت الذي تستهلك فيه مراعي السهول والمنطقة شبه الجبلية وتجف بسبب الحرارة . لذلك فان الرعاة وشبه المترحلين يهاجرون بقطعانهم الى هذه المنطقة في بداية الصيف ويغادرونها في بداية الخريف .

٢ ـ غابات البلوط :

ان الجبال المنحصرة بين ٦٠٠ مترا و ١٨٠٠ مترا مكسوة بأشجار البلوط . وتعتبر هذه الغابات من الناحية الاكولوجية (البيئوية) اقرب الى الغابات الاوربية ـ السيبرية منها الى نوع غابات البحر المتوسط بالرغم من أن أشجارها تتمثل في جبال الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، اذ لا توجد في هذه الغابات اشجار دائمة الخضرة[١] .

ويمكن ان تقسم هذه المنطقة الى صنفين :

آ ـ غابات جافة ذات ارتفاع واطئ يتراوح بين ٤٥٠مترا ـ ٧٥٠مترا، أي غابات السفوح السفلى للجبال ، وتكثر فيها أشجار الفستق الهندي Pistacia Kinjik واشجار البلوط الجاف الاعتيادي Cuercus aegilops

ب ـ غابات بلوط العفص Cuercus Infectoria ، وتنمو على ارتفاع ٧٥٠ الى ١٣٠٠ مترا ، اى في الاقسام الوسطى من منحدرات الجبال .

جـ ـ غابات رطبة تكثر فيها اشجار بلوط السندار Cuercus Libanni ، وان كانت اشجار البلوط الجاف الاعتيادي كثيرة أيضا وتنمو في الاقسام العليا من المرتفعات الجبلية على ارتفاع يتراوح بين ١٢٠٠م ـ ١٨٠٠ مترا.[٢]

---

1. Zohary, The flora of Iraq. Baghdad 1946, P. 11.
2. Chapman, C.W., Forest and forestry in Iraq, Baghdad 1953, P. 3

وتنتشر بين الاشجار المذكورة أشجار البطم والحبة الخضراء وأشجار الزعرور والسماق والكمثري البرية واللوز البري واشجار العرعر • كما تنتشر ايضا مجموعة كبيرة من الاعشاب المعمرة التي تستخدم للرعــي في فصل الصيف وتجفف مع اوراق البلوط لاستخدامها علفا للحيــوانات في فصل الشتاء •

ولقد بدأت عملية ازالة هذه الغابات من سنين طويلة ، ولم يبق في بعض المواضع سوى أشجار صغيرة • ولقد اختفت غابات كثيرة وتوغــل الحطابون وصانعو الفحم عميقا في هذه المنطقة بحثا عن أشــجار جديدة • ولقد كان القطع في بعض الاماكن خطيرا لدرجة لم يعد باستطاعة الاشجار الجديدة أن تعوض عن الاشجار القديمة • والواقع ان الاشجار الجـديدة قد واجهت وضعا صعبا لان أغلب التربة جرفتها الامطار والثلوج ، فلم تعد الصخور العارية قادرة على مد الاشجار الجديدة بالغذاء • وفضلا عن ذلك فان المناخ لا يناسب نموا سريعا للاشجار •

ومن العوامل الاخرى التي اثرت على منطقة الغابات تأثيرا سيئا الزراعة الدائمة والرعي المفرط ، ولا سيما رعي الماعز • ومن الملاحظ ان الجهات التي تجاور مدنا وقرى مكتظة بالسكان ، أو تلك التي تختــــرقها الطرق والانهار تتميز بغابات ذات أشجار صغيرة متفرقة ، اما الجهات الوعرة التـي يتعذر الوصول اليها والتي تنخفض فيها كثافة السكان فانها تتميز بغابات ذات أشجار ضخمة وكثيفة نوعما •

ولقد تركت ازالة الغابات آثارا خطيرة لا على المنطقة الجبلية فحسب ، بل على المناطق السهلية في جنوب البلاد أيضا • فقد تعرضت تربة المناطــق الجبلية الى تعرية شديدة بينما امتلأت قنوات الري والاجزاء الدنيا من نهر دجلة بما تحمله مجارى الميــاه من الطمى والحصباء • لذلك بات مــن

الضروري اعادة تشجير منطقة الغابات وتعويض الاشجار المقطوعة • وقد اتخذت السلطات المسؤولة خطوات جدية في هذا الاتجاه واصدرت منذ عام ١٩٥٥ قانونا للغابات وحرمت القطع الاعتباطي للاشجار •

٣ ـ غابات الاحراش :

تمتد غابات الاحراش على ضفاف الانهار في جهات الستبس وكذلك في الاودية • وتمتد على شواطئ الجداول الكبيرة شرائط من النباتات العائدة للمجموعات القصبية Phragmitis Communities كما توجد في الغالب اشجار الصفصاف والدردار والدلب (الجنار) والعليق[١] Platanus Arientalis • وتكثر أيضا أشجار الاسفندار (الحور او القوغ) Poplar Populus Alba التي تستخدم بصورة واسعة في البناء • كما توجد أيضا أشجار الجوز والتوت والدفلة والتين البري والتفاح البري •

اما ما يتعلق بالسهول الداخلية التي تقع ضمن الجبال كسهل شهرزور ورانية والسندي فتغطيها صنف من النباتات وحشائش الستبس التي تمثل نوعا انتقاليا بين الستبس الحقيقي الذي يتمثل في المنطقة الجبلية ونوع نباتات المنطقة الجبلية • وتشتمل هذه النباتات على اشجار صغيرة معمرة ذات جذور عميقة مثل خروب الخنزير Anagiris Fastia ومعها أنواع أخرى مثل أشجار الفستق والبلوط G uericus & pistachia وحشائش طويلة تابعة لفصيلة الشوفان مثل Alopecurns orondinacius, Avena W iest وتظهر هذه الحشائش في بداية الربيع وتبقى حتى اواخر الصيف ثم تختفي في نهايته بسبب الرعي المفرط عدا نبات Stephanina Prosopis الذي يمثل غذاء علفيا فقيرا[٢] •

1. Iraq and the Persian Gulf, p. 196.
2. Springfield, H., 'The pastarage and forage in Iraq' Iraqi Agricultural Magazine, Nos. 3&4, vol. 9, 1954.

ولقد اوردت الاحصائيات الحديثة مساحة الغابات الجبلية في محافظات العراق الشمالي على النحو التالي :

جدول رقم ٧

مساحة الغابات الجبلية (بالكيلومتر المربع)(١)

النـــوع	المجموع	كركوك	السليمانية	اربيل	نينوى
مساحة الاراضي الجرداء المرتفعة	٢٥٧٥	—	٣٧٦	١٤٨٨	٣٥٤
مساحة غابات البلوط الكثيفة (غير مستغلة)	٦٤٥٣	—	٩٩٩	٢٣١٣	٣١٤٠
مساحةغابات البلوط الكثيفة(مستغلة)	٢٨٨٢	١٨	٦٣٠	٩٧٦	١٢٥٨
مساحة غابات البلوط ذات كثافـة خفيفـة	٥٨١٦	١١٥	٢٢١٠	١٨١٦	١٦٧٨
المجموع	١٧٧٢٦	١٣٣	٤٢١٥	٦٩٤٩	٦٤٣٠

أما غابات الاحراش التي تنتشر في مختلف المحافظات الشمالية حيثمـا توفرت مجارى المياه فقد قدرت مساحتها بـ (٣٤ر٢٠١) كيلومترا مربعا[٢] .

كذلك أوردت الاحصاءات الحديثة مساحة الغابات التي تم مسحهـــا وتخطيطها على النحو التالي :

(١) المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ١٦٣

(٢) المصدر السابق .

جدول رقم ٨

مساحة الغابات التي تم مسحها وتخطيطها(١)

المحافظة	مساحة الغابات التي تم مسحها وتخطيطها (دونم)
اربيل	٤٦٧٨٨٥
نينوى	٣٠٤٥٠
السليمانية	١١٦٦١٧
المجموع	٦١٤٩٥٣

اما النطاق الاستبسى فيتمثل في منطقة الهضاب والتلول ، وهو يمثل في الواقع منطقة انتقالية بين النباتات الجبلية والاعشاب الصحراوية • ويمكن القول أن حدوده الجنوبية تتفق وخط المطر ٢٠٠ ملمترا ، بينما تتفق حدوده الشمالية مع الحدود الجنوبية للمنطقة الجبلية • وقد سبق ان أوضحنا بأن هناك تباينا واضحا ضمن هذه المنطقة في كمية التساقط وفي التضاريس • وقد انعكس هذا التباين على نبات المنطقة الطبيعي • فبالرغم من ان الصفة الغالبة عليه هي الصفة الحشائشية ، الا أن هذه الحشائش تشتد طولا وكثافة كلما اقتربنا من منطقة الجبال العالية ، أي بالاتجاه نحو الشمال والشرق ، حيث يزداد ارتفاع الارض وتزداد الامطار ، بينما تتحول الى ما يشبه النباتات الصحراوية في الجهات الجنوبية الغربية • وهناك صفة مميزة اخرى لهذه المنطقة وهي ثراؤها بالنبات الطبيعي في فصل الامطار ، ولاسيما منذ اواسط الخريف حتى نهاية الربيع ، وفقرها الشديد بالنبات في فصل الجفاف (الصيف) ، وهذا يعني ان معظم نباتاتها حولية • بيد ان الجهات الشمالية من المنطقة تحتفظ في الحقيقة بجزء من نباتها الطبيعي خلال فصل الصيف• ولذلك اقترح جلت Jillet تقسيم النبات الطبيعي في المنطقة الى قسمين رئيسين :

(١) المصدر السابق •

١ ـ نباتات السهوب الجافة وتقع ضمن خطي المطر ٢٠٠ـ٣٠٠ ملمترا (٤ـ١٢ بوصة) ومن أهم انواعها الشيح والقيصوم والصمعة ، وهي تشبه نباتات المنطقة الصحراوية من حيث تكيفها لفصل الجفاف ولاحتوائها على بعض أنواع النباتات الصحراوية مثل الشجيرات الشوكية المعمرة ٠

٢ ـ نباتات السهوب الرطبة وتقع بين خطي المطر ٣٠٠ـ٥٠٠ ملمترا (١٢ـ١٥ بوصة) ، ومن أهم نباتاتها الكعوب والاتيمول المتوج ، وتوجد ضمن حدود هذه المنطقة اشجار تعود الى منطقة الغابات ، وتنبت في اعالي الجبال والتلال بينما تنبت حشائش السهوب في السفوح الواطئة[١] ٠

وتعود أهمية النطاق الاستبسى الى كونه أهم مناطق الرعي في البلاد ، ويمكننا ان ندرك هذه الاهمية اذا علمنا بأن مساحة المحاصيل العلفيــة التي تزرع في البلاد لا تتجــاوز ٥٪ من مجموع المحاصيل الزراعية ، يقابلها ٢٠ـ٧٥٪ في البلدان المتطورة[٢] ، ومعنى ذلك ان الحيوانات تعتمد في غذائها اعتمادا رئيسيا على المراعي الطبيعية ٠ ولهذا بات من الضرورى صيانة هـذه المنطقة من الرعي المفرط الذي يحرمهـا من نباتاتها القليلة ويعرض تربتها الى الانجراف ٠

---

(١) الخلف ، ص ١٢٧ ٠

2. Springfield, Op. Cit.

- ٥ -

الموارد المائية

تضم الموارد المائية جميع اشكال مصادر المياه التي يمكن ان يفيد منها الانسان والحيوان والنبات . وبهـذا فهي تشتمل على الامطار والثلـوج والمياه الجوفية والمياه السطحية (الانهار والنهيرات) .

الامطـار

تمثـل الامطار المورد المائي الاساسي الذي تعتمد عليـه الزراعة الشتوية في العراق الشمالي وهى مسؤولة بطبيعة الحال عن تموين الميـاه الجوفية ، كما انها تؤثر تأثيرا واضحا في حجم تصريف المياه في أنهار ونهيرات المنطقة . وقد سـبق أن شرحنا باسـهاب أحوال الامطار في العـراق الشمالي وعلمنـا أن معدل المطـر السنوي فيـه يتراوح بين ٢٥٠ ملمترا ـ ١٠٠٠ ملمترا (١٠-٤٠ بوصـة) ، مما يجعـله ضـمن الجهات الرطبة وشبه الجافة[1] . ولذلك تعتمد الزراعة الصيفية في المنطقة اعتمادا كليا على الرى الصناعي . ونظرا لارتفاع الارض في معظم جهـات العراق الشمالى عن مستوى الانهار ، فان الاراضي الزراعية قلما تسـتفيد من ميـاه تلك الانهار ، ويكاد يكون جل اعتمادها على الميـاه الجوفية . ويمكن أن يوضح الجدول التالي هذه الحقيقة .

1. Richard, T. Ely & George. S. Wehrweins, Land Economics, New York 1940, 2nd edit., P. 33.

جدول رقم ٩

الأراضي الزراعية المستغلة في المنطقة الشمالية وطرق اروائها(١)

وسيلة الري	المساحة بالدونم
١ ـ مساحة الاراضي التي تسقى ديما	٢١٢ر١٠٥ر١٣ دونم
٢ ـ مساحة الاراضي التي تسقى سيحا (بواسطة الينابيع والكهاريز والمسيلات المائية)	٤٦٩ر١١٨ر١ دونم
٣ ـ مساحة الاراضي التي تسقى بواسطة المضخات (من الانهار)	٤٦٦ر٤٥ دونم
٤ ـ مساحة الاراضي التي تسقى بواسطة النواعير	٨٠١ر٨ دونم
٥ ـ مساحة الاراضي التي تسقى بوسائط أخرى	٤٤٧ دونم
المجموع	٣٩٥ر٢٧٩ر١٤ دونم

وهكذا يتضح بأن الامطار تلعب دورا رئيسيا في اقتصاد المنطقة •

الثلوج

فأما الثلوج فهي تمد المياه السطحية والمياه الجوفية بجزء كبير من مياهها ، وهي تؤثر على حجمها تأثيرا كبيرا • ففي السنوات التي تتميز بشتاء دافىء وثلوج قليلة تعاني المياه السطحية والجوفية في العراق الشمالي من قلة واضحة ، فتجف بعض الينابيع والجداول المائية الصغيرة ، وتتحول النهيرات الى مجرد مسيلات هزيلة ، وهو أمر يضر بالزراعة الصيفية ويؤثر عليها تأثيرا مباشرا ، بعكس الحال في السنين ذات الشتاء البارد والثلج الغزير • ومن المعلوم أن ذوبان الثلوج يؤدي الى تسربها خلال مسام الصخور حيث تتحول الى مياه باطنية ، اضافة الى تغذيتها للانهار والينابيع • ولذلك فان قيمتها الهيدرولوجية تزيد على

(١) وزارة التخطيط (دائرة الاحصاء المركزية) ـ الاحصاء الزراعي والحيواني لعام ٥٨ـ١٩٥٩ ، بغداد ١٩٦١ ، ص ١٠

قيمة الامطار حيث لا يكاد يفقد منها شيء كثير ، ويكون مقدار ما يتعرض منها للتبخر أقل من المطر • وقد سبق ان ذكرنا بأن الثلوج تظل في السنين الاعتيادية متراكمة لفترة تتجاوز الشهرين على ارتفاع حوالى ١٠٠٠ مترا ، وخصوصا فوق المنحدرات المواجهة للجهة الشمالية ، كما سبق ان بينا بأن خط الثلج الدائم يقع في العراق الشمالي على ارتفاع يتراوح بين ٩٠٠ مترا الى ١٢٠٠ مترا • وأهم عامل يؤثر على كمية الثلوج وسمكها هو مقدار ارتفاع الارض • ويمكن ان تعطينا الجداول التالية فكرة عن حالة الثلوج في العراق الشمالي وأهميتها كمورد مائي :

جدول رقم ١٠

حالة الثلوج في العراق الشمالي

أ ـ محطة تسجيل الثلج في عمر الخياط بالقرب من الحاج عمران(١)

الارتفاع ٢٦٤٠ مترا دائرة العرض ٩ً ٣٧َ ٣٦ْ خط الطول ٥٩ً ٠َ ٤٥ْ

السنة	الشهر	التاريخ	الثلج(انج)	الكثافة	ملاحظات
	كانون٢	١٣ـ٢	٧٣	٣١	الارض رطبة غير متجمدة
	شباط	١٣ـ٢	٧٣	٣١	الارض رطبة غير متجمدة
١٩٥٧	مارت	١ـ٣	٨٠	٣٣	الارض رطبة غير متجمدة
		١٥ـ٣	١١٣	٣٢	الارض رطبة غير متجمدة
	نيسان	٣٠ـ٣	١٠٢	٤٠	الارض رطبة غير متجمدة
		١٤ـ٤	١٠٤	٤٣	الارض رطبة غير متجمدة
	مايس	٢ـ٥	٨٤	٤٩	الارض رطبة غير متجمدة
	كانون٢	[illegible]	ـــ	ـــ	الارض رطبة غير متجمدة

1. Harza Engineering Co., Hydrological Survey of Iraq, Baghdad 1963. Andex A-4. Sheet 4 of 23.

« تابع »

السنة	الشهر	التاريخ	الثلج(انج)	الكثافة	ملاحظات
	شباط	١-٢	٧١	٣٥	الارض رطبة غير متجمدة
١٩٥٨	شباط	١٣-٢	٦٣	٣٦	الارض رطبة غير متجمدة
	مارت	٢٧-٢	٦٥	٣٧	الارض رطبة غير متجمدة
	مارت	١٣-٣	٦٧	٣٩	الارض رطبة غير متجمدة
	نيسان	٣١-٣	٦١	٢٦	الارض مشبعة بالرطوبة وغير متجمدة
		١٥-٤	٤٢	٤٩	الارض مشبعة بالرطوبة وغير متجمدة
	مايس	٢٩-٤	١٤	٤٩	الارض مشبعة بالرطوبة وغير متجمدة
	كانون٢		—	—	الارض رطبة غير متجمدة
	شباط	٣٠-٢	٣٥	٣٦	الارض جافة غير متجمدة
١٩٥٩		١٦-٢	٤٩	٢٩	الارض جافة غير متجمدة
	مارت	٢٨-٢	٥٥	٣٢	الارض جافة غير متجمدة
		١٦-٣	٧	—	الارض جافة غير متجمدة
	نيسان	٢-٤	٦١	٣٦	الارض رطبة غير متجمدة
		١٧-٤	٥٠	٤٧	الارض رطبة غير متجمدة
	مايس	٨-٤	١٩	٤٤	الارض رطبة غير متجمدة

« تابع »

ب ـ محطة تسجيل الثلج في دورخنيك بالقرب من جبل هندرين في راوندوز(١)

الارتفاع ٢٣٠٠ مترا دائرة العرض ٣٩°٣٦′١٦″ خط الطول ٤٤°٣٦′٥٩″

	كانون٢		—	—	—
	شباط	٤–٢	٢٦	٣١	الارض رطبة غير متجمدة
١٩٥٨		١٦–٢	٥٩	٣٥	الارض رطبة غير متجمدة
	مارت	٢–٣	٥٦	٣٨	الارض رطبة غير متجمدة
		١٦–٣	٥٢	٤١	الارض مشبعة بالرطوبة وغير متجمدة
	نيسان	٣٠–٣	٤٤	٤٦	الارض مشبعة بالرطوبة وغير متجمدة
		١٦–٤	١٠	٤٦	الارض مشبعة بالرطوبة وغير متجمدة
	مايس	٢٨–٤	لايوجد ثلج	—	—
	كانون٢		—	—	—
	شباط	١٢–٢	٢٨	٣١	الارض رطبة غير متجمدة
١٩٥٩	مارت	٤–٣	٦٠	٢٩	الارض رطبة غير متجمدة
		١٩–٣	٤٢	٤٢	الارض رطبة غير متجمدة
	نيسان	١٨ر٤	لايوجد		الارض رطبة غير متجمدة
	مايس	٢٩–٤	لايوجد		الارض رطبة غير متجمدة

1. Annex A-4, Sheet 8 of 23.

جـ ـ محطة تسجيل الثلج في نيوخولين بالقرب من ميركه‌سور(١) :

الارتفاع ١٥٢٥ مترا دائرة العرض ٣٠ ٤٩ ٣٦ خط الطول ٣٦ ١٧ ٤٤

	كانون٢				الارض رطبة غير متجمدة
١٩٥٧	شباط	١٨-٢	٥٨	٣٤	الارض مشبعة بالرطوبة
	مارت	٣-٣	٥٠	٤٥	غير متجمدة مشبعة بالرطوبة
		١٤-٣	٣٠	٤٤	غير متجمدة مشبعة بالرطوبة
	نيسان	٢٩-٣	١٠	٤٧	غير متجمدة مشبعة بالرطوبة
	مايس		—	—	
	كانون٢		—	—	الارض رطبة غير متجمدة
	شباط	١٨-٢	٦٢	٤٧	الارض مشبعة بالرطوبة
١٩٥٨	مارت	٣-٣	٤٦	٤٥	غير متجمدة مشبعة بالرطوبة
		١٤-٣	٣٠	٤٤	غير متجمدة مشبعة بالرطوبة
	نيسان	٢٩-٣	١٠	٤٧	—
	مايس		—	—	—
	كانون٢		—	—	الارض مشبعة بالرطوبة غير متجمدة
	شباط	٣١-١	٩	٣٠	الارض رطبة غير متجمدة
١٩٥٩		١٤-٢	١٢	٢٩	الارض رطبة غير متجمدة
	مارت	١٢-٣	٥٨	٣١	الارض رطبة غير متجمدة
	نيسان	٣١-٣	٢٥	٤٦	الارض مشبعة بالرطوبة غير متجمدة
	مايس		—	—	—

1. Annex A-4, Sheet 11 of 23.

وهكذا توضح الجداول المذكورة بأن ارتفاع الأرض هـــو العامل الاساسي المؤثر في سمك الثلج . يضاف اليه مواجهة المحطة للرياح الشمالية الشرقية الباردة . كذلك توضح الجداول بأن سقوط الثلج يبدأ بشـــكل ملموس في أواخر كانون الثاني وان ذوبانه يبدأ في أواخر نيسان او اوائل مايس ، وهذا يؤدي الى تكوين غطاء يمنع تبخر الماء الارضي في المنطقـــة خلال تلك الاشهر . ومن الواضح ان الارض في المحطات المذكورة لا تتجمد تحت الثلج ، مما يهيء فرصة لتسرب الماء الذائب خلال مسام الصخور . وهكذا تكون الثلوج المتراكمة مصدرا مهما يغذي بالماء كلا من المياه الجوفية (العيون والآبار) والمياه السطحية (الانهار والنهيرات) .

الميـــاه الجوفية

تستقى المياه الجوفية في العراق الشمالي بوسيلتين ، الاولى طبيعية والثانية صناعية .

فأما الوسيلة الاولى فتتمثـــل في الاستفادة من ميـــاه الينابيع والعيون الطبيعية . وتكثر الينابيع في منطقة العراق الشمالي في سفوح الجبـــال والمرتفعات وفي مناطق الانكسارات على وجه الخصوص ، حيثما يتقابل مستوى المياه الباطنية مع سطح الارض . ويتوقف توزيعها على كمية مياه الامطار وعلى درجة مسامية الصخور وشكل انحدار طبقاتها ، كما يتوقف أيضا على عوامل التعرية التي تقوم بازالة الطبقات الصخرية العليا فتيسر الوصول الى مستودعات المياه الجوفية . وفي جهات كثيرة من العراق الشمالي تصبح الينابيع المحور الاساسي للحياة البشرية ، فمنها يستقى الانسان حاجته من مياه الشرب ، وعليها يعتمد الحيوان ، وهي المصدر الاول الذي يمد المحاصيل الصـــيفية بحاجتها من المياه . والحقيقة ان وجود هذه الينابيع هو الذي يحدد مواطن السكنى البشرية في أغلب جهات العراق الشمالي . فحيثما توجد هـــذه

الينابيع تقوم القرى ، بل ان حجم القرية كثيرا ما يعتمد على ثراء الينبوع بالمياه • ويمكن اعتبار الينابيع مسؤولة عن نمط السكنى في العراق الشمالي ، وهو النمط المنتشر Dispersed الذي تتوزع فيه القرى في مختلف المواضع ، بينما تتجمع القرى والمدن في العراق الجنوبي على ضفاف الانهار • وبما ان مياه هذه الينابيع ترتبط بمدى توفر الثلوج وبكمية الامطار الساقطة ، فان حجمها كثيرا ما يتعرض للزيادة والنقصان ، وهذا بدوره يؤثر على الزراعة الصيفية تأثيرا مباشرا • وهكذا فان درجة تصريف الينابيع هي التي تحدد المساحة التي يمكن استثمارها في الزراعة الصيفية • وتعاني الزراعة الصيفية في المنطقة الشمالية دوما من نقص المياه الا في السنين التي تغزر أمطارها وثلوجها •

أما عن استثمار المياه الجوفية بالوسائل الصناعية فيتم بالاعتماد على الآبار الاعتيادية والآبار الارتوازية والكهاريز • وتعتبر الكهاريز من أقدم الوسائل الصناعية التي استخدمها سكان العراق الشمالي لاستثمار المياه الجوفية • وكانت الكهاريز تنتشر على نطاق واسع في محافظات السليمانية وأربيل ونينوى ، الا أن عددها تناقص كثيرا في الفترة الاخيرة • ويتطلب عمل الكهريز حفر بئر الى مستوى المياه الجوفية في أرض مرتفعة ، ثم يحفر نفق ذو انحدار بسيط جدا بحيث يكون انحداره عند جريان المياه أقل من مستوى سطح الارض ومستوى المياه الجوفية • وينتهي النفق بشكل طبيعي في فوهة مفتوحة في مستوى الارض • وتحفر سلسلة من الآبار تتصل بقناة الكهريز لازالة ما يتساقط من ركام أثناء الحفر أو لتنظيف الكهريز فيما بعد ، وتبعد كل بئر عن الاخرى من ١٥ الى ٢٠ مترا • وتغلق فوهات هذه الآبار عند اكمال حفر الكهريز ولا تفتح الا لدى تنظيفه[1] •

---

1. Mackfadyen, Water supplies of Iraq, Baghdad 1927, P. 3-4.

ان حفر كهريز طويل عملية مكلفة ، كما ان المحافظة على نظافته مهمة مكلفة أيضا • وما لم تضمن كمية كبيرة من المياه مقدما ، فمن المفضل ان يستعاض عنه بالآبار الاعتيادية أو الارتوازية فهي أقل تكاليفا •

وتتفاوت كمية المياه التي يمكن استحصالها من الكهريز من عام لآخر ، حسب الدورة المطرية وكمية الثلوج ، كما يختلف تصريفها باختلاف الفصول حيث يصل أعلى تصريف لها بين شهر كانون الثاني ومارت ، ويقل ابتداء من شهر حزيران وقد يتراوح تصريف الكهاريز الكبيرة بين ٢٠٠ر٠٠٠ الى ٣١٥ر٠٠٠ غالون في اليوم[١] ، وقد أخذ عددها بالتناقص نظرا لانطمار الكثير منها ولقلة ما يحفر منها حاليا لارتفاع تكاليف حفرها وصيانتها •

أما الوسيلة الصناعية الاخرى لاستقاء المياه الجوفية فتمثلها الآبار • وتعتبر الآبار من أقدم الوسائل لاستقاء المياه الجوفية وأكثرها شيوعا في المنطقة وهي مسؤولة عن قيام الكثير من القرى • وقد ساعد على انتشارها قرب مستوى المياه الجوفية من سطح الارض • ويبلغ معدل عمق المنسوب الاستقراري لمياه الآبار في منطقة الهضاب والتلول بما يتراوح بين ٧ر٥م-٣٥م في منطقة سهل كركوك ، وبين ٢٥م-٤٠م في منطقة سهل أربيل ، وبين ٥م-١٥م في منطقة سهلي الموصل وسنجار • كما يتراوح عمق المنسوب الاستقراري لمياه آبار سهول المنطقة الجبلية بين ١٥م الى ٢٥م وقد يصل الى ٤٠م[٢] •

---

1. Cressey, George, 'Qanats, Kariz and Foggaras' Geographicel Review. January 1958, P.28.

(٢) عن احصائيات مديرية المياه الجوفية عن الابار الانتاجية في المحافظات الشمالية لعام ١٩٧٣ •

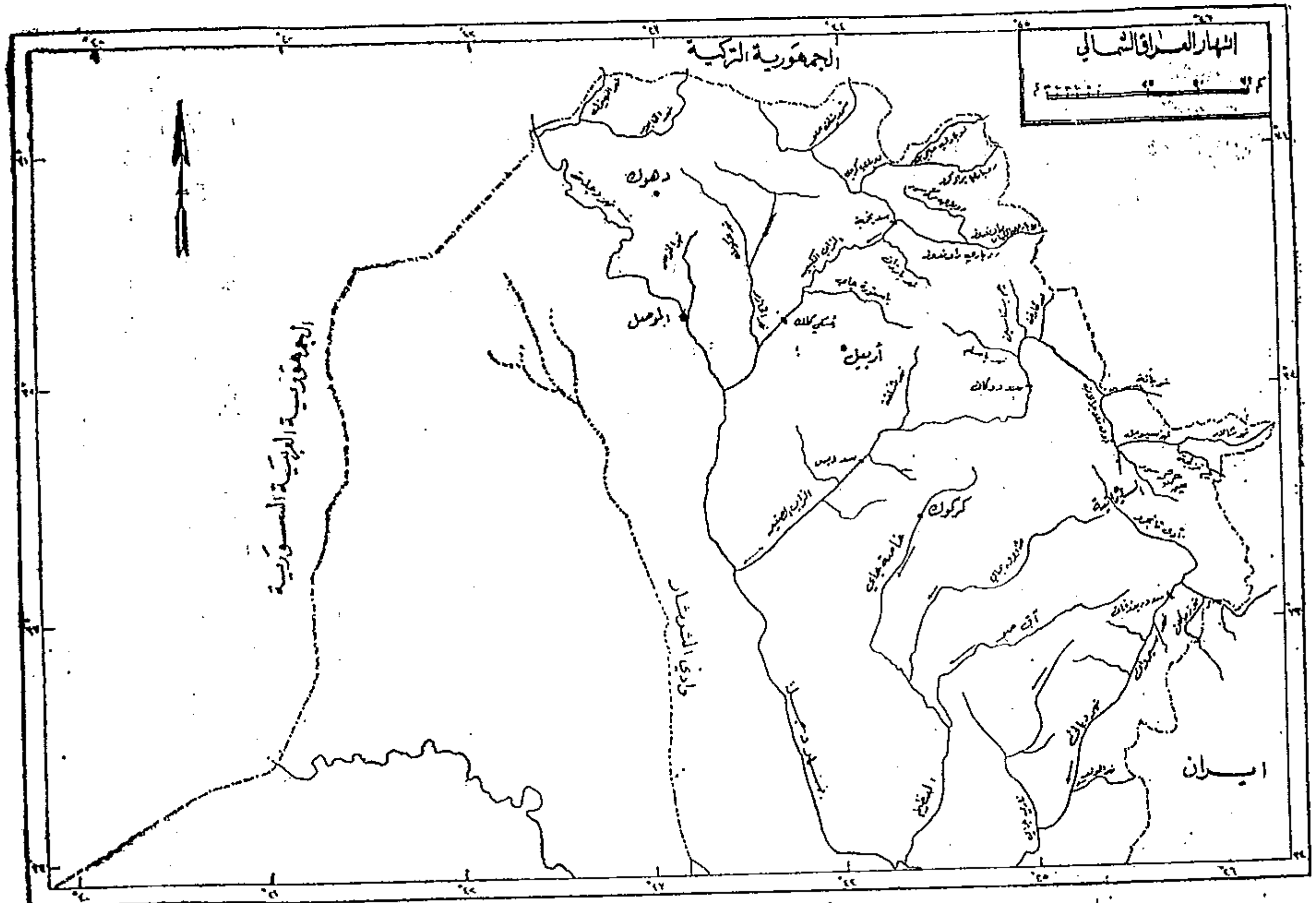
وقد توسعت الحكومة في أعمال حفر الآبار فشملت جهات عديدة من محافظات العراق الشمالي ، فبلغ عدد الآبار المحفورة لغاية أوائل ١٩٧٣ حوالي ١٥٦ بئرا في محافظة كركوك و١٦٠ بئرا في محافظة أربيل و٤٠٠ بئرا في محافظة السليمانية و٣٤٠ بئرا في محافظتي نينوى ودهوك[1] .

المياه السطحية

ان المياه السطحية قليلة الاهمية للعراق الشمالي كما أوضحنا نظرا لان أنهارها تجري في أودية عميقة تحف بها ضفاف عالية مما يحتاج الى الوسائط الآلية أو الحيوانية لرفع مياهها . وفضلا عن ذلك فان النهيرات والجداول تتعرض للجفاف وقت الصيف أو تتحول الى مسيلات هزيلة ، بينما تفيض وقت الشتاء والربيع عندما تكون الحاجة اليها ضئيلة . لذلك فان استثمار المياه السطحية في منطقة العراق الشمالي محدود جدا ، ومن الصعب القيام بمشاريع ري كبرى لخدمة المنطقة ولاسيما في الجهات الجبلية . ومما يساعد على قلة استثمار المياه السطحية في الزراعة نظام التصريف السائد في المنطقة ، وهو التصريف المتعامد Trellis . وطبقا لهذا النظام تخترق الانهار الرئيسة المستعرضة سلاسل الجبال في خوانق عميقة ، بينما تحتل توابعها الاودية الطولية . وبما ان أعماق الانهار الرئيسة أعظم من أعماق توابعها عموما فان تلك التوابع تتصف بنشاط عظيم قرب مصباتها ، وهي دائبة على حفر خوانق في مجاريها السفلى بعمق خوانق النهر الرئيسي تقريبا . وقد أدى هذا الوضع الى ضعف امكانية الاستفادة من تلك الانهار في الري السيحي . وعلى أية حال فان نظام التصريف في المنطقة الجبلية يتميز بالتعقيد الشديد حيث تجري المياه في جميع الاتجاهات وتتبع خطوط المقاومة الضعيفة لتتصل بالانهار الرئيسة . ويسود في منطقة الهضاب والتلال نظام التصريف

---

(١) المصدر السابق .



شكل رقم ١٦ – أنهار العراق الشمالي

المتعامد أيضا ، كما يتمثل فيها كذلك نظام التصريف الشجري Dendretic حيثما تبعثرت التلال المنعزلة[1] .

ويجري في منطقة العراق الشمالي جزء من نهر دجلة وجميع توابعه (أنظر شكل رقم ١٦) . ولتوابع دجلة أهمية كبيرة بالنسبة لتصريفه ، وذلك لانها تمده بحوالى ٦٥ر٧٧٪ من مجموع مياهه السنوية كما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم ١١

تصاريف توابع نهر دجلة(٢)

اسم النهر	طوله بالكيلومتر	معدل تصريفه بالامتار المكعبة في الثانية	معدل كمية مياهه بالمليارات من الامتار المكعبة	النسبة المئوية من مجموع مياه دجلة
دجلة	١٧١٨	١٤٠٠	٤٤ر٤٢	١٠٠
رافد الخابور	١٦٠	٣١	٩٨ر٠	٢ر٢١
رافد الزاب الكبير	٣٩٢	٤٠٢ر٨	١٢ر٦٥	٣٢ر٦٤
رافد الزاب الصغير	٤٠٠	٢٢٦	٧ر١٤	١٦ر٧١
رافد العظيم	٢٣٠	٢٧ر٦	٠ر٨٦	١ر٦٤
رافد ديالى	٣٨٦	١٦٠ر٦	٥ر٠٣	١٣ر٥٧
مجموع تصريف روافد دجلة		٨٤٨	٢٦ر٦٦	٦٥ر٧٧

1. Atrushi. siddik, Geographic regions of Iraq, A thesis of M.A. submitted to the University of Clark in 1950, p.41.

(٢) اخذت ارقام الجدول من كتاب (نهر دجلة وعلاقته باعمال الـري في العراق) للمهندس فؤاد الخولي (منشورات مديرية الري العامة بغداد ١٩٥٠) . اما النسب المئوية لمياه توابع دجلة فقد اخذت عن الخلف ص ١٨٢ .

نهر دجلة :

ينبع نهر دجلة من سلاسل جبلية عديدة في جنوب شرقي تركيا يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠–٢٠٠٠ مترا فوق سطح البحر ، وتستقي منابعه الشرقية مياهها من جبال موش والجبال الممتدة على الساحل الجنوبي لبحيرة وان ، في حين تستقي منابعه الغربية مياهها من الجبال المحيطة ببحيرة كولجك . وبعد أن يقطع في الاراضي التركية مسافة تقرب من ٣٠٠ كيلومترا في واد عميق تحف به الجبال يدخل الحدود العراقية عند فيشخابور ، وابتداء من هذا الموضع يجري النهر في واد عريض وفي اراضي متموجة مكشوفة تحيط به الروابي المنخفضة ويتصف بكثرة الالتواءات ، وهو يسرع في أماكن ويبطيء في أخرى حتى يبلغ مدينة الموصل . ويشق مجراه في منطقة الهضاب والتلول قاطعا هضبة الموصل حتى الفتحة ، فيخترق عندئذ تلال حمرين حيث يدخل منطقة السهل الرسوبي . ويبلغ طول مجراه بين فيشخابور والفتحة حوالى ٤١٠ كيلومترا . ويحيط بدجلة فيما بين مجراه من فيشخابور حتى الفتحة سهل ضيق دون مستوى الهضبة . وقد قامت في هذا السهل على ضفاف النهر مدن عديدة ذات أهمية تاريخية كالموصل والشرقاط . ولقد أثر مجرى دجلة المفتوح في هذا الجزء في نشاط العلاقات بين المدن القائمة على النهر وبين مدن المنطقة الجبلية في العراق ومدن تركية وسورية . ويصلح هذا الجزء من النهر كذلك لاقامة السدود لارواء السهول المرتفعة الواقعة على يمينه . وقد اقترح بالفعل اقامة سد شمال مدينة الموصل بهدف خزن المياه والسيطرة على الفيضان وتوليد القوة الكهربائية وري الاراضي المجاورة ، وهو مشروع سد اسكي موصل . ويتصف نهر دجلة في هذه المنطقة بسرعة جريانه نسبيا ، اذ يبلغ انحداره حتى الشرقاط $\frac{1}{1800}$ ، كما يبلغ عند سامراء $\frac{1}{2000}$ ، بينما يكون انحداره عند مدخل السهل الرسوبي $\frac{1}{14500}$ [1] . وقد

(١) الخولي ، ص ١٠ و ٢٤ و ٤٤ .

أثر ذلك في نوع ترسباته في هذا الجزء فأصبحت كبـــيرة الحجم من نوع الرمال والصخور والحصى الكبيرة ، وهي تظهر في بعض المناطق على شكل جنادل وجزر تعيق الملاحة . وأهم روافد النهر هي :

الخابور :

وهو أول رافد يلتقي بنهر دجلة . وتبلغ مســـاحة حوضه ٦٢٦٨ كيلومترا مربعا ، وينبع من جبال دريانوداغ الشاهقة ، ويبلغ طوله داخـــل العراق حوالي ١٦٠ كيلومترا . ويدخل الحدود العراقية شمال قرية جاليك ويصب فيه وادي سرارو شمال جبل متينة في الشرق ووادي الصفنة (الصابنة) الغربي الى جنوبه . وينعطف بعد دخوله الحدود نحو الغرب ثم نحو الشمال الغربي ويصب فيه رافد (اوروكرم) ، ويسلك واديا ملتويا حتى يمــر بمدينة زاخو ، وهي جزيرة تكونت وسط النهر ، وحينئذ يتجه نحو الغرب حتى يلتقي بنهر الهيزل الى الغرب من زاخـــو بحوالي ٩٫٥ كيلومترا . ويصب بالهيزل عدة وديان منها وادي شرانش ووادي بيجو . وبعد التقائه بالهيزل يعرض مجراه كثيرا ويسرع في جريانه حتى يصب في دجلة شمالي فيشخابور[١] .

الزاب الاعلى (الكبير) :

ينبع نهر الزاب الاعلى من جبال حكياري ، ويجري في البدء من الشمال الى الجنوب في واد ضيق يقع في منطقة وعرة وتلتقي به اودية كثيرة ، ثم ينعطف نحو الغرب ثم نحو الجنوب مرة أخرى ويجري في واد ضيق تكثر فيه الالتواءات ، ثم يجتاز الحدود العراقية غربي قرية جال الواقعة شمال منطقة العمادية . وبعد أن يلتقي به رافد (صابنة) الشرقي يجري نحـــو

---

(١) سلمان الدروكزلي ــ جغرافية العراق العسكرية ــ بغداد ١٩٥٦ ، ص ١٠٨ .

الجنوب الشرقي بين سلسلتي شيرين وبيريس مارا بمنطقة بارزان ، ويصب فيه رافده الكبير شمدينان صو ، ويستمر في اتجاهه نحو الحدود الشمالية تاركا جبال الزيبار في جنوبه وجبال شيرين في شماله • ويمر بمدينـــة بله حيث يلتقي به بالقرب منها روبار كوجك من جهة الشمال الذي يتألـف بدوره من روبار حاجي بك ووادي برازكرد • وبعد ان يجري الزاب الكبير في واد ضيق بين جبال شيروانه والزيبار يلتقي برافده رواندوز ، الـــذي ينبع قرب رايات عند الحدود العراقية الايرانية • وهناك ينعطف نحـــو الجنوب الغربي في مجرى ملتو الى ان يلتقي برافد باستوره جاى ، فيعرض واديه ، ويترك حينئذ المنطقة الجبلية الوعرة ويجري في اراضي متموجـــة حصوية ويكون جزرا رملية ، ثم يلتقي بنهر الخـــازر (الذي يتألف من فرعين يسمى الشرقي الخازر ويسمى الغربي وادي الكومل) ، ويعـرض واديه في هـــذا القسم حتى يبلغ ٦٠٠ مترا وتكتنفه الجزر الكثـــيرة ، ويســـتمر في جريانه حتى يلتقي بنهر دجـــلة جنـــوب قرية نمرود[١] • وهكذا يمر رافد الزاب الكبير بأشد المناطق وعورة ويكون وديانا ضيقة ومضايق منيعة ، كما ان ضفافه كثيرة الانحدار والانعطاف • ويزود هذا الرافد نهر دجلة بحوالي ٣٢٫٦٤٪ من مياهه ، ويتراوح معدل تصريفه بين ٤٠ و٧٠٠ مترا مكعبا في الثانية[٢] ، كما تبلغ مساحة حوضـــه ٢٦٤٧٣ كم^{٢} ، ويبلغ طوله حوالي ٣٩٢ كيلومترا • وهناك مشروع مقترح لانشاء خزان على النهر في منطقة اختراقه لسلسلة برات في الفتحة الجنوبية لمضيق بخمة لحصر مياهه بين سلسلتي نواخين وبرات وهو خزان بخمة ، وأهم أغراض هذا المشروع تخفيف وطأة الفيضان عن دجلة وتوليد قـــوة

(١) طه الهاشمي، جغرافية العراق الثانوية ، بغداد ١٩٣٨ ، ص٣٣ـ٣٤

(٢) الدكتور أحمد سوسه ــ تطور الرى في العراق ، منشورات مجلـة المعلم الجديد ، بغداد ١٩٤٦ ص ١٥٤

كهربائية تقدر بـ ٦٠٠٠٠٠ كيلوواط والاستفادة من المياه المخزونة في موسم قلتها وذلك بتوفير مياه اضافية يستفاد منها عن طريق فتح جدول من الضفة اليسرى للنهر شمال قرية أسكي كلك لارواء القسم الشمالي من سهل مخمور • والمفروض ان يستوعب هذا الخزان ٨ر٣ مليار متر مكعب ، كما يفترض أن يغمر مساحة قدرها ١٤٠ كيلومترا مربعا •

وهناك مشروع آخر على الزاب الصغير تمت مرحلته الاولى هو مشروع أسكي كلك الذي أضاف ١٩٠٠٠٠ دونما الى الاراضي المروية في محافظة أربيل ، ويؤمل ان يضيف ٢١٠٠٠ دونما أخرى لدى اكمال مرحلته الثانية•

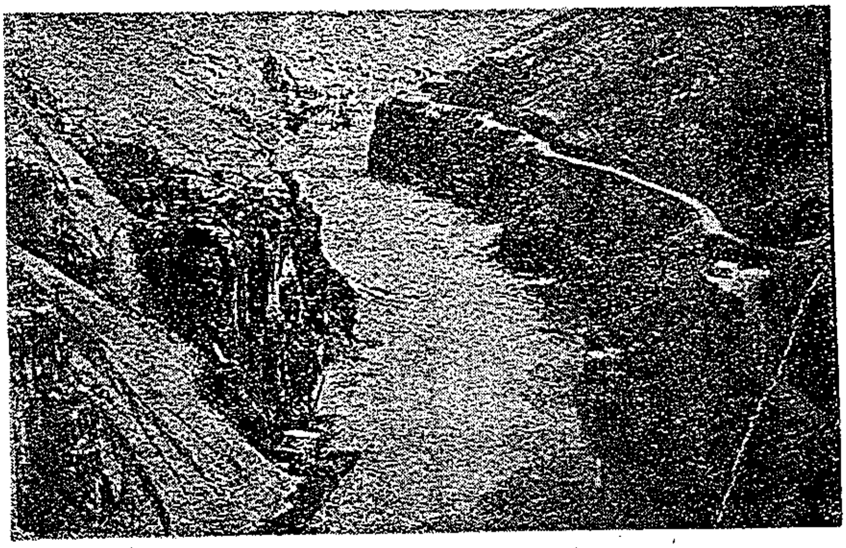
الزاب الصغير (الاسفل) :

ينبع الزاب الصغير من الاراضي الايرانية في سهل لاهجان غربي مهاباد (سوج بولاق) ، ويجري اولا نحو الجنوب الشرقي ثم نحو الجنوب الغربي بين جبال شديدة الانحدار • وبعد أن يترك منطقة سردشت يدخل العراق فيؤلف خط الحدود حتى قرية هزينة • والزاب الصغير في الحقيقة عبارة عن فرعين رئيسيين هما :

أ ـ فرع جمي‌تيت الذي ينبع من المناطق الواقعة ضمن الحدود الايرانية باسم مياه (بانه) ثم يكون الحدود العراقية الايرانية لمسافة ١٥كم ويسمى جمي تيت حيث يلتقي بالفرع الرئيسي الآخر المسمى جمي ماوت عند قرية قورتتينه فيتجه غربا نحو قلعة دزة متخذا اسم الزاب الصغير •

ب ـ فرع جمي ماوت أو قلاجوالان الذي يتألف من فرعين رئيسيين أيضا ، الاول هو جمي سيويل والذي يتكون بدوره من فرعين هما جمي قزلجة ونهر شالار ، والثاني جم گوگه سور ، ويلتقي جم گوگه سور بجمي سيويل عند قرية برده سين ويكونان جمي ماوت •

وبعد ان يمر الزاب الصغير بقلعة دزه يتجه نحو دربندي رانية ثم نحو دربنـــدي دوكان • وقبل دوكان بحـــوالى اثنى عشر كيلـــومترا يتبع الزاب الصـــغير الانكسارات في الصخور الملتـــوية مارا بعدد من المضـــايق الضيقة العميقة (أنظر شكل رقم ١٧) • ثم يأخذ قـاع النهر بالاتساع كلما استمر في جريانه في اتجاه جنوبي • وبالقرب من طقطق يترك المنطقة الجبلية ويدخل المنطقة المتموجة • ويعرض مجراه وتلتحق به روافـــد صغيرة من الشمال والجنوب • وبعد أن يترك قرية التون كوبرى في وسطه يتجه الى الجنوب الغربي ويكون بعض الجزر الرملية والحصوية في قعره الى ان يلتقي بنهر دجلة جنوب الشرقاط بحوالى ٣٠ كيلومترا • ويبلغ طول الزاب الصغير حوالى ٤٠٠ كيلومترا ، كما تبلغ مساحة حوضه ٢٢٢٥٠كم٢، وهو يزود نهر دجلة بحوالى ١٦٫٧١٪ من مياهه، حيث يبلغ معدل ايراده



شكل رقم ١٧ ــ نهر الزاب الصغير قرب دوكان

السنوي ٧٫٣٥ مليار متر مكعب[1] • ويتلقى النهر كمية عظيمة من المياه في فصل الربيع بشكل خاص عند ذوبان الثلوج وهطول الامطار الغزيرة • ولكن مهما ارتفع مستوى المياه فيه فلا يسبب الفيضان على جوانبه سوى أضرارا طفيفة نظرا لارتفاع الاراضي المحيطة بالنهر • ولا يستخدم النهر في الري الا قليلا ذلك لان مجراه أكثر انخفاضا بكثير من مستوى الاراضي الزراعية المجاورة ، كما انه يعاني من نقص شديد في مياهه وقت الصيف حينما تشتد حاجة المحاصيل الصيفية الى المياه • أما روافد النهر وتوابعه فجميعها ذات مجار غزيرة المياه في فصل الربيع بسبب الامطار الغزيرة لكنها تصبح مجرد مسيلات هزيلة أثناء الصيف • وينحصر استخدامها في الري في أشرطة ضيقة من الاراضي التي تمتد على ضفافها ، ومرجع ذلك بالدرجة الاولى الى ارتفاع مستوى الاراضي المحيطة بها • ومن أبرز الروافد التي تلتحق به جم زاراوه وبستاسين وكارفن وشلفة وتابين وباسلم •

ولقد أقيم على هذا النهر مشروعان من مشاريع الري وهما مشروع دوكان ومشروع الحويجة • فأما مشروع دوكان فقد أقيم عند مضيق دوكان على بعد ٦٠ كيلومترا شمال غرب السليمانية عند الحافة الغربية لسهل رانية • ويتألف المشروع من سد كونكريتي مقوس يقطع نهر الزاب الصغير ويبلغ طوله ٣٦٠ مترا وارتفاعه ١١٦٫٥ مترا • وقد حفر كذلك نفق قطره ١٢٫٥ مترا من الجهة اليسرى من السد لتمر فيه المياه لاغراض الري والفيضانات وجهز بأبواب حديدية للسيطرة على المياه المارة منه • كذلك بنيت خمسة منافذ مبطنة

(١) الدكتور احمد سوسة والمهندس قاهي سفيان ـ تقرير عن امكانية مشاريع الري الصغرى في المناطق الشمالية ـ مديرية الري العامة ١٩٦٥ ، ج١ ، الفصل الرابع ، ص٣

بالفولاذ بقطر ٣ر٦٥ مترا لامرار المياه لاستخدامها في مشروع الكهرباء ، ويعمل هذا السد على حجز مياه الزاب الصغير وتكوين بحيرة واسعة بين الجبال تبلغ مساحتها ٢٦٠ كيلومترا مربعا وتستوعب حوالي ٦ر٨٠ مليار متر مكعب • وان الغرض الاساسي من هذا المشروع هو خزن كميات من المياه تكفي لارواء اراضي جديدة تبلغ مساحتها ١ر٥٠٠ر٠٠٠ دونما تقع على ضفتي نهري الزاب الصغير والعظيم وتشمل اراضي مشروع الحويجة واراضي الغرفة واراضي مخمور على الضفة اليمنى من الزاب الصغير[1] • كذلك يهدف المشروع الى توليد الطاقة الكهربائية بما يقدر بحوالى ١٠٠ر٠٠٠ كيلوواط ، هذا اضافة الى هدفه الاساسي في درء أخطار الفيضان عن المنطقة الوسطى من البلاد •

أما مشروع الحويجة فيقوم اساسا على جدول يتفرع من الضفة اليسرى للزاب في محل تفرع نهر العباسي القديم على بعد ٥٥ كيلومترا من مصب النهر في دجلة ، وبعد أن يقطع الجدول حوالي ٣٠ كيلومترا يتفرع الى ثلاثة فروع • وقد انشيء في صدر الجدول الرئيسي فتحة عرضها ٥ أمتار وارتفاعها ١ر٦ مترا لامرار تصريف قدره ١٥ مترا مكعبا في الثانية كحد أقصى • ويبلغ مساحة الاراضي السيحية التي تعتمد على هذا المشروع زهاء ١٧٠ر٠٠٠ مشارة[2] •

وهناك مشروع ري كركوك الذي يهدف الى احياء ١ر٥ مليون دونم في الجهات الغربية من المحافظة بضمنها أراضي مشروع الحويجة ، ويتطلب اقامة سد على نهر الزاب الصغير هو سد دبس الذي تم انجازه منذ عام ١٩٦٩ •

1. Development Board, The great irrigation schemes, Baghdad 1955, p.10.

(٢) سوسة ، ص ١٥٢

نهر العظيم :

يعتبر نهر العظيم أقل روافد دجلة أهمية بالنظر لتصريفه المحـدود ، وهو يكاد يكون جافا في فصل الصيف . وتستقي منابعه مياهها من جبال قرەداغ والجبال الاخرى في محافظة السليمانية حيث تبلغ مساحة حوضه زهاء (١١٠٠٠) كيلومترا مربعا ، وتقدر كمية تصريفه بحوالي ٤٠٠ الى ٥٠٠ مترا مكعبا في الثانية في موسم الامطار[1] . أما بعد انقطاع المطر فلا تجري فيه كمية تذكر من المياه لانه يكاد يعتمد كليا على مياه الامطار . وأهم روافده نهر خاصة صو وآقصو الذي يمر بطوز خرماتو وطاووق جاى الـذي يمر بداقوق وقورى جاى وخوى داراج . وتجرى المياه في أعالي هـذه الروافد طوال العام ، الا انها تجف بالقرب من مصباتها في العظيم طـوال فصل الصيف . ومن المؤمل ان تقوم ترعة زاغوتين بنقل الميـاه من الزاب الصغير عرب التون كوبرى الى نهر خاصةصو وبذلك تمون فروع النهـر بالمياه الكافية للزراعة الصيفية . كما يؤمل ان تبنى قناطر عند مضيق دميرقبو لرفع المياه واسقاء السهول المجـاورة . وكان القدماء قد اهتموا بتوفـير المياه الدائمة لهذا النهر ، ففتحوا ترعا بينه وبين الزاب الاسفل وأهمها ترعـة العباسي وترعة الفيل . ويبلغ طول النهر ٢٣٠ كيلومترا ويمون دجـلة بـ ٦ر١٪ من مياهه السنوية . ويلتقي بدجلة في جنـوبي بلد بحوالى ٣٠ كيلومترا بعد أن يكون قد قطع سلسلة حمرين في مضيق دميرقبو .

آبي سيروان (دياله) :

ان نهر سيروان ، والذي يسمى في جزئه الاسفل باسم نهر ديـالى (أي بعد التقائه بنهر الوند) يمثل المنابع الحقيقية لنهر ديالى ، وهو ينبع من منطقة لورستان شمالي سنه بحوالى ٤٥ كيلومترا ، ويصرف مياه منطقـة

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨

جبلية واسعة من غربي ايران ، وذلك قبل ان يشق طريقه بين جبال هورامان وكوهي شوند حيث يدخل محافظة السليمانية من طرفها الجنوبي الشرقي عند قرية لاوەران . ويتألف مجراه من سلسلة من الممرات الوعرة الضيقة ، ويبلغ النهر أشد حالاته وعورة في فصل الربيع حيث تتلقى منابعه في جبال هورامان أثناء الشتاء ثلوجا غزيرة . ويجري في اتجاه شمالي غربي متبعا الانكسارات في الصخور الملتوية ومكونا جزءا من الحدود العراقية الايرانية لمسافة ٢٥ كيلومترا حتى يصب فيه رافده الكبير زمكان . ثم ينحرف فجأة نحو اتجاه جنوبي شرقي حتى يخترق سلسلة برنان في مضيق دربندي خان .

ونظرا لعمق واديه فان الاراضي المجاورة الواقعة على جانبيه لا تستفيد من مياهه . ويجري النهر بعد دربندي خان في أراضي متموجة مكشوفة حتى ممر منصورية الجبل حيث يخترق تلال حمرين في هذا الموضع . وابتداءا من هذا الموضع يطلق عليه اسم نهر ديالى ، ويستمر في مجراه ضمن السهل الرسوبي حتى التقائه بنهر دجلة جنوبي بغداد بحوالي ٣٠ كيلومترا . ويبلغ طول النهر بمجموعه ٣٨٦ كيلومترا ، كما تبلغ مساحة حوضه ٣١٨٩٦ كيلومترا مربعا ويزود دجلة بـ ١٣ر٥٧٪ من مياهه .

ويلتحق بنهر سيروان رافدان كبيران الاول هو آبي تانجرو الذي يصرف مياه حوض السليمانية بين جبال أزمر وجبال برنان ، وله توابع عديدة أهمها آبي جاقان وزلم (مع رافده نهر باره) واحمد آوا وخورمال وسرجنار وچق چق ، والثاني جمي ديوانه الذي يصرف مياه الحوض الذي ينحصر بين جبال قرەداغ وجبال برنان ، وهو أقل أهمية من نهر تانجرو .

ومن الروافد الاخرى التي تلتقي بنهر ديالى نهر الوند أو حلوان الذي ينبع من جبال كرند في ايران ويمر بخانقين (وقد حولت الحكومة الايرانية مجراه في أوائل الستينات) ، وقوريتو الذي ينبع شمال قصر

شيرين ، ونارين جاى الذي ينبع بجوار كفرى ، وعباسان الذي ينبع من الجبال الايرانية .

وأهم مشاريع الري التي أقيمت على هذا النهر مشروع خزان دربندى خان على أبي سيروان ومشروع سد ديالى الثابت في منصورية الجبل . فأما خزان دربندي خان فيقوم على بعد حوالي ٣٠ كيلومترا أسفل ملتقى سيروان بتابعه تانجرو في موضع دواوان عند مضيق دربندي خان . ويتألف المشروع من جدار خرساني طوله ٢٤٥ مترا وارتفاعه ١٣٥ مترا يقطع نهر سيروان عند مضيق دربندي خان . وتتكون أمام السد الركامي بحيرة تخزن حوالي ٣ مليارات متر مكعب . ويهدف المشروع الى التحكم في مياه نهر سيروان وتخليص منطقة ديالى من أخطار الفيضان ، كما يهدف أيضا الى توسيع الرقعة الزراعية على ضفتي نهر ديالى الواقعة في مؤخرة السد للقضاء على مشكلة شحة المياه في موسم الصيف . ويستفاد من المشروع أيضا في توليد الطاقة الكهربائية التي تقدر بحوالي ١١٢٠٠٠ كيلوواط[1] .

وأما سد ديالى الثابت فقد أقيم في موضع في مضيق جبل حمرين في منصورية الجبل . وتنتفع من السد جداول الخالص على الضفة اليمنى والروز والهارونية أو المقدادية وكنعان وخريسان على الضفة اليسرى ، وتقدر الاراضى الذي تعتمد على هذه الجداول بزهاء (٧٠٠٠٠٠) مشارة يزرع نصفها سنويا بالمزروعات الشتوية[2] .

وهناك أيضا مشروع رى قرةتبه ، وهو يقع في قضاء كفرى على الجهة اليمنى من نهر ديالى . ويعتبر أكبر وحدة أروائية من حيث المساحة في حوض ديالى الاوسط ، اذ تبلغ مساحة الاراضى السيحية حوالي (١٠٠)

1. Harza Co, Derbendi Khan Dam, Baghdad 1954. p.3.

(٢) سوسة ، ص ١٤٤

الف مشارة • ويحدها من الشمال جبل گمار ومن الشرق نهر ديالى ومن الغرب والجنوب وادي تارين • وتنقسم اراضي هذا المشروع الى قسمين هما منطقة قرەتبه العليا ومنطقة قرەتبه السفلى ، ويغذي المشروع حوالي (٢٥) جدولا •

تلك هي ابرز المجارى المائية السطحية التي تخترق منطقة العراق الشمالي ، ومن الواضح ان غالبيتها العظمى لا يستفاد منها في الري السيحي لانخفاض مستواها عن الاراضى المجاورة ، او لجريانها في اودية عميقة تحف بها جبال شاهقة ، ولجفافها وضآلة مياهها في فصل الصيف وهو فصل الحاجة الى المياه • كما أن الكثير من المشاريع المنجزة أو المقترح اقامتها على أنهار المنطقة لا تخدم المنطقة نفسها الا بدرجة محدودة • ولذلك فان العراق الشمالي بحاجة الى مشاريع ري صغرى أكثر من حاجته الى مشاريع ري كبرى بهدف ارواء مساحات محدودة في جهات متفرقة منه ، كما أنه بحاجة الى الاكثار من حفر الابار الارتوازية والكهاريز التي تعتبر العماد الرئيسي في الزراعة الصيفية •

- ٦ -

التربة

تعتمد صفات الترب في العراق على عوامل متعددة منها نوع الصخور الاصلية وعمرها ومدى تحللها ، ومنها التأثيرات المناخية والنباتية والطوبوغرافية ، ومنها طريقة استخدام الانسان لها •

فأما ما يتعلق بنوع الصخور الاصلية في العراق فان العصور الجيولوجية تبين سلسلة كاملة تقريبا من الصخور ابتداء من الزمن الباليوزى (الاول) الى الميسوزوى (الاوسط) الى الزمن الكاينوزى (الثالث) الى الحديث (الرابع) • ويمكن الربط بين نوع التربة ونوع الصخور في العراق على النحو التالي :

١ ـ ان الترسبات النهرية الحديثة تؤدي الى نشوء تربة عميقة ما عدا المناطق المحلية التي توجد فيها طبقات الحصباء والحصى •

٢ ـ ان تكوينات البختياري العائدة لعصر البليوسين والتي تتصف بوجود طبقات حصوية متلاحمة وكونجيلومرات تؤدي الى نشوء تربات حصوية أو حجرية •

٣ ـ ان الصخور النارية في المنطقة المعقدة الالتواء التابعة للزمن الباليوزى تؤدي الى نشوء تربة ضحلة بشكل متميز[1] •

---

1. Gibbs, G.K., soil conservation, (F.A.O.), Rome 1954, p.8

وبناء على هذا التباين في التركيب الصخري فقد صنف بيورنك Buringh الترب في العراق الشمالي الى الاصناف التالية[1] : (أنظر شكل رقم ١٨) •

١ ـ **الترب البنية الحمراء** Reddish Brown Soil

وهي توجد في الاقسام الجنوبية في المنطقة شبه الجبلية وهي ذات تربات سطحية بنية مائلة للحمرة وتصبح حمراء في التربة الداخلية • وتوجد تحت سطح هذه تجمعات من الكلس او الجبس تكون اما متماسكة أو هشة • ويبلغ معدل أمطارها السنوية بين ٢٠٠ الى ٤٠٠ ملمترا • وتكثر فيها الحشائش الحولية القصيرة • وعمليات التجوية الكيمياوية والفعاليات البيولوجية منخفضة فيها •

٢ ـ **التربة البنية (السمراء)** Brown Soil

وهي ذات لون بني في ترباتها السطحية وتتحول الى لون بني رمادي ، وتوجد طبقة من تجمعات كلسية على عمق يتراوح بين ٢٥ـ٣٥سم • وتحتوي التربة الخارجية على ١ـ٢٪ من المواد العضوية • ويشتمل نباتها الطبيعي على حشائش خشنة قصيرة وطويلة • وتتخذ عملية التجوية الكيمياوية فيها أهمية خاصة ، وقد تعرض بعض الكلس فيها لعملية الغسل Leaching

٣ ـ **التربة الكستنائية**

وهي تتمثل في سهول المنطقة الجبلية ، كسهل شهرزور ورانية وزاخو (السندي) وهي ذات لون بني غامق وتربتها السطحية هشة • وتحتوي على ما يتراوح بين ١ـ٤٪ من المواد العضوية وأقل من ٩٪ من الكلسية • ويتصف مناخ هذه المناطق بصيف حار ومعدل من التساقط يبلغ ٤٠٠ـ٨٠٠ ملمترا ، ويشتمل نباتها الطبيعي على حشائش طويلة •

---

1. Buringh, Dr., soil and soil conditions in Iraq, Baghdad 1960
Chustnuts soil



شكل رقم ١٨ ـ أنواع الترابات في العراق الشمالي (عن بيورنك)

٤ ــ تربات اللثيوسول (التربة الصخرية الضحلة) Lithosol soils

وتوجد في المرتفعات الواقعة ضمن المنطقة شبه الجبلية وهي تشتمل على طبقة من التربة الضحلة تعلو الحجارة والصخور ومعظمها يتكون من صخور كلسية أو جبسية •

٥ ــ تربة التيرا روزا أو تربات البحر المتوسط الحمراءTerra Rosa soil

وهي تتكون فوق الصخور الكلسية في منطقة الامطار التي تتراوح بين ٤٠٠ الى ٦٠٠ ملمترا وتتصف هذه التربة التي تتمثل في المنطقة شبه الجبلية والجبلية بانها كلسية بشكل شديد •

وهكذا يمكن القول ان هناك تباينا واضحا بين تربات العراق الشمالي ، ولاسيما بين تربات المرتفعات الجبلية وتربات السهول المجاورة لها • فالمرتفعات تتصف على العموم بتربات ضحلة ، ولاسيما المرتفعات ذات المنحـــدرات الشديدة في الجهات الشمالية والشرقية ، وترباتها عموما تربات محلية قد تفتت من الصخور الاصلية وهي قليلة الصلاحية لانبات المحاصيل الزراعية ، الا أنها غنية بمراعيها • وتوجد التربات الاكثر عمقـــا في المرتفعات ذات الانحدار البسيط وفي بعض الاودية النهرية • اما تربات السهول المنحصرة بين الجبال كسهل شهرزور ورانية وحرير وزاخو (السندي) فهي تربات عميقة نسبيا وترتفع فيها نسبة المواد العضوية وتصلح بشكل خاص لزراعـة الفواكه والحبوب ، وهي تعود للمجموعتين المســــماة Clacixrolls و Rendolls • غير ان تربات سهول المنطقة الشبيهة بالجبلية كسهل أربيل وسهل مخمور وسهل الموصل هي أكثر عمقا وأكثر صلاحية لزراعة المحاصيل الحقلية ، ولاسيما الحنطة والشعير ، وهي تعود الى المجموعتين المسماة Chromoxrtes و Calcirothids •

(١) الدكتور فليح حسن الطائي ــ حصر وتقييم موارد التربة والاراضي في تخطيط مشاريع التنمية ــ من بحوث المؤتمر الفني الدوري الاول لاتحاد المهندسين الزراعيين العرب ، الخرطوم ١٩٧٠

أما تربات الجزيرة الشمالية (سهول سنجار الشمالية والجنوبية) فهي بين جيرية ذات لون أسمر مائل الى الحمرة وطينية ذات لون رمادي • وهي في مناطق الاحواض والسهول عميقة وتشتمل على ذرات خشنة، كما تشتمل على الرمل والحصى ، بينما تتصف في مناطق المرتفعات ومنحدراتها بالضحالة • وهي أكثر نعومة من تربات السهول المجاورة وأقل صلاحية للزراعة (١) •

ولقد ذكر شابمان Chapman في تحليله الكيمياوي والميكانيكي لتربات العراق الشمالي بان عدم النضوج هي الصفة الرئيسة لتربات المنطقة الجبلية ، ونادرا ما تعكس أي اختلاف في مقاطعها الجانبية • أما صفاتها الكيمياوية فهي بين قلوية خفيفة وقلوية شديدة ، وان التربات الطينية والطفلية التي تعود الى طبقات الايوسين الحمراء والبختياري وفارس العليا هي أشد التربات قلوية • أما تربات الصخور النارية في المنطقة المعقدة الالتواء وتربات الطين الرملي المشتقة من الطفل الجيري فهي متوسطة في قلويتها ، في حين ان التربات الطينية والصلصالية المشتقة من صخور الاردواز ومن الحجر الجيرى الكريتاسي هي ذات قلوية خفيفة(٢) •

أما وست West الذي درس بالتفصيل عينات مختلفة من تربات العراق فقد أورد العينات التالية لتربات العراق الشمالي(٣) :

---

1. The Parsons Co., Ground water resurces of Iraq, 1955, p.27
2. Chapman, pp. 16-17
3. West, Dr. Burnell G., soil survey and classification of Iraq, Rome (F.A.O.), 1953, pp: 11 FF:

ولقد اشتمل تصنيف وست West لتربات العراق على الانواع الرئيسة التالية :

١ ـ التربة الحمراء ، وتشتمل على تربة الغابات البنية الكستنائية وتربة البحر المتوسط الحمراء •
٢ ـ التربة السمراء الحمراء • ٣ ـ التربة الصحراوية الرمادية •
٤ ـ التربات الرسوبية • ٥ ـ التربات الرسوبية الرطبة •

تربات سرجنار :

ان تربات سرجنار ذات عمق متوسط ، فالاعماق الاولى تشتمل على طمى حديث في حين ان السفوح السفلى مشتقة بشكل رئيسي من الاحجار الجيرية والطفل الرمادي والاحجار الرملية • وتوجد تحتها تربة من المواد الحصوية ، وان درجة نفاذها ضعيفة كذلك فان درجة الاحتفاظ بالماء والخصوبة في التربة السطحية والداخلية عالية ، الا انها تصبح محدودة في الطبقات الداخلية بسبب وجود نسبة عالية من الحصى • وهذه التربات جيرية على العموم ولا يوجد فيها انفصال في التربة الداخلية •

وتتمثل هذه التربات في السهول الفيضية الممتدة على ضفاف المجاري المائية العريضةفي الاودية الجبلية وهي صالحة جدا لانتاج الفواكه الصلبة والخضروات • وتتراوح كمية التساقط المناسبة بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا •

تربات بكرەجو :

وهي تربات عميقة قد تطورت أثناء الترسبات النهرية القديمة واستمدت من الحجر الجيري ، وان درجة نفاذها بطيئة عموما • وتشيع الفلوق الانكماشية في التربة السطحية والداخلية العليا بشكل واسع وخاصة في التربات الطينية منها •

وتوجد هذه التربات في السفوح ذات الانحدار التدريجي البسيط وفي السهول الفيضية في الاودية الجبلية ، وقد نشأت في المنطقة الحمراء الكستنائية • ويتراوح معدل التساقط فيها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا • وتصلح هذه التربات لزراعة الحبوب والقطن والنباتات العلفية والبقوليات والتبغ •

تربات جمجمال :

وهي تربات عميقة نشأت فوق التربات النهرية القديمة والتربات السطحية منها ذات بناء خشن سميك ثابت • أما موادها الاصلية فتسود بينها

الصخور الجيرية • وتوجد تحتها على عمق يزيد على مترين طبقة من الحصباء الجيري والحصى •

وقد نشأت هذه الترابات في المنطقة الحمراء الكستنائية ، وهي تتواجد في مرتفعات الأودية الجبلية ذات التموج البسيط ، ويتراوح معدل التساقط فيها بين ٤٥٠-٨٠٠ ملمترا وهي تصلح لانتاج الحبوب الصغيرة بدون ري صناعي •

تربات شقلاوة :

وهي تربات عميقة نشأت فوق المواد الفيضية وقد استمدت بشكل رئيسي من الحجر الجيري وأحسن مثال لها الاراضي المتموجة والمنحدرة انحدارا بسيطا • وتتصف بصفات جيرية طفيفة وغير جيرية عند السطح • وتشتمل على منطقة تجمع كلسي في التربة الداخلية على شكل عقد وخطوط •

وهذه التربات هي من نوع تربات الغابة السمراء وتتمثل في السفوح والاودية الجبلية التي يبلغ معدل تساقطها حوالى ٤٥٠ ملمترا •. وهي صالحة لزراعة الحبوب والتبغ والفواكه وخصوصا التفاح والعنجاص والخوخ والكمثري ، كذلك تصلح لزراعة الحبوب والجوز واللوز والفستق •

تربات خليفان :

وهي تربات عميقة تعود للترسبات الفيضية الحديثة وقد استمدت من الطفل الرمادي والحجر الجيري الطفلي ، وهي بطيئة النفاذ جدا كما انها خالية عموما من الحصباء والحجارة • وتوجد في الاودية المجاورة للتلال الطفلية ذات التعرية الشديدة التي يتراوح معدل تساقطها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا ، وهي صالحة جدا لزراعة الرز والحبوب الصغيرة والتبغ •

تربات الزاب :

وهي تربات عميقة قد تكونت فوق التكوينات الفيضية القديمة ، وهي مستمدة بشكل رئيسي من صخور اللايمستون ومن الصخور الرملية الحمراء

والرمادية ومن الطفل ٠ وبصورة عامة فان هذه الاراضي مستوية تقريبا ، والتربة السطحية هي سمراء فاتحة ٠

وتعتبر تربات الزاب ناضجة نسبيا ، وقد نشأت في المنطقة السمراء الحمراء ويبلغ معدل التساقط السنوي فيها فيما بين ٢٥٠-٤٥٠ ملمترا ٠ وتتمثل في منطقة الحويجة ، وأبرز النباتات الطبيعية فيها الشوك ، وهي صالحة لزراعة الحبوب والمحاصيل العلفية والبقلية ٠

ان استعراض انواع التربات في العراق الشمالي قد اوضح بأن مشكلة الملوحة التي يعاني منها العراق الجنوبي بدرجة أدت الى هجر حوالى ٢٥٪ من أراضيه الزراعية ، لا تكاد تترك أي أثر الا في بقاع محدودة للغاية ٠ ويعزى ذلك الى طبيعة أرض العراق الشمالي التي تتمتع بتصريف طبيعي جيد ٠ غير ان أراضي العراق الشمالي تعانى من مشكلة اخرى لا يكاد يكون لها أهمية في العراق الجنوبى وهى مشكلة التعرية او جرف التربة ٠ وتعانى اراضى العراق الشمالي من نوعين من أنواع التعرية وهي التعرية الخندقية والتعرية القشرية ٠ وتحدث التعرية الخندقية نتيجة لهطول الامطار على شكل زخات قوية حيث تنحدر المياه على شكل تجمع ضيق محصور فوق سفوح المرتفعات وتحفر لها أخاديد صغيرة تتسع وتعمق على مرور السنين ٠ وهذا النوع من التعرية يكثر في السفوح غير المنتظمة والتي تتفاوت صلابة صخورها ٠ اما التعرية القشرية فتحدث في الاراضى القليلة الانحدار ذات السطح المنبسط حيث تجرف المياه الجارية طبقة رقيقة من القشرة بصورة متساوية من سطح التربة٠ومن المعلوم ان هناك ثلاثة أنواع من التعرية هي التعرية المائية والتعرية الهوائية والتعرية الجيولوجية ٠ غير أن اخطر انواع التعرية تأثيرا في العراق الشمالي هي التعرية المائية ٠ وتحدث التعرية المائية عادة حينما تتجاوز الامطار معدل امكانيتها في التسرب الى باطن التربة مما يؤدي الى جريان المياه حاملة معها التربة السطحية ٠ فاذا زاد الانحدار على نسبة ١ الى

١٠ فان سرعة جريان المياه تكون كافية لحمل ذرات التربة . وكلما زادت سرعة المياه الجارية ارتفع مقدار ما تحمله من ذرات[1] .

وهكذا يتضح أن هناك عاملان رئيسيان يساعدان عملية التعرية في العراق الشمالي وهما نوع المناخ السائد بأمطاره الغزيرة التي تسقط على شكل زخات ثقيلة وفي فترات محدودة من العام ، ونوع المنحدرات الجبلية التي كلما زادت أطوالها واشتدت وعورتها كلما ساعدت على شدة التعرية . ويذكر شابمان Chapman أن اخطر اشكال التعرية المائية في العراق الشمالي تحدث في المنطقة الجبلية حيثما يكون عاملي المطر وحدة المنحدرات على أشدهما، وذلك في خلال فصل الشتاء ، وتؤثر التعرية على الطبقات السطحية للتكوينات الجيولوجية الهشة، كتكوينات البختياري السفلى وتكوينات فارس العليا ، والطبقات الايوسينية الحمراء وتكوينات صخور الطفل المختلفة . وهي تشكل ما يزيد على ثلث المنطقة الجبلية . كما تحدث التعرية ايضا في تكوينات اللايمستون الصلبة وفي تكوينات المنطقة المعقدة وفي مناطق واسعة من الصخور النارية . ومتى ما زالت الطبقات السطحية فمن السهولة بمكان جرف الصخور الداخلية الهشة مما يؤدي الى نشوء اراضي رديئة ذات اخاديد عميقة من الصعب اصلاحها[2] . (انظر شكل رقم ١٩)

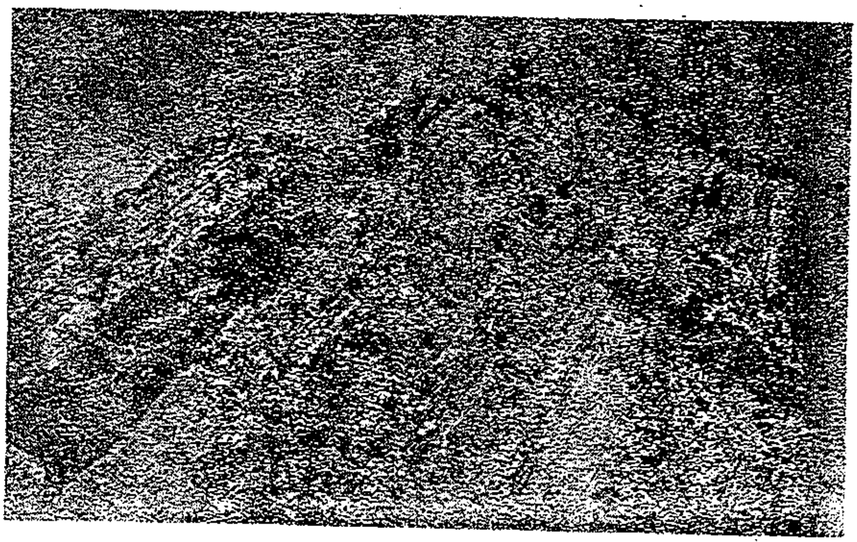
وأما منطقة الهضاب والتلول فتعاني من التعرية المائية بدرجات متفاوتة حسب نوعية التربة والطبقات الداخلية . وقد تعرضت التكوينات البختيارية السفلى وتكوينات فارس العليا ، ولا سيما في المنطقة الواسعة الممتدة شمالا وجنوبا من كويسنجق خلال جمجمال حتى نهر ديالى ، الى تعرية عميقة ذات

---

1. Hobley, C.W., 'soil erosion; a problem of human geography', Geographical Journal No. 82, 1933, p. 145.
2. Chapman, p. 25.

نوغ اخدودى ، والواقع ان التعرية في هذه الجهات مسؤولة عن تموين نهر العظيم الذى يصرف هذه المنطقة بكمية كبيرة من الطمى[1] .

ان عمليات التعرية في العراق الشمالي لا تعود الى العوامل الطبيعية المتمثلة في اشكال السطح ونمط التساقط فحسب ، بل الى عوامل بشرية ايضا تتمثل في قطع الاشجار الكيفي وفي الرعي المفرط ، ولاسيما رعي الماعز . كذلك يشجع النظام الزراعى السائد التعرية عن طريق ممارسة زراعة التبوير التي تترك جزءا من الارض عاريا من النبات .

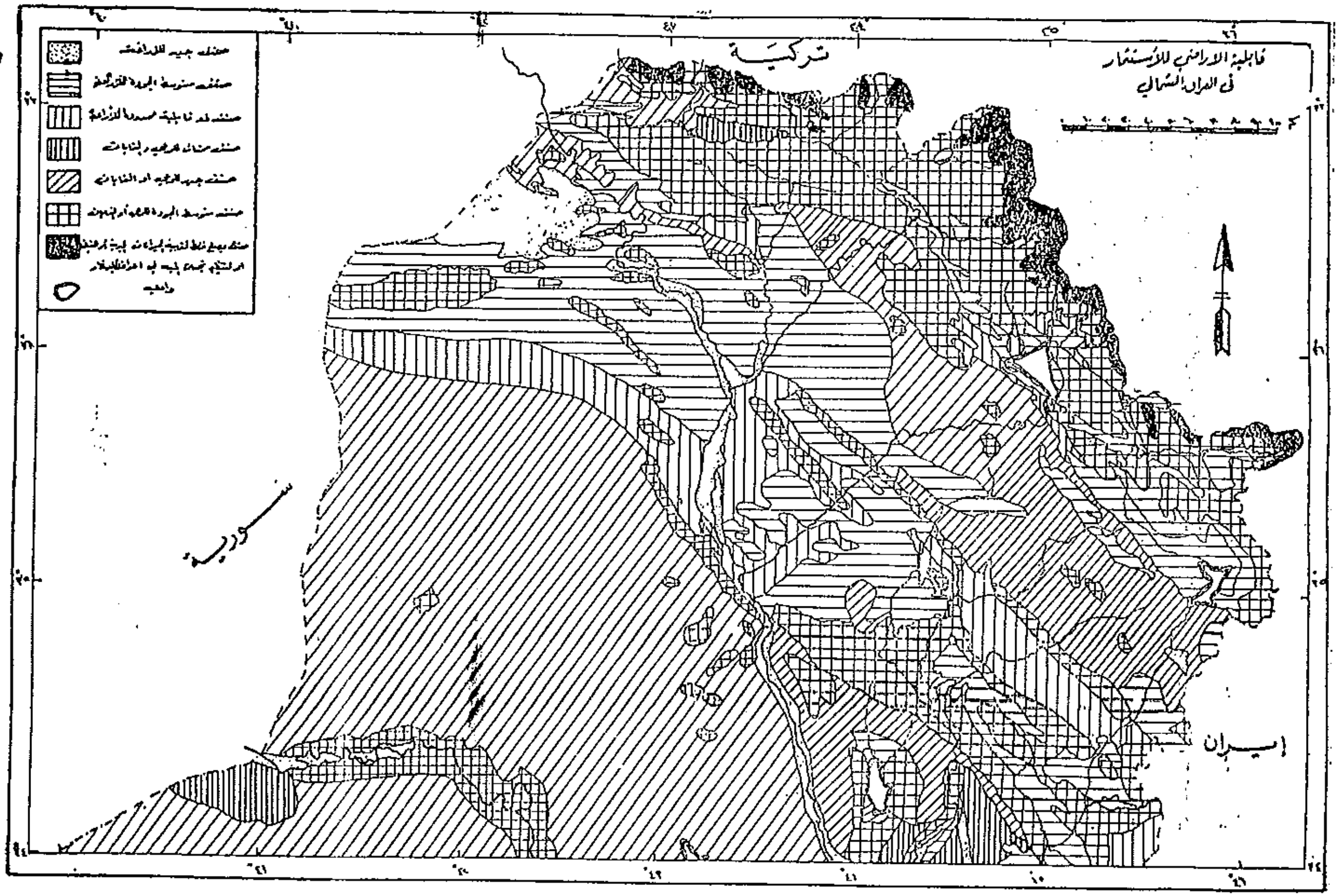


شكل رقم ١٩ – اثار عملية التعرية في أحد جبال المنطقة الجبلية .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

أن أخطار التعرية بالغة ، فهي تؤدي الى ازالة غطاء التربة الثمين الذي لا يمكن تعويضه الا بعد مرور عشرات السنين ، كما انها تؤدي الى طمر القنوات ومجاري الرى ورفع قيعان الانهار (وقد قدر ما تحمله الانهار من طمي في بعض سني الفيضان بحوالي ٣٣٪ من حجم المياه التي تحملها) ، كما تؤدي ايضا الى فقدان جزء كبير من المياه الجوفية . ولذلك فان العراق الشمالي في حاجة الى التدابير الفعالة لوقف عمليات التعرية وانقاذ أراضيه الزراعية .

واخيرا لابد من التأكيد بأن دراسات التربة في العراق الشمالي ما تزال تحتاج الى المزيد من الاهتمام لمعرفة صلاحية مختلف جهات المنطقة للاستثمار .(انظر شكل رقم ٢٠) وما تزال تربات المنطقة في حاجة الى تصنيف علمي موسع من حيث نسيجها وتركيبها الكيمياوى ومدى قابليتها لامتصاص الماء وحمله وبالتالى مقدرتها الانتاجية ، كما أن أجراءات صيانة التربة تكاد تكون مهملة كليا .



شكل رقم ٢٠ ـ خارطة توضح قابلية الارض للاستثمار في العراق الشمالي (عن قاسم الطائي)

الباب الثانى

التركيبُ السكّاني

- ١ -

التركيب الاثنولوجي

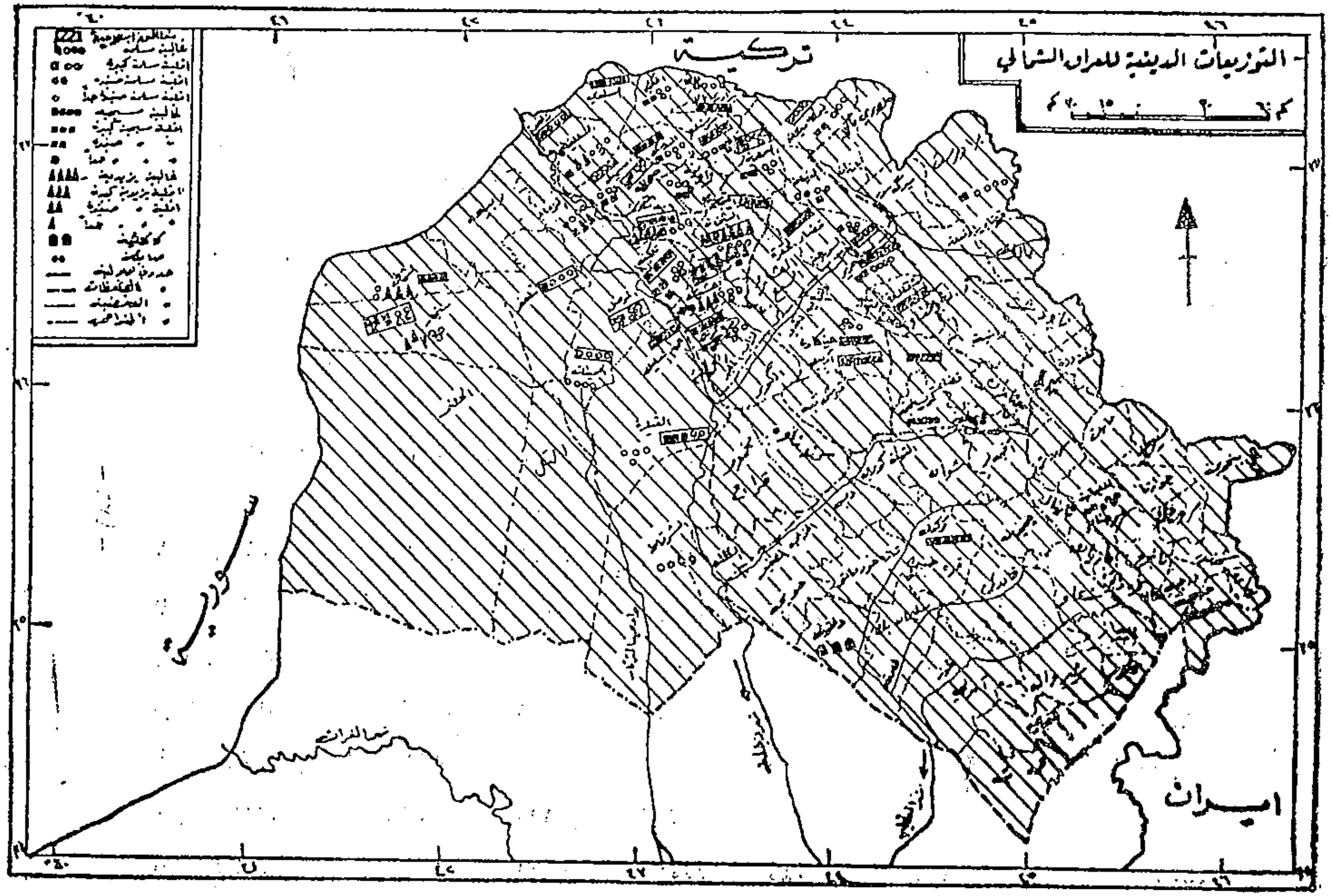
يتبع العراق الشمالي خمس وحدات ادارية كبرى وهي نينـــوى (الموصل) ودهوك واربيل والسليمانية وكركوك • ومن المعلوم ان العراق مقسم الى ست عشرة وحدة ادارية كبرى يطلق عليها اسم المحافظات (وكان يطلق عليها اسم الالوية منذ بداية تكوين العراق الحديث حتى اواخـــر الستينات) • وتقسم المحافظات الى وحدات ادارية أصغر هي الاقضية ، كما تقسم الاقضية الى وحدات ادارية أصغر هي النواحي • وتتألف النواحـــي من مجموعة من القرى الصغيرة والكبيرة ، ولا يتجاوز سكان القرى الكبيرة عادة عن الف بيت ، كما لا يقل سكان القرى الصغيرة عن ٥٠ بيتا في المعدل •

ويمثل العراق الشمالي بمحافظاته الخمس احدى الولايات الثـــلاث التي كان يضمها العراق في العهد العثماني وهي ولايـــة الموصل • امـــا الولايتان الاخريتان فهما ولاية بغداد التي تشتمل على المحافظات الوسـطى الحالية ، وولاية البصرة التي تشتمل على المحافظات الجنوبية الحاليـة ، مـع بعض التغيرات الطفيفة •

ولقد تعرضت ولاية الموصل في بداية الحكم الوطني ، اى في اوائل العشرينات وفي اعقاب الانسحاب العثماني عن العراق وفرض الســـيطرة البريطانية ، الى ملابسات كادت تسلخها عن جسم العراق • فقد طـــالبت تركيا بالاحتفاظ بها ، واوفدت عصبة الامم لجنة للتحقيق في أوضـــاع

ورغبات السكان المحليين للولاية . وبعد تحقيق استغرق شهورا طويلة قدمت اللجنة تقريرها الى عصبة الامم في ايلول ١٩٢٥ ، وبعد دراسته واستمزاج رأي محكمة العدل الدولية أصدرت عصبة الامم قرارها في كانــون الاول ١٩٢٥ بضم ولاية الموصل الى العراق وبوجوب اتخاذ خط بروكســل حدودا بين تركيا والعراق[1] . غير أن الولاية قاست لفترة غير قصــيرة في اوائل عهد الحكم الوطني من الانتفاضات ، وكان دافع البعض منها قوميا والاخر اجتماعيا . وقد أثر عدم الاستقرار السياسي بشكل او باخر عــلى تطور السكان ديموغرافيا واجتماعيا وعلى تقدم المنطقة اقتصاديا . ولا ريب أن تعقد المنطقة اثنولوجيا واثنوغرافيا قد لعب دورا في عدم استقرارهــا . فهي موطنــا للاكراد (وهم الغالبية المطلقــة) والعرب والكلــدان والاثوريين والتركمان . كما انها تضم أنواعا متعددة من الاديان والمذاهب ، فهناك الاسلام والمسيحية واليزيدية ، وهناك العلي اللهية والشبك والكاكائية. (أنظر شكل رقم ٢١) ولكل مجتمع من هذه المجتمعات طموحاته وعاداتــه وتقاليده . ولم يكن من السهل انصهارها في مجتمع الدولة الكبير خصوصا وان الوضع الطوبوغرافي المتميز بوعورته وقلة مواصلاته يساعدان على عزلتها . وسنحاول في هذا الجزء من الدراسة ان نبين توزيع المجموعات البشرية في جهات العراق الشمالي لنسلط الضوء على طبيعة التركيب الاثنولوجي للمنطقة. وتوضح الجداول التالية التوزيعات اللغوية حسب الوحدات الادارية الصغرى وهي الناحية كما وردت في نتائج الاحصاء السكاني لعام ١٩٦٥ :

(١) للتفصيل راجع كتاب : « مشكلة الموصل » للدكتور فاضــل حسين ــ بغداد ١٩٥٥ ، ص ١٤٣ .



شكل رقم ٢١ ـ خارطة التوزيعات الدينية في العراق الشمالي

جدول رقم ١٢

توزيع السكان حسب لغة الام طبقا لاحصاء عام ١٩٦٥(١)

اولا ـ محافظة نينوى

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
قضاء سنجار							
مركز قضاء سنجار	٧٩٣٤	٣٣٠٣	٤٥٤٣	٤٩	١٢	٢٧	—
ناحية سنجار	٤٤٢٢٣	١٣٩٧٩	٢٥٥١٣	٤٥٤٦	٨	٤	٢
ناحية الشمال	٢٨٠٨١	٣٩٢٥	٢٣٩٠٣	١٢٩	—	٢٣	٣
المجموع العام	٨٠٢٨٨	٢١٢٠٧	٥٣٩٥٩	٤٧٠٤	٢٠	٥٤	٥
قضاء الشيخان							
مركز قضاء الشيخان	٢٣٠٢٥	٣١٩١	١٧٥١٩	٤٤٨	٣٨	٣٠	٨٤٥
ناحية القوش	١٥٨١٧	٤٤٧٥	٩٦٤٨	١٥	١١٣٤	—	٨٧٣
ناحية المزورى	٣٥٦	١٠٢	٢٥٢				
المجموع العام	٣٩١٩٨	٦٧٦٨	٢٧٠١٩	٤٨٠	١١٧٢	٣	١٧١٨

« تابع »

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
قضاء تلعفر							
مركز قضاء تلعفر	٣٦٩٩٨	٩٨٨٨	٨٩٧	٢١٣٥٠ (+ ٤١٥٥ لغةتركية)	٢٧	١٢	٣
ناحية الزمار	٣٢٣١٨	١٨٣٦١	١٣٧٢٦	٨			
ناحية العياضية	٢٠٤٨٠	١٢٧٩٧	٢٣٤٤	٢٤٨٦ (+ ١٦٥٠ لغةتركية)	٧	٩	—
ناحية الربيعة	١٥٤٥٣	١٤٣٤٧	١٠١٩	٢٨	١٠		

(١) ماخوذ عن سجلات نتائج الاحصاء السكاني لعام ١٩٦٥– وزارة التخطيط ـ .

« تابع »

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
المجموع العام لتلعفر	١٠٤٢٤٩	٥٥٤٩٤	١٧٩٨٦	٢٣٨٥٠	٤٥	٢٣	١٠٨
				(+ ٤٨٦٠ لغة تركية)			
قضاء الحضر							
مق الحضر	١٠٠٣	٩١٧	٨٣	—	—	—	—
ناحية ألتل	٢٠٨٢٦	٢٠٦٢٢	٣٨	٤٥	٤	—	—
ناحية البعاج	٢٢٥٧٠	١٧٤١٨	٢٦٠٣	—	٦٩٨	٢	٤
				(+ ٧٦٠ لغة تركية)			
المجموع العام للحضر	٤٤٣٩٩	٣٩٠٥٧	٢٧٢٤	٤٥	٧٠٢	٢	٦
				(+ ١٧٦١ لغة تركية)			
قضاء الموصل							
مق الموصل	٢٦٤١٤٦	٢١٣١٧٥	٤٠٢٣٢	٤٨٤	٧٠١	١٧٦٢	٣١٣١
				(+ ٩٦٣ لغة تركية)			
ناحية الحمدانية	٤٣٣٩٠	٣١٨١٤	٤٣٤٢	—	—	١٩٦	—
				(+ ٧٢ لغة تركية)			

« تابع »

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
ناحية تلكيف	٣١٠٣١	٢٣٨٢٨	١٠٣٤	٢٧	١٢٠٢	—	—
ناحية بعشيقة	٢٤٧٧٣	١٨١١٢	٤٨٩١	—	—	—	—
ناحية الحميدات	٢٥٢٢٢	٢٤٩٩٧	١٠٠	—	—	—	—
المجموع العام لقضاء الموصل	٣٨٨٥٦٢	٣١١٦٥٦	٥٠٦٠٥	٥١١	١٩٠٣	١٩٣١	٣١٣٦
				(+ ١٠٣٥ لغة تركية)			
قضاء الشورة							
مق الشورة	٢٤١٠	٢٠٣٦	٣٥٣	—	—	—	—
ناحية الشرقاط	١٥٧٤	١٤٥٠	٣١	١٧	—	٩	٣٢
ناحية القيارة	٣٨٥٨٨	٣٧٧٢٢	٢٥٠	٣٧	—	١٥	٦٢
ناحية الزاب	١٣٥١٨	١٣٢٥٥	١٧٠	—	—	—	—
المجموع العام لقضاء الشورة	٥٦٠٩٠	٥٤٤٦٤	٨٠٣	٥٤	—	—	٩٤
المجموع العام للمحافظة	٧١٢٧٨٦	٤٨٨٤٤٦	١٠٠٠٩٣	٢٦٨٤٩	٣١٤٠	١٩٣١	٥٠٦١
				(+ ٥٩٩٠ لغة تركية)			

ثانيا – محافظة دهوك

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الأرمنية	الآثورية
قضاء زاخو							
م‌ق زاخو	١٤٦٤٧	١٨٩٧	١١١٧٣	٢٣٥	٣١٦	٧٩٢	٥٠
ناحية السليفاني	٨٣٧٣	١٤٤٦	٤٤٣٢	٩	٢١٥٤	٢٩٩	٦
ناحية السندي	١٥١٨	١٨	١٤٤٧	—	—	—	١٠
ناحية الكلي	٨٥١١	١٤٦٣	٤٥٤٢	٩	٢١٦٥	٣٩٨	٧
المجموع العام لزاخو	٣٣٠٤٩	٤٨٧٤	٢١٦٣٨	٢٥٣	٤٦٣٥	١٣٨٩	٧٣
قضاء دهوك							
م‌ق دهوك	١٧٦٤٦	١٠١٣	١٣٧٧٤	١٧	٦٩١	٩٢	١٧٠٠
ناحية سميل	١٢٨٤٥	٣٣٠١	٧٠٦١	١٤٠٧	١٣	—	٨٦٤
ناحية الدوسكي	٢٧٣١	١٠٧	١٦٥٦	—	٩٥٨	—	١
ناحية زاويتة	٣٥٨٠	٧٢٩	٢٧١٢	٦	١	١	١١٥
المجموع العام لدهوك	٣٦٨٠٢	٥٤٤٦	٢٥٢٠٣	١٤٣٠	١٦٦٣	٩٣	٢٦٨٠

« تابع »

قضاء العمادية							
مف العمادية	٣٣١٠	٨٤٨	٢٠٠٢	١١	—	٧	٢٤٥
ناحية سرسنك	٤٢٦٣	١٨٥٩	١٧٤٤	٣٢	—	—	٥٤٦
ناحية نيروه ريكان	١١٧٧٣	٤٠	١١٣٦٥	١	—	—	٣٠٨
ناحية برواري بالا	١٥٦٩٩	١٧٣	١٥٥٢٥	—	—	—	—
المجموع العام للعمادية	٣٥٧٣٠	٢٩٣٥	٣٠٨٥٤	٤٧	—	٧	١٥٨٨
قضاء عقرة							
مق عقرة	١٠١٦٣	١٥٤٢	٨٤٤٤	٢	—	—	١٠
ناحية السورجي	١٠٧٧١	٤١	١٠٧١٣	—	—	—	—
ناحية العشائر السبع	١٧٤٢٤	١٩٤	١٧٠٦٤	—	—	—	٨٠
ناحية نهلة	١٥٣٩	٤٧٧	١٠٢٩	—	—	—	—
المجموع العام لعقرة	٣٩٨٩٧	٢٣٥٤	٣٧٢٥٠	٦	—	—	٩٢
المجموع العام للمحافظة	١٤٥٤٧٨	١٥٥٥٩	١١٤٩٤٥	١٧٣٦	٦٢٩٨	١٤٨٤	٤٤٣٣

ثالثا ـ محافظة اربيل

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
قضاء أربيل							
م‍ق اربيل	٩٠٩٥٦	٤٢١٣	٨٣٠٩٤	٢٦٩	٢١٦	٨٨	٤٠٨
				(+ ١٢١٨ لغة تركية)			
ناحية عين كاوه	٢٦١٢٢	٤٠٥٣	٢١٩١٣	١٣	١٠	١٩	٤٢
ناحية قوش‌تبه	٢٠٦٨٣	١٦٢٨	١٩٠٣٢	٦	٥	٤	٣
المجموع العام لقضاء اربيل	١٣٧٧٦١	٩٨٩٤	١٢٤٠٣٩	٢٨٨	١١١	٢٣١	٤٥٣
				(+ ١٢١٨ لغة تركية)			
قضاء شقلاوة							
م‍ق شقلاوة	٨٧٨٩	١٢٤٢	٧٥٠٢	١	١	٤	٢٨
ناحية حرير	١٣٦٦٠	٢٤	١٣٥٥٨	—	٩	—	٥
ناحية خوشناو	١١٨٢٣	٢٤	١١٧٣٨	—	٩	—	٥
ناحية صلاح الدين	١٤١٣١	٢٥٤٠	١١٥٦٣	٨	—	—	—
المجموع العام لشقلاوة	٤٨٤٠٣	٣٨٣٠	٤٤٣٦١	٩	١٩	٤	٣٨

« تابع »

قضاء الزيبـــار							
مف الزيبـــار	٥٨٦٥	٤٠	٥٨٢٤	—	—	—	—
ناحية بارزان	٤٠٩٧	١٤	٤١٣١	—	—	—	١
ناحية برواري بالا	١٠٢٢٦	٥٦٠	٩٦٤٤	—	—	—	١
المجموع العام للزيبار	٢٠١٨٨	٦١٤	١٩٥٩٩	—	—	—	٢
قضاء راوندوز							
مق راوندوز	١٨٩٥٢	٢٨٦٤	١٦٤٦١	٥	٣	١	٦
ناحية بالك	١٥٥٤٧	٣٤٨٧	١٢٠٠٦	١١	١	—	٥
ناحية برادوست	٥٩٤٠	٢٣	٥٩١٣	—	—	٢	—
ناحية ديانا	٩٦٣٩	١٧٦٤	٧١٨٤	٢	١	١	٦٧١
المجموع العام لراوندوز	٥٠٠٧٨	٨١٣٨	٤١٥٦٤	١٨	٥	٤	٦٨٢
قضاء مخمـــور							
مق مخمور	١٠٠١٨	٣٠٣٩	٤٣٧٥	٢	—	—	—
ناحية الگوير	١٨٥٢٤	٦٣٧٤	١٢١٠٨	—	—	—	—

« تابع »

ناحية كندناوه	١٨٨٧٤	٣٥١٨	١٤٧٢٩	—	—	—	١
ناحية قراج	٩٩٣٦	٤٨١٠	٥١٢١	—	—	—	—
المجموع العام لمخمور	٥٧٣٥٢	١٧٧٤١	٣٦٣٣٣	٢	-	-	١
قضاء كويسنجق							
مق كويسنجق	٢٩١٥٥	٣٨١٨	٢٥٢٠٣	١	١٦	—	٤
ناحية طق طق	١٦٠٦٦	٢٨٧٥	١٣١٥٨	١	—	—	—
المجموع العام لكويسنجق	٤٥٢٢١	٦٦٩٣		٢	١٦	-	٤
المجموع العام للمحافظة	٣٥٦٢٩٣	٤٦٨١٠	٤٠٤٣٩٢	٣١٨	٢٧١	١١٩	١١٨٠

رابعا ـ محافظة كركوك

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
قضاء كركوك							
مف كركوك	١٨٣٩٨١	٤٠٥٨١	٧٠٨١٩	٤٨٢٤٥	١٨٦٨	١٠٤١	٦٩٢٣
				(+ ٥٤٧١) لغةتركية			
ن تازه خورماتو	١٥٠٠٦	٦٠١٧	٢٢٤٤	٦٤٠٨	١	—	—
				(+ ٩١) لغةتركية			
ناحية شوان	١٥٢٧٩	٦٧٤٥	٤٠٤٦	٤٣١٨	٢	—	—
ناحية التون كوبرى	١٥٣٣٨	٥٥١٨	٣٩٤٤	٤٣٦٦	—	—	—
ناحية قره حسن	١٦٣٦٠	٥٧٩٩	٨٩٦٨	١٠٨١	—	—	—
ناحية دبس	٢٠٤٤٩	٦٩١٠	٢٧٥٩	٩٨	١٠٧	—	٣٠١
المجموع العام للقضاء	٢٦٦٤١٣	٨١٥٧٠	٩٢٧٨٠	٦٤٥١٦	١٩٧٨	١٠٤٢	٧٢٥٧
				(+ ٥٦٠٥) لغةتركية			

« تابع »

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
قضاء طوزخورماتو							
م‍ق طوزخرماتو	٣٨٢٣٤	١٥٧٥٤	٦٦٥٠	١٥٤٠٦ (+ ٩١ لغة تركية)	١٠	١	١
ناحية قادر كرم	١٥٩٧٧	٧٢٠٧	٨٠٩٨	٥٣١	—	—	—
ناحية داقوق	١٨٩١٩	٧٢٠٦	٨٨٩٣	٢١٣٣	١	—	٥
المجموع العام لطوزخرماتو	٧٣١٣٠	٣٠١٦٧	٢٣٦٤١	١٨٠٧٠ (+ ٥٦٠٥ لغة تركية)	١١	١	٦
قضاء جمجمال							
م‍ق جمجمال	٢١٢٣٢	١٠٧٧٤	١٠٣٩٧	٢٦	٣	—	٨
ناحية اغجلر	١٤٠٣٤	٢٤٤	١٣٧١٨	٣	—	—	—
ناحية سنكاو	١٧٥١	—	١٧٥١	—	—	—	—

« تابع »

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الأثورية
المجموع العام لجمجمال	٣٧٠١٧	١٠٩٦٨	٢٥٨٦٦	٢٩	٣	—	٨
قضاء الحويجة							
مق الحويجة	٢٨٣٣	٢٠٦٢	٥٩٦	٦٨	—	—	—
ناحية الحويجة	١٨٤٩١	١٧٨٥٦	٤٠٩	—	—	—	—
ناحية الرياض	١٧٣٠٨	١٦٧٤٦	٤٣٠	٢٨	—	—	—
المجموع للحويجة العام	٣٨٦٣٢	٣٦٦٦٤	١٤٣٥	٩٦	—	—	—
قضاء كفري							
مق كفري	٨٢٦٧	٧٢٢	٥٣١٣	١١٥٣ (+ ٣٠٠ لغة تركية)	—	—	—
ناحية بياز	٧٦٤٥	٢٦٤٢	٤٥٤٤	٢١٧	١	—	—

	المجموع العام	العربية	الكردية	التركمانية	الكلدانية والسريانية	الارمنية	الآثورية
ناحية شيروانه	٢٣١١٣	٩٤٢٣	١٢٨٠٥	٦٨٣	١	—	٦
			(+ ٣٧ لغة تركية)				
ناحية قرهتبه	١٩٤٠٩	١٢٣٧٩	٤٥٢١	٢١٠٠	١	—	١
المجموع العام لكفري	٥٨٤٣٤	٢٥١٦٦	٢٧١٨٣		٣		٧
			(+ ٢٥٩ لغة تركية)				
المجموع العام للمحافظة	٤٧٣٦٢٦	١٨٤٥٣٥	١٧٠٩٠٥	٨٦٩٥٨	١٩٩٥	١٠٤٣	٧٢٧٨
			(+ ٥٤٧١ لغة تركية)				

المجمــــوع الكلي
للمحافظات الشمالية ٢٫٠٩٦٫٤٠٣

المجموع الكلي للعراق ٨٫٢٦١٫٠٠٠

ولابد من الأشارة انه طرأت تغيرات على التقسيمات الأدارية لمحافظات العراق الشمالي منذ عام ١٩٦٥ ولغاية عام ١٩٧٣ وفيما يلي الصورة الاخيرة للتشكيلات الادارية :

اولا ـ محافظة نينوى :

١ ـ قضاء الموصل ـ ونواحيه بعشيقه والحميدات وحمام العليل والمحلبية ومركز قضاء الموصل ·

٢ ـ قضاء تلكيف ـ ونواحيه وانه والقوش ومركز قضاء تلكيف ·

٣ ـ قضاء الحمدانية ـ ونواحيه الكلك ونمرود ومركز الحمدانية ·

٤ ـ قضاء الشرقاط ـ ونواحيه الزاب والشورة والقيارة ومركز قضاء الشرقاط ·

٥ ـ قضاء الشيخان ـ ونواحيه مريبا ومركز قضاء الشيخان ·

٦ ـ قضاء السنجار ـ ونواحيه الشمال ومركز قضاء السنجار ·

٧ ـ قضاء تلعفر ـ ونواحيه ربيعة وزمار والعياضية ومركز قضاء تلعفر ·

٩ ـ قضاء البعاج

٨ ـ قضاء الحضر ـ ونواحيه التل

ثانيا ـ محافظة دهوك

١ ـ قضاء دهوك ـ ونواحيه سميل ودوسكي وزاويته ومزوري ومركز قضاء دهوك ·

٢ ـ قضاء العمادية ـ ونواحيه سرسنك ونـروه ريكان وبـروارى بالا ومركز قضاء العمادية ·

٣ ـ قضاء زاخو ـ ونواحيه الگلي وسليفاني وسيندي وريزگاري ومركز قضاء زاخو

٤ ـ قضاء عقرة ـ ونواحيه نهلة والسورجية والعشائر السبع ومركز قضاء عقرة ·

ثالثا ـ محافظة اربيل :

١ ـ قضاء اربيل ـ ونوحيه عينكاوه وقوشتبه ومركز قضاء اربيل ·

٢ ـ قضاء مخمور ـ ونواحيه الكوير وكنداوه وقراج ومركز قضاءمخمور

٣ ـ قضاء كويسنجق ـ ونواحيه طقطق ومركز قضاء كويسنجق •

٤ ـ قضاء شقلاوة ـ ونواحيه خوشناو وحرير وصلاح الدين ومركز قضاء شقلاوة •

٥ ـ قضاء چومان ـ ونواحيه بالك •

٦ ـ قضاء راوندوز ـ ونواحيه برادوست وخليفان وديانا ومركز قضاء راوندوز •

٧ ـ قضاء الزيبار ـ ونواحيه مركهسور وبارزان ومزوري بالا •

رابعا ـ محافظة كركوك :

١ ـ قضاء كركوك ـ ونواحيه شوان وقره حسن وتازهخورما تو وألتون كوبري ودبس ومركز قضاء كركوك •

٢ ـ قضاء الحويجة ـ ونواحيه الرياض والحويجة ومركز قضاءالحويجة

٣ ـ قضاء كفري ـ ونواحيه قرهتبه وجباره •

٤ ـ قضاء كلار ـ ونواحيه شيروانه وبيباز ومركز قضاء كلار •

٥ ـ قضاء جمجمال ـ ونواحيه أغجهلر وسنكاو ومركز قضاء جمجمال •

٦ ـ قضاء طوزخرماتو ـ ونواحيه قادري كرم وداقوق وامرلي وسليمانبك ومركز قضاء طوزخرماتو •

خامسا ـ محافظة السليمانية :

١ ـ قضاء السليمانية ـ ونواحيه تانجرو وقرهداغ وسرچنار وبازيان ومركز قضاء السليمانية •

٢ ـ قضاء دوكان ـ ونواحيه سورداش وجناران •

٣ ـ قضاء رانية ـ ونواحيه چوارته وبنكرد ومركز قضاء رانية •

٤ ـ قضاء بشدر ـ ونواحيه ناودشت وقلعة دزه وهيرو •

٥ ـ قضاء حلبجة ـ ونواحيه سيروان وبياره وخورمال وشهرزور •

٦ ـ قضاء دربنديخان ـ ونواحيه مركز قضاء دربنديخان •

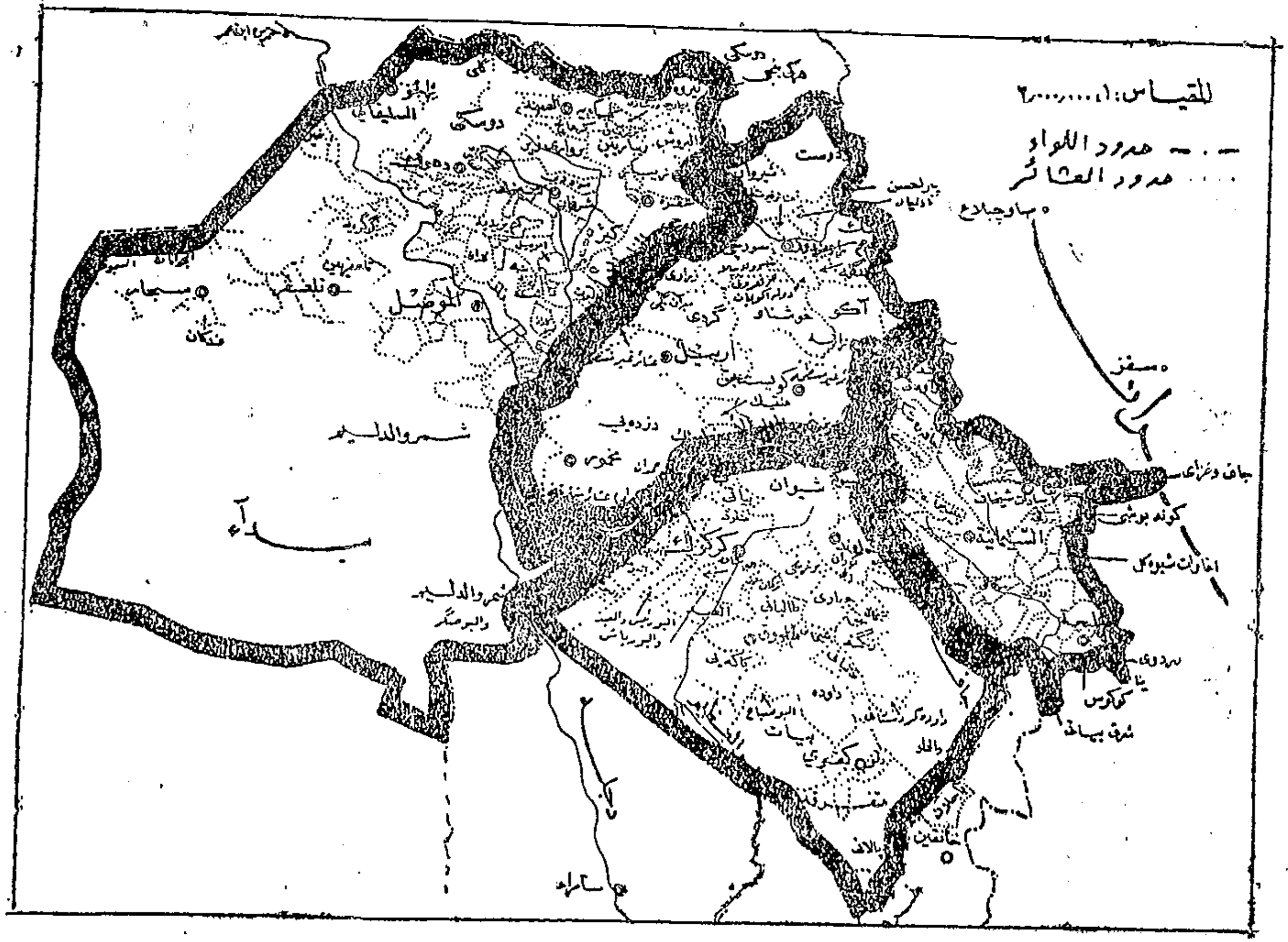
٧ ـ قضاء بنجوين ـ ونواحيه گرمك ومركز قضاء بنجوين •

٨ ـ قضاء شهربازار ـ ونواحيه ماوت وسيويل وسروچيك ومركز قضاء شهربازار •

لابد لنا أن نوضح أيضا بأن الجداول المذكورة اعلاه ينبغي ان تعامل بحذر شديد نظرا للصعوبات التي تجابهها عملية التسجيل في هذه المنطقة ٠ ولا يمكن أن نزعم بأن تلك الارقام تنطوي على درجة كبيرة من الدقة ، وقد يكون من الانسب القول بأنها ارقام تخمينية قريبة من الحقيقة ٠ ومن الجدير بالذكر أن الارقام المذكورة توضح أيضا التوزيع الديني في المنطقة ٠ فالمجموعات العربية والكردية والتركمانية تتبنى الديانة الاسلامية ، بينما تتبنى المجموعات الكلدانية والسريانية والارمنية والاثورية الديانة المسيحية ٠ أما الديانة الرئيسية الثالثة في المنطقة وهي الديانة اليزيدية فقد قدر مجموع اتباعها بحوالي ٥٥١٣٠ شخصا موزعين بين محافظتي نينوى ودهوك ، حيث يوجد في محافظة نينوى حوالي ٥٠٧٠٠ شخصا ، وفي محافظة دهوك حوالي ٤٤٦٠ شخصا (راجع شكل رقم ٢١) ٠ وعلى أية حال فمن الممكن ان نلخص مدلولات الجداول باستعراض نسب تواجد المجموعات الاثنولوجية المذكورة في الاقسام الادارية الصغرى (النواحي) ، مستعينين بالخرائط الرسمية لتوزيع العشائر في العراق الشمالي ٠ وينبغي ان نوضح هنا بأن خرائط توزيع العشائر للعراق الشمالي لا تشمل العشائريين فحسب ، بل تشمل غير العشائريين ايضا ٠ فبالنسبة للمجموعتين الكبيرتين الكردية والعربية اعتبر السكان اللاعشائريون ولا سيما الريفيين منهم) ينضوون تحت لواء العشيرة التي تشغل المنطقة ، واما بالنسبة لاتباع بقية المجموعات الاثنولوجية فقد حددت توزيعاتهم بصرف النظر ان كانوا عشائريين او لا عشائريين ٠ وبذلك قدمت الخرائط المذكورة صورة واضحة عن تواجد المجموعات الاثنولوجية المختلفة في العراق الشمالي (انظر شكل ٢٢) ٠

اولا – محافظة نينوى

يمكن القول أن محافظة نينوى تمثل اشد المحافظات الشمالية تعقيدا من الناحيتين الاثنولوجية والاثنوغرافية ، وهي في الحقيقة اشبه بمتحف



شكل ٢٢ ـ خارطة توزيع العشائر في العراق الشمالي (عن العزاوي)

اثنولوجي ــ اثنوغرافي . ففي هذه المحافظة يعيش جنبا الى جنب جميع المجموعات الاثنولوجية المتمثلة في البلاد ، وهي المجموعة العربية والمجموعة الكردية والمجموعة السريانية والمجموعة التركمانية . وفي كثير من المواضع تتداخل هذه المجموعات الاثنولوجية تداخلا شديدا بحيث يبدو من الصعب تحديد مناطق خاصة بها .

كذلك تتباين الاديان والعقائد لدى هذه المجموعات تباينا كبيرا . فهناك الديانة الاسلامية وهي السائدة ، وهناك الديانة المسيحية بمذاهبها المتعددة التي تتمثل بنسبة عالية ، وهناك أيضا الديانة اليزيدية التي تعتبر من أقدم ديانات المنطقة . وهناك عقائد خاصة اشتقت من الديانة الاسلامية ، كعقيدة الشبك والكاكائية . وتتباين ايضا الانظمة الاجتماعية والاقتصادية في المحافظة . فهناك السكان العشائريون واللاعشائريون . وهناك الرعاة الرحالة واشباه الرحالة ، جنبا الى جنب مع الزراع المستقرين . وقد ادى هذا التباين الى خلق مجتمعات خاصة تكاد تنغلق على نفسها .

أ ــ قضاء سنجار :

١ ــ ناحيتي الشمال ومركز قضاء سنجار : تتقاسم قضاء سنجار بناحيتيه ناحية الشمال وناحية مركز قضاء سنجار المجموعتان الاثنولوجيتان الكردية اليزيدية والعربية . وتحقق المجموعة اليزيدية نسبة كبيرة جدا ، وهي المتغلبة . وتمثلها عشائر متعددة تشغل مساحات واسعة من المنطقة . وابرز تلك العشائر الجوانان والداخيان والسموقة والقيران والفقراء . وتحتل هذه العشائر القسم الغربي من المنطقة بأجمعه وتمتد حتى الحدود السورية ــ العراقية . اما المجموعة العربية فتتواجد بنسبة كبيرة نوعما وتمثلها عشائر شمر فداغه وشمر فرقة المحمد اللتان تحتلان الجزء الشمالي من المنطقة . كما تحتل شمر فداغه ايضا الاجزاء الجنوبية من المنطقة وتمتد حتى

الحدود السورية . وتتجول في جنوب المنطقة ايضا مجموعات رحالـة من عشيرة شمر .

ب ـ قضاء الموصل :

١ ـ ناحية الحميدات : تكاد المجموعة العربية تنفرد باستيطان هـذه الناحية يشاركها عدد محدود من المجموعة التركمانية . وتمثل المجموعـة العربية عشائر المعامرة وتحتل مساحة واسعة في الجزء الغربي من الناحيـة ، وعشائر الجبور التي تستوطن مساحة واسعة جدا في القسم الغربـي من الناحية أيضا ، كما تشغل عشيرة طي مساحة واسعة في الجزء الشـرقي من الناحيـة . اما عشائر البو حمد والعكيدات والحديديين والجحيش والبو بدران فتشغل مساحات معتدلة نوعما . واما المجموعة التركمانية فتمثـل بنسبة ضئيلة في اقصى غربي الناحية .

٢ ـ ناحية الشورة (الشرقاط) : تنفرد المجموعة العربية باستيطان هذه الناحية . وتمثل عشائر العكيدات والبو بدران والجبور بنسب كبيرة . اما عشائر ألبو حسين والحديديين فتواجد بنسب معتدلة نوعما .

٣ ـ ناحية تلكيف : يتمثل في هذه الناحية التعقيد الشديد في التركيب الانثولوجي والاثنوغرافي للسكان ، وتكاد نسب القوميات المختلفة تتقـارب عـدديا . فهناك نسبة كبيرة من المجموعة السريانية (الكـلدان)، وهـم يتركزون حول مدينـة تلكيف ، وهنـاك نسـبة كبيرة أيضـا من المجموعة العربية وتمثلها عشائر متفرقة اهمها طي وتليها جحيش ثـم نعيم وتتناثر في مختلف جهات الناحية . وهناك نسبة معتدلة من المجموعـة التركمانية تستوطن الجهات المجاورة للنهر شمال مدينة الموصل ، يضاف اليها نسبة معتدلة نوعما من الشبك تستوطن الجزء الشرقي من الناحيـة ويختص الشبك بعقدة خاصة بهم هي العقيدة الشبكية . واخيرا هناك نسبة

معتدلة نوعما أيضا من المجموعة الكردية يمثلها الاكراد الكاكاية (الكيكية) الذين يتأثرون في مختلف جهات الناحية ولا سيما في الجهات الغربية بحذاء نهر دجلة وهم يختصون أيضا بعقيدة خاصة هي العقيدة الكاكائية .

٤ ـ ناحية الحمدانية (قرەقوش) : تماثل هذه الناحية ناحية تلكيف في تعقيدها الاثنولوجي والاثنوغرافي . وقد تتميز عنها بشدة اختلاط المجموعات الاثنولوجية وتداخلها وتمازجها بحيث يصعب تحديد مناطقها . وتواجد تلك المجموعات على شكل نسب ضئيلة على العموم. وتأتي مجموعة الشبك في المقدمة وهي تمثل نسبة كبيرة وتستوطن بدرجة رئيسية النصف الشمالي من الناحية ، يضاف اليها نسبة معتدلة من التركمان الذين يستوطنون الطرف الغربي من الناحية جنوب شرقي الموصل بحذاء نهر دجلة .

وتمثل المجموعة السريانية (الكلدان) نسبة كبيرة ايضا ، تتركز حول مدينة قرەقوش . كذلك تمثل المجموعة العربية نسبة كبيرة تتألف من عشائر متعددة اهمها عشيرة طي التي تستوطن الطرف الشرقي للناحية بحذاء نهر الخازر ، تشاركها نسب ضئيلة متفرقة من عشائر الجبور والنعيم والدليم والجحيش والبو ميات والبو سلمان والبو حياة والحديديين والعكيدات . وهناك نسبة معتدلة من المجموعة الكردية اليزيدية يستوطن جزء منها ضمن المنطقة الكبرى التي تحتلها المجموعة الشبكية ، كما يستوطن الجزء الاخر حول بعشيقة .

٥ ـ ناحية بعشيقة : يحتل الشبك معظم ناحية بعشيقة ويشاركهم اليزيدية حيث يتركزون حول مدينة بعشيقة . ويتجمع اتباع عشيرة طي في القسم الشرقي من الناحية حتى نهر الخازر . وهناك عدد قليل من اكراد كيج وبوت تحيط بهم عشيرة طي .

ج ـ قضاء تلعفر :

١ ـ ناحية زمار : يتقاسم كل من المجموعة الكردية والمجموعة العربية هذه الناحية بنسب متقاربة • فهناك نسبة كبيرة من العشائر الكردية المسماة (بالتلعفريين) وهي تتركز حول مدينة تلعفر ، كما تنتشر في جهات اخرى من الناحية • كذلك تتاثر مجموعات من العشائر الكردية الاخرى بنسب ضئيلة في مختلف جهات الناحية ، وبعضها عشائر يزيدية مثل رشكان وهسكان وميران وعشائر كوركوره • أما المجموعة العربية فتألف عشائر الجبور اكبر نسبة فيها وهي تستوطن الجهات المجاورة لنهر دجلة على ضفته الغربية • وتشاركها نسب ضئيلة من عشائر الجحيش والبو حسن والبو متيوت والشرابيين والمعامرة •

٢ ـ ناحية مركز قضاء تلعفر : تتقاسم المجموعات الكردية والعربية هذه الناحية شأنها في ناحية زمار • وتؤلف العشائر الكردية المسماة بـ (التلعفريين) اكبر نسبة من السكان ، كما تؤلف العشائر الكردية اليزيدية المسماة كوركوره نسبة معتدلة • اما المجموعة العربية فتتألف غالبيتها من عشائر طي والجحيش ، وتساهم عشائر الجبور بنسبة معتدلة نوعما •

د ـ قضاء الشيخان :

١ ـ ناحية عين سفني : تتصف هذه الناحية باختلاط شديد ايضا في مجموعاتها الانثولوجية والاثنوغرافية • اذ تتجمع ضمنها مجموعات كردية (وهي السائدة) وعربية وسريانية ، كما تتمثل فيها الديانات الاسلامية والمسيحية واليزيدية • وتمثل المجموعة الكردية نسبة كبيرة جدا تشغل عشائر (الكيج) منها مساحة واسعة ويشاركها عشائر الشرفان والزيدكية والروزبيان والزيباريين والباجوان والمربلين • ويضاف اليها نسبة معتدلة من اليزيديين

تركز حول عين سفني • اما المجموعة العربية فيمثلها عرب الزهيرات بنسبة معتدلة نوعما يشاركهم الحديديون باعداد قليلة • وهناك نسبة ضئيلة من المجموعة السريانية •

٢ ـ ناحية القوش : يبلغ الاختلاط بين المجموعات الاثنولوجية والاثنوغرافية درجة شديدة للغاية في هذه الناحية • وتحتل المجموعة الكردية اليزيدية المرتبة الاولى تليها المجموعة السريانية (الكلدان) •وتتواجد المجموعة اليزيدية بنسبة كبيرة جدا ، ويتوزع اتباعها في جهات متفرقة من الناحية • كذلك تتواجد المجموعة الكلدانية بنسبة كبيرة تتركز حول مدينة القوش كما تنتشر في مواضع صغيرة متفرقة اخرى • وتتمثل المجموعة العربية بنسبة معتدلة ، ويمثلها الحديديون في بقع صغيرة متفرقة كما تمثلها عشيرة طي في بقعة صغيرة •

ثانيا ـ محافظة دهوك

لا يبلغ التعقيد الاثنولوجي في محافظة دهوك ما يبلغه في محافظة نينوى، اذ تكاد تتحقق في هذه الناحية درجة عالية من الوحدة الاثنولوجية • وهناك مجموعتان أثنولوجيتان رئيسيتان تتمثلان في هذه المحافظة وهي المجموعة الكردية وهي السائدة ، والمجموعة السريانية التي تتواجد بنسب ضئيلة نوعما • اما المجموعتان الاثنولوجيتان الرئيسيتان الاخريتان ، ونعني بهما المجموعة العربية والمجموعة التركمانية فلا تتمثلان الا بدرجة ضئيلة للغاية • ولابد لنا هنا من ان نشير الى ظاهرة وردت في الجداول الاحصائية المذكورة اعلاه وهي ارتفاع نسبة المتكلمين باللغة العربية في نواحي محافظة دهوك المختلفة • والواقع أن غالبية اولئك الذين سجلوا في جدول الناطقين باللغة العربية ينتمون الى المجموعة السريانية (وعلى نحو الخصوص الكلدان منهم)• اما المنتسبون الى المجموعة العربية فلا يكاد يمثلهم سوى رجال الادارة والشرطة •

أ ـ قضاء العمادية :

١ ـ ناحية برواري بالا : تنفرد عشيرة برواري بالا الكردية من بين العشائر الكردية الاخرى باستيطان هذه الناحية وتمثل نسبة كبيرة ٠ وتشاطرها نسبة معتدلة نوعما من المجموعة السريانية ٠

٢ ـ ناحية نيروه ريكان : يتقاسم الاكراد الدوسكيين والاكراد النيروه ريكاني استيطان هذه الناحية ، ويمثلون نسبة كبيرة جدا ٠ اما المجموعة السريانية فتمثل بنسبة ضئيلة ٠

٣ ـ مركز قضاء العمادية : تكاد تنفرد المجموعة الكردية باستيطان هذه الناحية ، ويمثلها الاكراد الكرماتجيين بنسبة كبيرة ، تليهم عشائر برواري زير ، ثم عشائر الزيباريين ٠ وهناك ايضا نسبة ضئيلة من الاكراد الدوسكيين (ارنبيتي) و (جباري) والدشنازي والصبنة ، اما المجموعة السريانية (الكلدان) فتمثل بنسبة ضئيلة ٠

٤ ـ ناحية سرسنك : تتقاسم المجموعة الكردية والمجموعة السريانية استيطان هذه الناحية ، وتمثل المجموعة الكردية نسبة كبيرة ، بينما تمثل المجموعة السريانية نسبة معتدلة ٠

ب ـ قضاء زاخو :

١ ـ ناحية السليفاني : تستأثر عشائر السليفاني الكردية باستيطان هذه الناحية ، وتشاطرها بنسبة معتدلة المجموعة السريانية ٠

٢ ـ ناحية السندي : تكون المجموعة الكردية التي يطلق عليها اسم (سندي) نسبة كبيرة وتشاركها المجموعة السريانية بنسبة معتدلة ٠

٣ ـ ناحية الگلي : تكون المجموعة الكردية التي يطلق عليها اسم « گلي » نسبة كبيرة جدا وتشاركها المجموعة السريانية بنسبة معتدلة ٠

٤ ـ مركز قضاء زاخو : تكون المجموعة الكردية نسبة كبيرة ، وتشاطرها المجموعة السريانية بنسبة معتدلة ٠

ج ـ قضاء دهوك :

١ ـ ناحية مزورى : تستأثر باستيطانها عشيرة المزورى الكردية •

٢ ـ ناحية الدوسكي : تكاد عشائر الدوسكي الكردية تستأثر باستيطان هذه الناحية • وهناك نسبة ضئيلة من المجموعة السريانية يمثلها الاثوريون في اقصى شمال الناحية والكلدان حول مدينة مانكيز •

٣ ـ ناحية سميل : تمثل المجموعة الكردية نسبة كبيرة جدا ، وتشاركهـا المجموعة السريانية (الاثوريون) بنسبة معتدلة نوعما •

٤ ـ مركز قضاء دهوك : تمثل المجموعة الكردية نسبة كبيرة وتشاركهـا المجموعة السريانية بنسبة معتدلة •

د ـ قضاء عقرة :

١ ـ ناحية السورجية : تتقاسم عشائر الزيباريين الكردية وعشائر السورجي الكردية استيطان هذه الناحية • وتمثل المجموعة السريانية (الكلدان) نسبة ضئيلة على شكل نقاط متفرقة •

٢ ـ ناحية العشائر السبع : تستأثر المجموعة الكردية باستيطان هـذه الناحية ، وتتقاسمها اربع عشائر رئيسية هي السـورجي وزيكرى والكيز (الكيج) والبوت • اما العشائر الكردية الاخرى فتتواجد على شكل نقاط مبعثرة وتشتمل على شارك ـ خدرى ـ كومار ـ شيخ بزيني ـ زنكنه ـ موسه يي ـ هموز • امـا المجموعة السريانية فتتمثل بنسبة ضئيلة للغاية •

٣ ـ ناحية النهلة : تكاد تنفرد المجموعة الكردية باستيطان الناحية وهـي تتمثل بنسبة كبيرة جدا • وتتواجد المجموعة السريانية (الكلدان) كذلك بنسبة معتدلة نوعما •

٤ ـ مركز قضاء عقرة : تمثل المجموعة الكردية نسبة كبيرة للغاية تشاطرها المجموعة السريانية (الكلدان) بنسبة ضئيلة •

ثالثا ـ محافظة اربيل

تصف محافظة اربيل بدرجة عالية من الوحدة الاثنولوجية ـ ولاسيما في جهاتها الجبلية، الا ان مناطقها السهلية والمجاورة لمحافظة نينوى تمثل اختلاطا واضحا للمجموعات الاثنولوجية المختلفة، وان كانت المجموعات الثانوية لا تحقق نسبا عالية • وتأتي المجموعة السريانية على رأس المجموعات الاثنولوجية الثانوية تليها المجموعة العربية ثم التركمانية •. وتختلط المجموعة السريانية بالمجموعة الكردية في الجهات الجبلية من المحافظة، بينما تختلط المجموعة العربية مع المجموعة الكردية في الجهات السهلية في الجنوب والجنوب الغربي • اما المجموعة التركمانية فتكاد تتركز في مراكز استيطانية معينة أهمها مدينة اربيل •

وهناك ظاهرة اخرى تتمثل في محافظة اربيل وهي التعقيد الاثنوغرافي الشديد الذي يتمثل بتغلب الروح العشائرية وبتعدد العشائر وتباين انظمتها بين زراعية ورعوية •

آ ـ قضاء راوندوز :

١ ـ ناحية برادوست : تستأثر المجموعة الكردية باستيطان هذه الناحية، وتمثلها عشائر برادوست، وتشاطرها عشائر بيرا حسن بنسبة ضئيلة للغاية •

٢ ـ ناحية بالك : تستأثر عشائر بالك باستيطان الناحية •

٣ ـ ناحية ديانا : تتقاسم استيطانها المجموعة الكردية والمجموعةالسريانية (الاثوريون) بنسب متقاربة •

٤ ـ مركز قضاء راوندوز : تستأثر المجموعة الكردية باستيطان المنطقة وتتألف من عشائر متفرقة اهمها بادليا ـ دولمجل ـ دركله ـ هروتي • وتمثل المجموعة السريانية نسبة ضئيلة على شكل نقاط متفرقة •

ب ـ قضاء الزيبار :

١ ـ ناحية مركهسور: تستأثر باستيطان هذه الناحية عشائر شيروان الكردية.

٢ ـ ناحية بارزان : تنفرد باستيطان هذه الناحية المجموعة الكردية المتمثلة بعشائر بارزان .

٣ ـ ناحية مزوري بالا : تنفرد باستيطان هذه الناحية المجموعة الكردية وتمثلها عشائر متعددة أبرزها الهركي (وهي عشيرة رحالة) والمزوريين والشراويين .

ج ـ قضاء كويسنجق :

١ ـ مركز قضاء كويسنجق: تنفرد هذه الوحدة الادارية المجموعة الكردية. وتشاطرها المجموعة السريانية بنسبة ضئيلة للغاية .

٢ ـ ناحية طق طق : تنفرد باستيطان هذه الناحية المجموعة الكردية ويمثلها عشائر شيخ بزيني ولاك ومنتسيك .

د ـ قضاء شقلاوة :

١ ـ ناحية حرير : تكون المجموعة الكردية نسبة كبيرة جدا وابرز عشائرها السورجي وزراري . وتقاسمها المجموعة السريانية بنسبة معتدلة .

٢ ـ ناحية خوشناو : تكاد تنفرد المجموعة الكردية بأستيطان الناحية ، وابرز العشائر التي تمثلها عشائر خوشناو .

٣ ـ ناحية صلاح الدين : تنفرد المجموعة الكردية باستيطانها .

٤ ـ مركز قضاء شقلاوة : تتقاسم المجموعة الكردية والمجموعة السريانية استيطان المنطقة ، وتمثل المجموعة الكردية نسبة كبيرة نوعما بينما تمثل المجموعة السريانية نسبة معتدلة .

د ـ قضاء مخمور :

١ ـ ناحية كندناوه:تنفرد المجموعة الكردية باستيطان الناحية،وابرز العشائر المتمثلة في المنطقة عشائر دزدى (دزئي) .

٢ ـ ناحيتي قراج والكوير : تنفرد المجموعة الكردية باستيطانهما .

٣ ـ مركز قضاء مخمور : تكاد تنفرد المجموعة الكردية باستيطان المنطقة وأبرز عشائرها عشيرة دزدى • وتمثل المجموعة العربية بعشيرة الجبور التي تؤلف نسبة ضئيلة •

هـ ـ قضاء اربيل :

١ ـ ناحية قوشتبه : تنفرد باستيطان هذه الناحية المجموعة الكردية وتمثلها عشائر متعددة ابرزها عشيرة دزدى •

٢ ـ ناحية عينكاوه : تستأثر المجموعة الكردية باستيطان هذه الناحية وابرز عشائرها گردي • وتشارك المجموعة السريانية بنسبة ضئيلة •

رابعا ـ محافظة كركوك

تتقاسم هذه المحافظة ثلاث مجموعات اثنولوجية هي المجموعة الكردية والمجموعة التركمانية والمجموعة العربية • والمجموعة الكردية متغلبة كليا في الجهات الجبلية والمرتفعة من المحافظة • اما المجموعة العربية فتزايد اعدادها في المناطق السهلية من المحافظة ، اى في السهول الفسيحة الممتدة في الاقسام الجنوبية الغربية من المحافظة • وأما المجموعة التركمانية فتكون نسبة معتدلة من سكان المحافظة ، وتعتبر محافظة كركوك اهم مناطق استيطان هذه المجموعة • وتتركز المجموعة التركمانية في مدينة كركوك حيث يتواجد فيها اكبر عدد من التركمان بالنسبة لاى مكان آخر ، كما انها تتجمع في خط معين من مراكز الاستيطان يخترق المحافظة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، ويمتد جنوبا في محافظة ديالى وشمالا في محافظتي اربيل ونينوى • ومن اهم مراكز التجمع التركماني في محافظة كركوك تازةخورماتو والتون كوبرى وداقوق وطوزخرماتو وبعض قرى البيات وكفرى وقرهتبه وجلولاء اضافة الى مدينة كركوك • اما الامتدادات الجنوبية لهذا الخط في محافظة ديالى فتمثل في جلولاء (قرهغان) والسعدية

(قزلرباط) وخانقين وشهربان (المقدادية) والمنصورية ودلي عباس وقزانية ، وتنتهي بجوار مندلي • ومن الجدير بالذكر ان محافظة ديالى (وهـي من محافظات المنطقة الوسطى) تتصف أيضا بالتنوع الاثنولوجي • فمـع ان المجموعة العربية هي السائدة ضمن المحافظة الا ان المجموعة الكردية تكون ايضا نسبة كبيرة وهي متغلبة في قضاء خانقين بنواحيه قورتو وميدان ومركز قضاء خانقين ، كما انها كبيرة في مركز قضاء مندلي ، هذا اضافـة الى المجموعة التركمانية المذكورة اعلاه(*) •

اما المجموعة السريانية فتتمثل في محافظة كركوك بنسبة ضئيلة تتركـز في مدينة كركوك ، وهي تتألف من الكلـدان والاثوريين ، ويوجد بالاضافة اليها عدد من الارمن • ومن المعلوم ان عددا كبيرا منهم يعمل في شركة نفط العراق • ويرتفع عدد الاثوريين بالذات في مدينة كركوك حيث كانت من أهم مدن العراق التي تم توطينهم فيها في أعقاب الحـرب الكبرى الاولى • وهناك مجموعات سريانية ضئيلة تستوطن ايضا في ضواحي آلتون كوبرى وفي ناحية قرهتبه •

ويمكن ان يتوضح توزيع المجموعات الاثنولوجية في جهات المحافظـة المختلفة على النحو التالي :

(*) ورد في احصاء عام ١٩٦٥ ان مركز قضاء خانقين يشتمل على ٢٨٦٢٦ كرديا و ٧٠٤٣ عربيا و ١٤١٩ تركيا و ٢٨٠ تركمـانيا (من مجموع ٣٩٣١٦) ، كما تشتمل ناحية ميدان على ٢٠٥٥ كرديـا و ٧٣٩ عربيا (من مجموع ٢٨١٨) ، وتشتمل ناحية قورهتو عـلى ٨٥٥١ كرديا و ٥٢٠ عربيا (من مجموع ٩١٢٩) وتشتمل ناحية السعدية على ٨٤٤٧ عربيا و ٢٥٦٠ كرديا و ١١٠١ تركيا (مـن مجموع ١٢٥٩٩) ، وتشتمل ناحية جلولاء على ٣٤١٨٣ عربيـا و٤٩٤٣ كرديا (من مجموع ٢٢٢٠٨) ، ويشتمل مركز قضـاء مندلي على ٢١٢٣٥ عربيا و ٩٥٧٩ كرديا و ٦٤٨ تركيا (مـن مجموع ٣٢٢٨٣) •

ا ـ قضاء جمجمال :

١ ـ ناحية آغجهلر : تنفرد باستيطانها عشيرة قلاسيوكه الكردية •

٢ ـ ناحية مركز قضاء جمجمال : تنفرد باستيطانها عشيرة هماوند الكردية •

٣ ـ ناحية سنكاو : تتقاسم استيطانها العشيرتان الكرديتان برزنجي وجاف •

ب ـ قضاء طوز :

١ ـ ناحية قادر كرم : تسود المجموعة الكردية في هذه الناحية وتتقاسمها أربع عشائر رئيسية هي الزنكنة والطلباني والشيخاني والجباري •

٢ ـ ناحية داقوق : تتقاسم استيطان هذه الناحية المجموعات الاثنولوجية الثلاث الكردية والعربية والتركمانية • وتتواجد المجموعة الكردية بنسبة كبيرة جدا تمثلها عشائر الطلباني والكاكهى والداوده • وتمثل المجموعة العربية عشائر العبيد بنسبة معتدلة وتحتل مساحة واسعة من الناحية في الجهة الجنوبية المحاذية لمحافظة بغداد • اما المجموعة التركمانية فتتمثل بنسبة معتدلة نوعما وتتركز حول مدينة داقوق •

٣ ـ ناحية مركز قضاء طوز : تختلط المجموعات الاثنولوجية الثلاث الكردية والعربية والتركمانية في هذه الناحية ايضا • وتمثل عشائر البيات أكبر مجموعة اثنولوجية عربية في الناحية وتحيط بنهر آقصو • وبالرغم من أن غالبية أفراد هذه العشيرة عرب الا ان أتباع بعض فروعها من التركمان • أما المجموعة التركمانية فتتمثل بنسبة معتدلة ، وتتركز حول مدينة طوزخرماتو • وتتمثل المجموعة الكردية بنسبة ضئيلة بعشائر متفرقة في شتى جهات الناحية •

ج ـ قضاء كفري :

١ ـ ناحية بيباز : تنفرد المجموعة الكردية باستيطان هذه الناحية وتمثلها عشيرة الجاف .

٢ ـ ناحيتي قرهتبه وشيروانه : تختلط في هاتين الناحيتين المجموعات الاثنولوجية اختلاطا عظيما . وتتمثل كل من المجموعتين الكردية والعربية بنسب كبيرة ، وان كانت نسبة المجموعة الكردية في ناحية شيروانة متغلبة . اما المجموعة التركمانية فتمثل بنسبة معتدلة وتتركز حول قرهتبه . وتتمثل المجموعة الكردية بعشائر متعددة منها زند وبالاني واللهيب والكيز (الكيج) . أما المجموعة العربية فتمثلها عشائر الكرويين (الذين يحتلون مساحة واسعة حول آبي سيروان وبجوار نهر ديالى) ، والبو عامر والسعديين والجبور وبني تميم والبو مفرح وبني زيد وبني تميم (وهم يحتلون مساحة واسعة نوعما على حدود ديالى) .

٣ ـ ناحية مركز قضاء كفرى : تختلط المجموعات الاثنولوجية في هذه الناحية ، الا ان المجموعة الكردية تمثل الغالبية الكبرى . وابرز عشائرها الجاف والدلو والداودة وكيز (كيج) ، وتتمثل المجموعة التركمانية بنسبة معتدلة حول كفري . اما المجموعة العربية فتواجد بنسبة ضئيلة وابرز عشائرها الصميدع والسادات .

د ـ قضاء كركوك :

١ ـ ناحية شوان : تستأثر المجموعة الكردية باستيطان هذه الناحية وتتقاسمها عشيرتي شوان وشيخ بيزني .

٢ ـ ناحية آلتون كوبري : تختلط المجموعات الاثنولوجية الثلاث في هذه الناحية ، وتسود المجموعة الكردية التي تمثلها عشائر متفرقة ابرزها

عشيرة صالحي وبياني وعشائر متفرقة اخرى • أما المجموعة العربية فتوجد بنسبة معتدلة وتمثلها عشائر البو جميدان وجبور وعشائر متفرقة اخرى • وتتواجد المجموعة التركمانية بنسبة معتدلة نوعما وتتركز حول آلتون كوبرى •

٣ - ناحية قره حسن : تختلط المجموعات الاثنولوجية في هذه الناحية ، وتستأثر المجموعة الكردية بالنصيب الاكبر وتمثلها عشائر طلباني وبرزنجي وشوان • وتتمثل المجموعة العربية بنسبة معتدلة وابرز عشائرها العبيد والجبور • اما المجموعة التركمانية فتتمثل بنسبة ضئيلة نوعما على شكل نقط متفرقة •

٤ - ناحية دبس : تكاد المجموعة العربية تستأثر باستيطان هذه الناحية ، وتشاركها المجموعة الكردية بنسبة ضئيلة نوعما تمثلها عشائر متفرقة• وتشتمل المجموعة العربية على عشائر متعددة تستوطن الجهات المحيطة بنهر الزاب الصغير وابرزها عشائر الجبور والبو حمدان والبو جحش والبو أسحاق وألبو جبر والبو صكر وشلله • وهناك مجموعات من عشيرتي الجبور والعبيد تحترف الرعي وتتجول في الجهات الداخلية من الناحية •

٥ - ناحيتي تازه خورماتو ومركز قضاء كركوك : تتقاسم هذه المنطقة المجموعات الاثنولوجية الثلاث الكردية والعربية والتركمانية ،وتمثل المجموعة العربية نسبة كبيرة • وهي تشتمل على عشائر العبيد والبو رياش والبو شاهر ، كما تشتمل ايضا على بعض العشائر الزعوية المنحدرة من عشيرة العبيد وتتجول في منطقة الحويجة على نحو الخصوص • اما المجموعة الكردية فتمثلها عشيرة شوان وهي تتواجد بنسبة معتدلة نوعما • وتتركز المجموعة التركمانية في مدينة كركوك والقرى المحيطة بها وتتواجد بنسبة كبيرة نوعما •

خامسا ــ محافظة السليمانية

تنفرد محافظة السليمانية من بين محافظات العراق الشمالي بدرجة عالية من الوحدة الاثنولوجية ، اذ انها تكاد تستوطن من قبل المجموعة الكردية فقط ، وهذا ما دعانا الى عدم تنظيم جدول بمجموعاتها الاثنولوجية • ومع ذلك فان الاحصاء الرسمي لعام ١٩٦٥ يذكر بأن لواء السليمانية يشتمل بالاضافة الى سكانه الاكراد على ٥٢٥٩١ عربيا ، و ٤٩٤ تركيا و ٣٢٧ كلدانيا وسريانيا و ٢٤٠ أرمنيا و ٣٢٣ اثوريا ، كما يذكر احصاء عام ١٩٥٧ ان لواء السليمانية يشتمل بالاضافة الى سكانه الاكراد على ٣٢٨٥ عربيا و ٣٦٦ تركيا و ٣٣٨ سريانيا و ٣٧٢ ممن لم تتبين هوياتهم القومية • ولا ريب ان عدد العرب في الاحصاءات المذكورة يلفت النظر ، فمن المعروف أن العرب لا يؤلفون أية نسبة من حرفيي محافظة السليمانية أو زراعها • صحيح ان هناك عددا منهم من موظفي الدولة وخصوصا موظفي الجيش والادارة والشرطة ، الا أن هذا العدد لا يمكن ان يبلغ ذلك الرقم المرتفع • وهم على اية حال لا يكونون جزءا اصيلا من السكان بل جزء طارىء • اما ما يتعلق بالمجموعة الكردية فهي تتوزع بين سكان عشائريين ولا عشائريين • ويتوزع السكان العشائريون في جهات المحافظة على النحو التالي :

أ ــ قضاء بشدر :

١ ــ ناحية قلعة دزه : تنفرد باستيطان هذه الناحية عشيرة بشدر ميرا ودلي التي تتألف من عشائر متعددة •

٢ ــ ناحية مركه : تتقاسم استيطان هذه الناحية عشيرة بشدر ميراودلي وجافەرشكه وشيلانه ونركەرشه •

ب ــ قضاء شهر بازار :

١ ــ ناحية ماوت : تنفرد باستيطانهذه الناحية عشيرةبشدر ايضا بمجموعاتها

المتعددة واهمها بشدر علي اغاي وبشدر سليم أغاى وبشدر ميرا ودلي وبيكزاده .

٢ - ناحية سيروجيك : تكاد العشيرة المسماة سادات برزنجة تستأثر بأغلب اجزاء الناحية ، ويشاركها بمساحات محدودة عشائر جوجاني وغوارهبي سرى .

٣ - ناحية سيويل : تحتل العشيرة المسماة سادات شيخان مساحة واسعة من الناحية تتركز في الجهات الوسطى منها ، وتليها عشيرة اغاوات شيوهكل التي تستوطن المناطق المجاورة لايران . وهناك عشائر اخرى بأعداد ضئيلة مثل بشدر فرح بيكي وبشدر آلان .

ج - قضاء بنجوين :

تتوزع قضاء بنجوين ثلاث عشائر رئيسية هي اغوات شيوكل وبكزادهبانه وكوني بوشى .

د - قضاء حلبجة :

١ - ناحيتي خورمال وشهرزور : تستوطن هذه المنطقة عشيرة الجاف (وهي عشيرة رحالة اصلا) بمجموعاتها المتعددة مثل جاف شيخ اسماعيل سعداني وجاف هاروني وجاف روغزاى ويوسف جاني وجانى شاطري وورده شاطري . وتوجد كذلك عشيرة هاورامى في منطقة جبال هاورامان .

٢ - ناحيتي سيروان ودربندىخان (ناحية وارماوه القديمة) : تكاد تنفرد عشيرة جاف بمجموعاتها المتعددة باستيطان هذه المنطقة ايضا ، وابرز مجموعاتها جاف طرخاني وجاف هاروني وجاف شاطري وروغزاي جاف بالاضافة الى عشيرتي گوران سادات وگلالي .

٣ - مركز ناحية حلبجة : تكاد تستأثر عشيرة الجاف بأستيطان هذه الناحية ، وابرز مجموعاتها جاف تورولي وجاف هاروني ويزدان بختى وبرجوكهى دلين وشرف بياني وتاكوزى .

هـ ـ قضاء السليمانية :

١ ـ ناحية سورداش : وتتوزع فيها عشائر متعددة اهمها جافهرشكه وجافتي وكافروشي وسادات شركلونفشي وسادات عبدالان وقرهويس وكومهى اسماعيل عزيزى وميرالاى اسماعيل عزيزى •

٢ ـ ناحية سرجنار : واهم عشائرها اسماعيل عزيزى وشنكي ومندمي وجاف ميرالاى •

٣ ـ ناحية بازيان : وتتوزعها أربع عشائر رئيسية ابرزها عشيرة هماوند وكذلك كافروشي وشنكي ومندمى •

٤ ـ ناحية قرهداغ : تحتل العشيرة المسماة سادات برزنجة المكانة الاولى في الناحية ، وتستوطن الناحية عشائر متعددة اخرى ابرزها سادات شيخ اسماعيل وبرزنجه سيد قلندر وجاف طرخاني وجاف ميرفي •

٥ ـ ناحية تانجرو : تنفرد عشيرة الجاف بدرجة رئيسية في استيطان هذه الناحية وابرز مجموعاتها جاف روغزاى وميكائلي ورشوبودى وبي سرى •

و ـ قضاء رانية :

١ ـ ناحية ناودشت : يتقاسم استيطان هذه الناحية عشيرتي آكو ومنكور •

٢ ـ ناحيتي جناران ورانية : تستوطن هذه المنطقة عشائر عديدة متفرقة لا ينتمي اى منها الى مجموعة العشائر الكبرى •

وهكذا يتضح بأن العراق الشمالي يمثل متحفا اثنولوجيا واثنوغرافيا عظيما •. وقد انعكس هذا التعقد الاثنولوجي ـ الاثنوغرافي الشديد ، على مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية في المنطقة انعكاسا قويا • فلقد خلق نوعا من الصراعات بين المجموعات الاثنولوجية المختلفة كان أساسها اقتصاديا ولاشك • واكتسب هذا الصراع ايضا جانبا

سياسيا وخصوصا ما يتعلق بموقف هذه المجموعات من السلطة الحاكمة ٠ ولقد غذى تلك الصراعات ـ التي كثيرا ما اعلنت عن نفسها على شكل تمردات وثورات ـ السياسة الخاطئة التي تتبعها السلطة الحاكمة تجاه المطالب العادلة لتلك المجموعات الاثنولوجية ، يضاف الى ذلك المؤامرات التي كانت تساهم في تدبيرها بعض الدول الطامعة ٠ ولعل اهم المشاكل التي عانت منها البلاد لفترة طويلة وادت الى اقتتال الاخوة والى خسائر اقتصادية لا حصر لها هي المشكلة الكردية ٠ وقد تم التوصل في عهد الحكومة الحاضرة (حكومة ثورة ١٧ تموز) الى حل سلمي لتلك المشكلة يعتمد اساسا له منح المنطقة الكردية حكما ذاتيا ضمن اطار الجمهورية العراقية ، وذلك في ١١ اذار ١٩٧٠[1] ٠ كذلك اقرت الحكومة الاعتراف بالحقوق الثقافية للتركمان وللناطقين باللغة السريانية كالتدريس بلغاتهم في المدارس الابتدائية والثانوية ، وتأسيس النوادي الثقافية والمجامع العلمية وكنشر الكتب والمجلات[2] ٠ ولا ريب ان تنفيذ هذه المقررات تنفيذا صحيحا سيؤدي الى زوال الكثير من العقبات امام وحدة أبناء هذا القطر ٠

(١) للتفصيل ، راجع : « تنفيذ بيان ١١ آذار » ، منشورات وزارة الاعلام ـ مديرية الاعلام العامة ـ « السلسلة الاعلامية رقم ٣١ » ـ بغداد ١٩٧٢ ٠

(٢) راجع : « منح الحقوق الثقافية للمواطنين التركمان والناطقين بالسريانية » ـ وزارة الاعلام ـ مديرية الاعلام العامة ـ السلسلة الاعلامية رقم ٤١ ، بغداد ١٩٧٢ ٠

- ٢ -

التركيب الاثنوغرافي

تعتبر اراضي العراق الشمالي من اقدم الجهات التي استوطنها الانسان. فقد كشفت الابحاث الاركيولوجية عن آثار الانسان بأدواره الحجرية المتعددة في مختلف جهات المنطقة . ولعل اهم تلك المكتشفات هي التي عثر عليها الدكتور سولكي Solecki عام ١٩٥١ في كهف شانيدر الواقع في الطرف الجنوبي الغربي لجبال برادوست قرب مدينة راوندوز . فقد دلت تلك المكتشفات ان انسان العصر الحجري الاوسط الذي ينتمي للحضارة الموستيرية قد عاش في تلك الجهات حيث عثر على بعض المواقد والادوات الحجرية والفؤوس والمكاشط. كذلك عثر على أربعة هياكل عظمية في الكهف نفسه أمكن ان يقرن واحدا منها على الاقل بأنسان نياندرتال . ومعنى ذلك ان الانسان كان قد سكن هذه الجهات منذ اكثر من ٧٥ الف عام .

واكتشفت في مواضع اخرى من المنطقة آلات وادوات انسان العصر الحجري القديم الاوسط في كهفي زرزي وهزاردمرد قرب مدينة السليمانية وفي كهف بالي كوره قرب مدينة جمجمال .

واكتشفت ايضا آثار تدل على انسان العصر الحجري الحديث (انسان كرومانيون) الذي كان قد بدأ يتعلم تربية الحيوان والزراعة . ففي موضع ملفات الواقع في الطريق بين كركوك واربيل اكتشفت بعض الادوات الحجرية التي كان يستخدمها الانسان لطحن الحبوب . وفي موقع كريم شهر شرقي جمجمال اكتشفت فؤوس حجرية ومكاشط ومناجل صخرية . كما عثر في موقع جرمو شرقي جمجمال على ادوات فخارية وتماثيل لبعض

الحيوانات وعلى عظام لحيوانات اليفة وعلى حبوب متحجرة من القمح والشعير، كما عثر ايضا على أقدم قرية زراعية • وهذه الاكتشافات بمجموعها تدلل على قدم استيطان الانسان لهذه المنطقة وعلى المراحل الحضارية التي مرت بها[1] • ولا ريب ان الظروف الطبيعية للمنطقة بامطارها الغزيرة وحيواناتها الوفيرة قد شجعت الانسان منذ اقدم الازمان على استيطانها ، كما ان كهوفها كانت ملجأ صالحا للانسان القديم في العصور الجليدية • وربما كانت هذه المنطقة من اوائل مناطق الارض التي تعلم فيها الانسان زراعة الحبوب •

وقد ظلت المنطقة محتفظة بجاذبيتها للانسان في الادوار التاريخية التالية، لا سيما منطقة التلال والهضاب • فقد نشأت فيها بعض الدول العريقة في الشرق القديم كالدولة الاشورية التي اتخذت نينوى مركزا لها ، والدولة الكوتية التي أتخذت ارابخوا مركزا لها • وتوالت على حكم المنطقة بعدئذ دول متعددة كالدولة الاخمينية والدولة الساسانية وهما دولتان فارسيتان ، ثم خضعت المنطقة للسيطرة العربية منذ اواسط القرن السابع الميلادى حتى سقوط الامبراطورية العباسية على أيدى هولاكو عام ١٢٥٨ ميلادية • ثم سيطرت الامارات المغولية على المنطقة لعدة قرون حتى تغلبت القبائل التركمانية عليها في أوائل القرن الخامس عشر الميلادى • وبعد قرن من الزمن سيطر الفرس الصفويون على المنطقة وحكموها حتى عام ١٦٣٨ حينما نجح الاتراك العثمانيون في تقويض نفوذهم وبسط السيطرة العثمانية في جميع اجزاء العراق • واستمروا في حكمهم حتى نهاية الحرب الكبرى الاولى (عام ١٩١٧) حيث تم للانكليز السيطرة على العراق •

---

(١) للتفصيل راجع اعداد مجلة سومر (منشورات مديرية الاثار العامة) — المجلد ٨ ج ١ سنة ١٩٥٢ والمجلد ٩ جزء ١ سنة ١٩٥٣، والمجلد ١٠ ج ٢ سنة ١٩٥٤ ، والمجلد ١١ سنة ١٩٥٥ •

وهكذا يتضح بأن المنطقة ذات تاريخ حافل ، فقد كانت موطنا للانسان منذ العصور الحجرية الاولى ، كما شهدت مولد دول عظيمة منذ فجــــر التاريخ • ولا ريب ان موقعها المتوسط وبناءها الفزيوغرافي قد جعل منهـــــا معبرا للاجناس البشرية ، وادى ذلك بالتالي الى تعقد شديد في بنيتهـــــا الاتنولوجية والاتنوغرافية •. وقد بينا في الفصل السابق أن المنطقة تضم ثـلاث مجموعات أثنولوجية هي المجموعة الكردية (السلالة الالبية) ، والمجموعتان العربية والسريانية (السلالة السامية) ، والمجموعة التركية ـ التركمانيــــة (السلالة المغولية) • وقد لعب العامل التضاريسي دوره في تركيز تلـــك المجموعات السلالية في جهات معينة من المنطقة كما أوضحنا • فاستأثـــرت المجموعة الكردية باستيطان منطقة الجبال العالية واحتفظت بمميزاتهـــــا الاتنولوجية والاتنوغرافية عبر آلاف السـنين محتمية بوعورة ارضهـــا • واستأثرت المجموعة العربية بالجهات المنبسطة التي تكاد تكون امتدادا طبيعيا لصحراء جزيرة العرب • وخلقت المجموعة السريانية لنفسها جيـــوبا في المنطقة الجبلية واحتمت بها ما امكنها ذلك • اما المجموعة التركية ـ التركمانية فقد انتشرت في شكل تجمعات استيطانية في منطقة الهضاب والتلال تمتـــد على هيئـــة خط مائل يفصل بين الجهـات الجبلية والجهـــات السهلية على أمتــداد خط التجارة الرئيسي بين الجنوب الشرقي والشمال الغربـي •. وفي الوقت نفسه أصبحت منطقة الهضاب والتلال أو المنطقة الشبيهة بالجبلية ، وهي منطقة انتقالية بين الاراضي الجبلية الوعرة في الشمال والسهول الفسيحة في الجنوب ، موطنا لاختلاط المجموعات السلالية المختلفة واحتكاكها ببعضها • وقد نتج عن هذا التعقد الاتنولوجي في المنطقة تعقدا اتنوغرافيا حيث اصبــح لكل مجموعة اتنولوجية سمات ثقافية خاصة بلورت في معظم الاحيـــان مجتمعات منغلقة •: وسنحاول في هذه الدراسة ان نوضح الملامح الاتنوغرافية لـ/اكراد/اردلان/ ومكري في/كردستان/ايران/[٢] •

أولا ــ المجموعة الكردية

يعتبر الاكراد من أقدم سكان المنطقة ، وقد جاء ذكرهم في كتاب (رجعة العشرة آلاف) للقائد اليوناني زنفسون Xenephon باسم (الكاردوخيين) وذلك منذ عام ٤٣١ قبل الميلاد [١] . ويبدو أن الاصول التأريخية للشعب الكردي تعود الى الگوتيين ، وان كان الرأي المتداول أنها تعود للميديين . ويتفق المؤرخون على وجود شعب باسم الگوتيين كان يعيش قبل الميلاد بألفي عام في منطقة تشكل الان احدى مناطق الاكراد الرئيسية ، وهي المنطقة المحصورة بين نهر دجلة والزاب الاسفل ونهر ديالى . وقد وردت أقدم اشارة الى هذا الشعب في الكتابات السومرية حيث كان السومريون يشكون من قوم محاربين اسمهم الگوتي قد اعتادوا الانحدار من جبالهم ومهاجمة المدن السومرية . واعترف السومريون وكذلك الاكديون من بعدهم بمملكة الگوتيين التي كانت عاصمتها أرابخا ، والتي ربما كانت تقع قرب مدينة كركوك الحالية [٢] . وكان الگوتيون يهددون المملكة البابلية باستمرار ، وكان البابليون يسمونهم گاردو Gardu او كاردو Kardu وقد اعلنوا عليهم الحرب مرارا عديدة من دون أن ينجحوا في اخضاعهم . وقد حدد بعض المؤرخين موقع المملكة الگوتية في المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة ومرتفعات السليمانية ونهر ديالى [٣] .

اما الشعب الميدي فلم ترد عنه أية أخبار واضحة يمكن ان تجعل منه شعبا متميزا سوى القصة التي رواها المؤرخ اليوناني هيرودوت Herodotus عن تكوين المملكة الميدية ــ وهو المصدر الاول عن الميديين ــ وهي قصة تبدو خيالية وغير مقبولة [٤] .

---

1. Xenephone, The Persian expedition, translated by Rex Warner, Penguin Books, pp. 127-145.
2. Cambridge Ancient History, Vol: 1, p. 423.
1. Cambridge Ancient History, Vol: 111, p. 223.
4. See: Herodotus, The History of Herodotus, (translated by George Rawlinson), Everymna Library, London 1912, pp. 51-4.

ومهما يكن الامر فان الاكراد الحاليين كانوا يعيشون في العصور الغابرة في المنطقة التي دعيت بلاد ميديا ، وانهم لذلك في عرف العديد من المؤرخين أحفاد الميديين .

أما بخصوص السلالة الكردية فيكاد يتفق معظم علماء الاجناس بأنها تنتمي الى المجموعة الآرية . فالانثروبولوجي كون Coon مثــلا يرى بأن الموجة الارية الاولى التي حملت الكرد من مواطنهم الحالية آتية بهم من أواسط آسيا قد حدثت حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وبما ان الموجـة الاريـة كانت غازية فقد صهرت سكان المنطقة الاصليين وفرضت عليهم لغتها ودياناتها. غير ان الانصهار التام لم يتم الا بعد أن قدمت موجة أخرى من الآريين ، ربما عبر جبال القوقاس، بعد مرور حوالي ألف عام واحتلت المناطق المذكورة[١] .

ويعتقد عالم الاجناس البروفسور هادون Haddon ان الاكراد يمثلون طلائع النورديين Proto-Nordic وهم قــوم رعاة في الاصل ، وقد استطاعوا ان يحافظوا على أصلهم ولغتهم لاكثر من ثلاثة آلاف عام[٢] .

اما الانثروبولوجي هنري فيلــد Field فقد وجد ان الاكراد ينتمون الى سلالة واحدة وهي السلالة الالبية من المجموعة الارية ، وان الشماليين منهم يكشفون عن تأثيرات آرمنية قوية في حين ان الجنوبيين يكشفون عن تأثيرات سلالات البحر المتوسط[٣] .

أما اللغة الكردية فقد تعرضت بدورها الى تعدد وجهات النظر في أصلها

1. Coon, C.S., Caravan; the story of the Middle East, London 1951, p.75.
2. Haddon, A.C., Races of Man, London 1926, p:96:
3. Field, H., Anthropology of Iraq, part 11, No. 2, Harvard University 1952, pp.56-61.

الا ان الابحاث الحديثة أثبتت بأنها تنتمي الى مجموعة اللغــات الايرانيـــة الغربية • وقد أثبت مينورسكي ان هناك فروقا جوهريـة بينها وبين اللغـــة الفارسية[1] •

وتتصف اللغة الكردية بتعدد لهجاتها وباشتمالها على عدد كبـــير من الكلمـات الغريبة • ويعزى ذلك الى حرمانها من فرص التدوين (حتى نهـاية القرن الماضي سوى حالات نادرة) ، فهذا العامل لم يساعد على خلق شكل واحد ثابت لتلك اللغة • كما يمكن أن يعزى أيضا الى طبيعة البيئة الطبيعيـــة في كردستان ، ذلك أن طوبوغرافية المنطقة قد فرضت على مجتمعاتها العزلـــة والمحلية مما أثر على اللغة تأثيرا عكسيا • ولقد قسمت اللغة الكرديـــة الى لهجات متعددة حسب هدف ومنهج الدراسة الذي يتبعه كل دارس ، غـير أن غالبية الدارسين يقسمونها الى لهجتين رئيستين هما اللهجـة الشماليـــة واللهجة الجنوبية • ويتكلم اللهجة الشمالية الاكراد الذين يسكنون شمال وغرب الخط الممتد من جنوب شواطيء بحيرة اورمية الى منحنى الـــزاب الكبير حتى التقائه بنهر دجلة • أما اللهجة الجنوبية فيتكلم بها بقية سكـــان كردستان • وهكذا فان اللهجة الاولى يتحدث بها (ويكتب ايضا) الاكـــراد الذين يقطنون في شمال وغربي بحيرة أورمية ، واكراد جمهورية ارمينيا ، واكراد تركيـا وسوريا ، واكراد منطقة باديان (في محافظتي نينوى ودهوك)• اما اللهجة الجنوبية فيتحدث ويكتب بها الاكراد السورانيون (في محافظـــة اربيل) ، والاكراد البابانيون (في محافظتي السليمانية وكركـوك) ، وكذلك أكراد اردلان ومكرى في كردستان ايران [2] •

1. Minorisky, the Encyclopaedia of Islam, the Kurds, (origin), London 1925.
2. Edmunds, C.J., 'A bibliography of southern Kurdistan', Journal of Royal Central Asian Society, 1937, p. 488.

يسود التنظيمات الاجتماعية الكردية في العراق الشمالي نوعان متميزان هما التنظيمات العشائرية والتنظيمات اللاعشائرية • ويبدو ان التنظيمات العشائرية هي الاقدم نظرا لانها أكثر ملائمة للرعاة • والمنطقة الكردية منطقة رعوية أساسا ، وكان الاكراد يفضلون الرعي على الزراعة منذ القدم ، لاسيما وأن ممارسة الزراعة في الاراضي الجبلية عملية صعبة ، في حين أن الجبال مكسوة في العادة بالمراعي الطبيعية مما يهيء بيئة صالحة للرعي • ولذلك فان تحول الاكراد نحو الزراعة قد أستغرق زمنا طويلا ، وقد رافق ذلك زحفهم على السهول المجاورة والاستيطان حول ضفاف الانهار •

وتشتمل المجتمعات العشائرية على الرحل وانصاف الرحل والمستقرين• ومن المعروف ان العشائر الرحالة في تناقص سريع وقد استقر غالبية اعضائها والباقي في طريقه الى الاستقرار • ففي محافظة السليمانية مثلا لا يوجد سوى فروع قليلة من عشيرة بلباس ما تزال رحالة • أما في محافظة أربيل فعشيرة الهركي – ما تزال رحالة بأغلب فروعها •

وتمارس العشائر الكردية الرحالة تنقلات منتظمة في الصيف والشتاء بين المرتفعات والمنخفضات • فهي تهاجر في أواخر الربيع الى المناطق القصوى في الشمال ، ويطلق عليها اسم « كويستان » ، اى الباردة ، وتعود في نهاية الخريف الى السهول المنخفضة الغنية بالعشب ويطلق عليها اسم « گرميان » أي الدافئة • فهذه الهجرة اذن هي نوع من الانتقال الفصلي Transhumance الذي يتحكم فيه التغير المناخي • ويرتبط هذا التنقل ارتباطا جوهريا بمدى توفر المرعى ونوعيته لا بدرجة الحرارة التي تلعب دورا ثانويا • فالمرتفعات تصبح في فصل الصيف غنية بالعشب بعد ان تكون مراعي السهول والمنخفضات قد استنفدت في فصل الشتاء • الا أن المعيشة تصبح متعذرة باقتراب فصل الشتاء لانخفاض درجات الحرارة ، فتعود العشائر الرحالة مع قطعانها الى

الجنوب حيث الدفء والاعشاب الطرية • وتشتمل عملية الانتقال على مسافات واسعة ووفق خطوط سير مرسومة • ومن الجدير بالذكر ان العشائر الرحالة الكردية تلتزم بمنطقة معينة في مراعيها الشتوية ، لاسيما وان بعض افرادها يمارسون الزراعة ايضا ، بينما تتنقل في مراعيها الصيفية في منطقة واسعة نسبيا تشمل منحدرات الجبال وقممها والهضاب العالية حيثما توفر الكلأ • وأهم المشاكل التى تواجهها هذه العشائر هى مشكلة المراعى • فبالرغم من ان كل عشيرة ترعى في منطقة خاصة تعتبرها ملكها ، وقد تؤجرها بالفعل من مالكها الاصلى ، الا أن التناحر كثيرا ما يحدث بين العشائر المختلفة على مناطق الاعشاب الغنية •

وتعيش العشائر الرحالة في بيوت من الشعر يسهل نقلها اثناء تنقلاتها بين المراعي الصيفية والشتوية • وتتألف تلك الخيم من شقق سوداء من نسيج شعر الماعز لذلك تسمى بالبيوت السوداء • ويتصف هذا النسيج بالتماسك والمتانة بحيث لا يسمح للمطر بالنفاذ من خلاله • (انظر شكل رقم ٢٣) •



شكل رقم ٢٣ ـ الخيمة الكردية

وتتصف الخيمة الكردية في العادة بصغر حجمها لتتلائم مع طبيعة المناخ الجبلي، كما انها تكون ذات شكل مستطيل وترفع من جميع جوانبها • واغلب خيم الرحالة الاكراد تثبت الى عمود واحد ولا تشتمل على أية تقسيمات في الداخل ، الا أن خيمة انصاف الرحل تختلف اختلافا بينا فهي تستند الى عدة أعمدة ، كما انها تقسم الى عدة أقسام بواسطة حواجز من القصب يطلق عليها اسم (جيخ) • ويستعمل كل قسم من تلك الاقسام استعمالا خاصا ، فاحدها يستعمل للضيوف والاخر للنساء والعمل المنزلي ، والثالث مخزنا للمؤونة ومشتقات الالبان • وعلى أية حال فأن حجم الخيمة الكردية يخضع للمكانة الاجتماعية والاقتصادية للفرد الرعوي ، فخيمة الرؤساء عادة أكبر حجما وأكثر فخامة • وقد ذكر لايارد Layard بأن خيمة الرؤساء الاكراد متميزة في حجمها وثرائها بالسجاد والاثاث ، وان البعض منها قد ينقسم الى أربعة أو خمسة اقسام (١) •

ويتألف مخيم العشائر الرحالة عادة من المجموعات العائلية التي تربط بينها رابطة القرابة، وفي بعض الاحيان تمثل أسرة واسعة Extensive family وتشترك تلك المجموعات العائلية في حقوق المرعى ، كما انها قد تقوم بتأجير عدد من الرعاة بصورة مشتركة • ويتزعم المخيم عادة رجل متقدم في السن ذو مكانة اجتماعية عالية وذو مقدرة اقتصادية متميزة ، وربما كان رب الاسرة الواسعة •

وتتخذ العشائر الرحالة تربية الحيوانات حرفتها الرئيسية ، وأهم الحيوانات التي تربيها الاغنام والماعز • أما الخيول فتحتفظ باعداد قليلة منها لاستخدامها في الركوب وهي دليل الوجاهة والثراء •ويمتلك الفرد العشائري

1. Layards, sir Austin Henry, Discoveries in ruins of Nineveh and Babylon, with travels in Armenia, Kurdistan etc., London 1853, p. 310.

عدة مئات من رؤوس الاغنام والماعز ، لكن الفقراء لا يستطيعون اقتناء عـدد كبير . ويعتمد عدد حيوانات العشيرة الرحالة على مدى اتساع مراعيهـا . وتمثل الاغنام والماعز عماد الاقتصاد الرعوي الكردي . ففضلا عما تدره من ارباح نتيجة تناسلها وبيع صغارها ، فأن البانها واصوافها تساهم مساهمة فعالة في دخل الرحالة الكردي . ويصنع من لبن الماعز السمن والجبنة وهما مواد رئيسية في الاقتصاد الرعوي الكردي . ويستخدم شعر الماعز في صناعة الخيمة البدوية . كذلك تعتمد صناعات متعددة أخرى على شعر الماعز وصـوف الاغنام ، وبعض تلك الصناعات تقتصر على الاستهلاك المحلي وبعضهـا الاخر يكون جزءا من تجارة الرعاة ، ومن امثلتها صناعة السجاد والجـوارب والالبسة الداخلية . وتتولى النساء القيام بجميع الصناعات البيتية . وهكـذا يتضح بأن اقتصاد الرعاة الاكراد لا يقتصر على بيع الحيوانات الحية ومنتجاتها فحسب ، بل يشمل ايضا المتاجرة بصناعات بيتية متعددة ، بل وحتى المتاجرة بالحبوب في السنوات الوفيرة المطر . اما في الاعوام الشحيحة المطر فيقايض الرحل حيواناتهم بالحبوب . وتتم العمليات التجارية الخاصة ببيع الحيوانات عن طريق رؤساء العشائر الذين يتولون بأنفسهم الاتصال بتجار المدن . أما المتاجرة بالبضائع الاخرى ولا سيما بمصنوعات الالبان فتتولاها المرأة الكردية . وتقوم النساء الكرديات بحمل البضائع الى القرى الكبيرة أو المدن القريبة من المخيمات وخاصة في فصل الشتاء .

اما القبائل نصف الرحالة فهي تمتلك في العادة بيوتا ثابتة في المناطـق الشتوية السهلية ، كما انها تحترف الزراعة في فصل الشتاء بالاضافة الى الرعي . ففي أثناء اقامتها الشتوية التي قد تدوم سبعة اشهر أو اكثر تنصرف كل عائلة الى الزراعة وتربية الحيوانات . وحينما تبدأ طلائع الهجرة الصيفية في حوالي منتصف حزيران (في أعقاب الحصاد) يسافر أغلب رجال العشيرة الى المناطق المرتفعة في حين يتخلف في القرى الثابتة بعض الرجال والشيوخ والنسـاء

لحراسة الحقول والبيوت • ويقتني انصاف الرحل الأكراد بالاضافة الى الاغنام والماعز عددا لا بأس به من الابقار ، وكذلك عددا من البغال والحمير لاستخدامها في الحمل والركوب • وتكاد تقتصر زراعتهم الشتوية على القمح والشعير • (انظر شكل رقم ٢٤)

أما العشائر المستقرة فهي تحترف الزراعة وتستوطن القرى ، وان حياتها واقتصادها يختلفان بصورة عامة عن اقتصاد وحياة العشائر الرحالة ونصف الرحالة • فهي تعيش في بيوت ثابتة مبنية بالحجارة وهي التي تشكل القرية الكردية • وتختار القرية الكردية الجبلية في العادة مكانا مرتفعا فوق منحدر جبل أو ربوة ، وان اختيار مثل هذا الموضع يهدف الى تحقيق الحماية من عوادي الطبيعة ومن اعتداءات الانسان • فالحماية من الطبيعة أمر يقتضيه مناخ المنطقة ، وذلك لتجنب عوادي الرياح الباردة والامطار والثلوج • والحماية من اعتداءات الانسان أمر فرضه الوضع السياسي

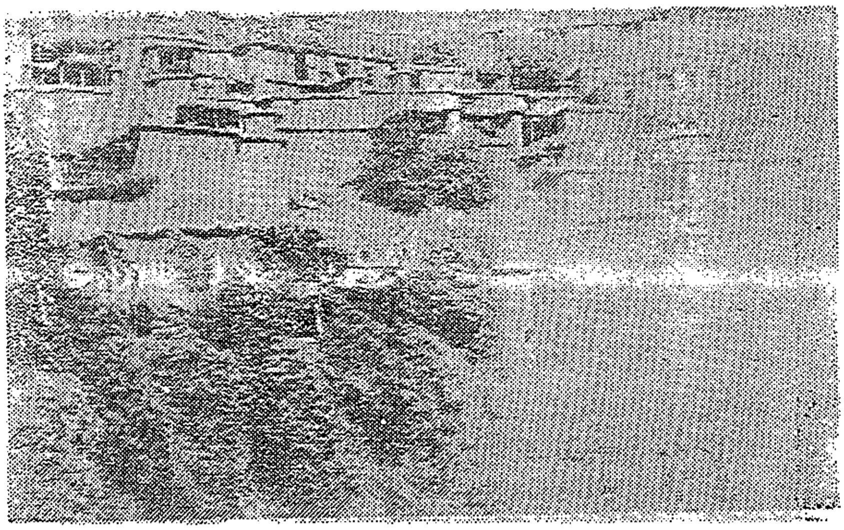


شكل رقم ٢٤ ــ عائلة كردية نصف رحالة امام خيمتهم الصيفية

المضطرب الذى شهدته المنطقة في العهود السابقة بسبب الحروب الخارجية وغزوات العشائر الرحالة ، مما جعل « الدفاع » حاجة ضرورية لابد من توفرها لسكان القرية • وهناك عوامل اخرى ، بالاضافة الى عامل الحماية ، اثرت في اختيار «موقع» القرية الكردية الجبلية ، وأهمها عامل مصدر المياه • فنظرا لاهمية قيام القرية بجوار ينبوع المياه ، ونظرا لان الينابيع والكهاريز أكثر توافرا على منحدرات الجبال حيث تتواجد حافات صخرية جيرية ذات طبقات مائلة أو ذات انكسارات ، فقد بات من المفضل اختيار موضع القرية فوق المنحدر بجوار الينبوع •

وتتشابه هندسة القرية الجبلية الكردية في أغلب جهات العراق الشمالى• وتتخذ هيئة مثلث حيث تبدأ الابنية قرب الوادى وتأخذ بالارتفاع فوق المنحدر على شكل صفوف من المدرجات حتى منتصف المنحدر أو أعلى قليلا • ونظرا لوعورة المنحدر وبسبب هندسة البيت الخاصة تصبح أغلب السطوح جزءا من طرقات القرية أو ساحات امامية للبيوت العليا • وتحتشد البيوت احيانا فى صف طويل واحد يحتل جميع المدرج ، الا أن من المألوف ان يشتمل كل مدرج على عدة مجمعات تفصلها طرق ضيقة • ويشتمل كل مجمع على بضعة بيوت محتشدة تختلف في عددها ، لكنها تتراوح على العموم بين ٤و٦ بيوت • (انظر شكل رقم ٢٥)

والبيوت بصورة عامة ذات غرف ضيقة قليلة النور ، يخصص بعضها للانسان ويخصص البعض الاخر للحيوان • وتبنى جدرانها بالصخور الكلسية كما تبنى سقوفها من أخشاب الجنار واغصانها • وتقطن هذه البيوت اسر ترتبط بقرابة قوية ، الا ان اعتبارات القرابة ليست مسؤولة بشكل رئيسى عن هندسة البيوت • ويعزى طراز الهندسة الى اسباب اقتصادية ودفاعية في آن واحد • ويتمثل الباعث الاقتصادى باستخدام جميع جدران وحواجز البيت استخداما مضاعفا وبذلك تنخفض نفقات البناء ، كما يتحقق الهدف الدفاعي بالوحدة



شكل رقم ٢٥ ـ القرية الكردية الجبلية

المتراصة التى تنشأ نتيجة لهندسة القرية والتى تساعد بشكل فعال على صد الهجوم الخارجى .

ويوجد الى جوار القرية ينبوع طبيعى أو صناعى (كهريز) كما توجد ساحة فسيحة تقوم مقام الميدان ، وتستخدم حظيرة لحيوانات القرية فى فصلى الصيف والربيع . وتقع حقول القرية عند أقدام البيوت ، وتمتد اراضى الرى الصناعى فى بطن الوادى ، بينما تتاثر حقول الحبوب التى ترويها الامطار فوق السفوح البسيطة الانحدار . وتزرع بعض القطع الصغيرة المبعثرة بين البيوت بالخضروات . وهناك منظر مألوف فى جميع القرى وهو أكوام فضلات الحيوانات وأكوام البرسيم التى تتاثر امام البيوت . وتخلو معظم القرى من مشاريع الماء والكهرباء ومن المرافق الصحية . ومن الجدير بالذكر أن القرى الكردية السهلية ، ولاسيما فى محافظتى أربيل وكركوك ، تختلف بعض الاختلاف عن القرى الجبلية المحتشدة فى موضعها وفى هندستها . فالقرية السهلية تختار دائما موضعا منخفضا ليتيسر العثور على المياه فى أعماق معقولة .

فالابار هي مصادر المياه الوحيدة فيها ان لم تكن واقعة على ضفاف نهر • وتتخذ امثال هذه القرى شكلا مستطيلا ، وتشتمل على عدة مجمعات طويلة ذات بيوت متفرقة تخترقها أزقة ضيقة ، بينما يشطر القرية دائما طريق عرضـي رئيسي • وتبنى جدران البيوت من الطين المخلوط بالتبن ، وتكون سقوفها منحدرة نوعما • (انظر شكل رقم ٢٦) •

وتعتمد الحياة الاقتصادية للعشائريين المستقرين على الزراعة ، أمـا الحيوانات فتربى بأعداد قليلة للاستهلاك الشخصي أو للاستفادة منها فـي الحقل • وتتخصص القرى الجبلية بزراعة التبغ والفاكهة ولاسيما الكـروم والجوز والتفاح • ويعتبر التبغ المحصول الرئيسي لزراع الجبال • أما زراع المناطق السهلية ولاسيما في محافظتي اربيل وكركوك فيهتمون على نحـو الخصوص بزراعة القمح والشعير • وتعتبر الزراعة على العموم متخلفة في اساليبها وانتاجها •



شكل رقم ٢٦ ــ قرية سهلية ويمتد امامها حقل من حقول التبغ

أما ما يتعلق بالنظام الاجتماعي للعشائريين ، الرحل واشباه الرحـــل والمستقرين فيكاد يتشابه في اسسه العامة ، فالعشيرة الكردية على العموم ذات مميزات مشتركة ، وهي تلك المميزات التي تطبع العشائر الاستيبـــية • فالوحدة ضمن هذه العشائر هي ليست وحدة دموية بل وحدة سياســية • والعشيرة الكردية هي عشيرة « ارض » وليست عشيرة " نسب » الا القليـل منها ، وهي أقرب في أصلها الى "قرية» تتجول في مواطن صيفية واخـــرى شتوية [1] • فهي تتألف من عدة وحدات تقطن او تتجول في منطقة معينـة ، ولا ترتبط تلك الوحدات بروابط النسب ، الا أن كل وحدة منها تتألف من مجموعة من الاسر الواسـعة Extensive families التي تجمعها روابط القرابة • وتدين جميع هذه الوحدات بالطاعة لوحدة حاكمة معينة من بينها • وهكذا فان الرابط الوحيد الذي يربط بين الوحدات المختلفة ــ اضافة الى خضوعها الى رئاسة واحدة ــ هو الاشتراك في القتال متى ما دعت الضرورة لذلك • غير ان الحال يختلف بالنسبة لكل وحدة من الوحدات • فالوحدة في الحقيقة عبارة عن مجموعة من الاسر الواسعة التي ترتبط بروابط النسب، لذا فان أفرادها يخضعون لمسؤوليات أعظم • وتمتد هذه المسؤوليات فتشمل المسؤولية الاجتماعية والتعاون الاقتصادي والمشاركة في الاحتفالات العامة • فالمسؤولية الاجتماعية تقتضي المشاركة في القتال مع أية جماعة من جماعـات الوحدة التي تتعرض للاعتداء ، عدا حالات الثأر التي تعتبر مسؤولية عائلية [2] • أمـا التعاون الاقتصادي بين أفراد الوحدة فيتمثل بالملكية المشتركة لاراضـي المرعى ولمصادر المياه ، وحتى للاراضي الزراعية في بعض الحالات • واما المشاركة في الاحتفالات العامة فتشمل المساهمة في حفلات الزواج والوفيات

---

(١) عباس العزاوي ــ عشائر العراق الكردية ــ مطبعـــة المعارف ، ١٩٤٧ ، ص٢٧ •

2. Barth, F., principles of Social Organization in Southern Kurdistan, Oslo., 1953 p. 75.

بحضور الاعراس والمآتم وتقديم الهدايا اللازمة • ولقد ترتب على هذا النمط من التنظيم العشائرى ان أصبح رئيس العشيرة الكردية في موضع الحاكم الاعلى وليس في موضع الاب الروحى • ويقول مينورسكى انه في كثير من مناطق كردستان ينظر الى الاغا (الرئيس) كأنه الغازي المنتصر والى الرعية كأنها من جنس اخر [1] • ولهذا كانت القوة الحربية شرطاً أساسيا لرئاسة العشيرة الكردية • ولا تستطيع الاسرة التى تنحصر فيها الرئاسة ان تحتفظ بزعامتها ما لم تكن متمتعة بقوة حربية تؤهلها فرض سيطرتها على بقية الوحدات والدفاع عنها تجاه غارات الاعداء • وقد استتبع ذلك تمتع الرئيس الكردى بسلطات واسعة ومطلقة في كل ما يتعلق بالعشيرة • ويقول نيكتين Nikitine انه متى ما تسلم الرئيس الكردى سلطاته فليس للفرد العشائرى ان يناقش مدى نفوذه فى أية قضية كانت [2] • اما ملنجن Millingene فقد وصف سلطة الرئيس العشائري الكردي بقوله : (إن الرئيس العشائرى الكردى هو ديكتاتور مطلق ولا حد لسلطاته ، وبوسعه ان يصادر ممتلكات أى فرد عشائرى وأن يأمر بقتله متى ما وجد ذلك مناسبا) [3] •

وبناء على ذلك فأن الرئيس العشائري الكردي - المترحل والمستقر - يحيط نفسه دائما بمجموعة من الاتباع المسلحين الذى يطلق عليهم اسم (سواره) " الفرسان ، والذين يمثلون سلطته التنفيذية •

وبالرغم من ان رئيس العشيرة هو المتصرف المطلق في شؤون العشيرة عمليا ، الا أن هناك مجلسا استشاريا يتألف من رؤساء الوحدات النسبية

---

(١) ف• مينورسكي - الاكراد ؛ ملاحظات وانطباعات - ترجمة الدكتور معروف خزنه‌دار ، بغداد ١٩٦٨ ، ص٣٥ •

2 Nikitine, B., Les Kurdes, Paris. 1956, p: 138:

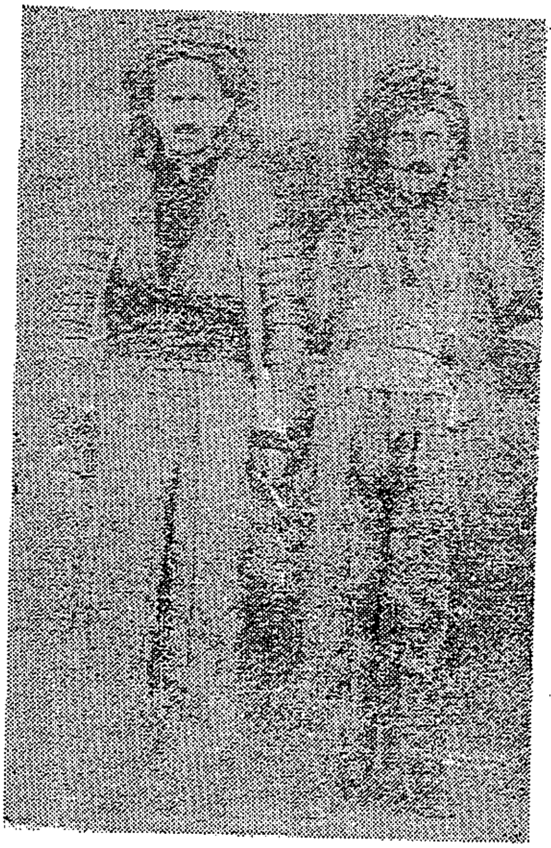
3. Millingene, F., Wild life among the Kurds, London 1870, p. 240.

يعاونه في ادارة شؤون العشيرة • وينفق الرئيس على مضيف (ديواخانه) يجتمع فيه افراد العشيرة للسمر ولتداول شؤونهم ولعرض شكاواهم ولاجراء محاكماتهم • ولابد ان يتصف رئيس العشيرة بالكرم والشجاعة والحكمة • وتكون رئاسة العشيرة في العادة وراثية ، الا ان من حق العشيرة انتخاب رئيس اخر ان ثبت عدم صلاحية شخص معين • وما يزال رئيس العشيرة محتفظا بسطوته ونفوذه بين العشائر الرحالة ، وهو في العادة الحاكم المطلق الاعلى وله حق العشر في حيواناتهم • اما سلطة الرئيس لدى العشائر المستقرة فقد ضعفت تماما ، كما أن التنظيمات العشائرية بمعناها القديم قد تفككت وكادت تذوب • واصبحت العلاقات العشائرية في الوقت الحاضر خاضعة للمصالح الشخصية ، ولم يعد ثمة وجود لما يسمى بالولاء العشائري المحض، وحل محله في معظم الاحوال الولاء السياسي المزوج بالولاء العشائري • وتحول رئيس العشيرة المستقرة الى ملاك اقطاعي ، واصبحت علاقته بأفراد عشيرته علاقة الملاك بالفلاح ، وقد آلت اليه الارض باعتباره رئيسا للعشيرة• اما بقية أفراد الاسرة الحاكمة في العشيرة والذين يطلق عليهم اسم (الاغوات) أو (البيكوات) فهم يحظون باحترام خاص من قبل بقية أفراد العشيرة • ويمتلك أفراد تلك الطبقة عددا كبيرا من القرى ان كانت العشيرة مستقرة • ويتولى افراد هذه الطبقة ادارة شؤون القرية التي يقيمون فيها • أما قراهم الاخرى فيكلون أمر ادارتها الى نائب يطلق عليه اسم (كويخا) ويقابل " المختار ، في القرى اللاعشائرية • وتتصف علاقتهم بأفراد عشيرتهم بكونها علاقة الملاك بالفلاح ، وهم يكتفون بأخذ نصيب من المحصول الزراعي دون ان يستثمروا أي رأسمال في الارض ، ولهم السيطرة الفعلية على شؤون "القرية" الداخلية • وقد غيرت قوانين الاصلاح الزراعي أمثال هذه العلاقات ذات الصفة العشائرية الاقطاعية في المناطق التي تمت فيها عمليات الاستيلا •

هذا مايتعلق بالمجتمعات العشائرية • أما المجتمعات اللاعشائرية فـان وحدتها التنظيمية هي " القرية » ولسكانها علاقة مباشرة بالادارة الحكومية • واذا كانت القرية تعود بكلتيها الى مالك فأنه يصبح عادة في موقف الرئيس العشائري أو الاقطاعي ، فيدير شؤون القرية بصورة مباشـرة أو عـن طريق «السركار» أو«الشحنة» الذى يتولى ايضا ادارة الاراضى الزراعية والاشراف على المزارعين • ويحتفظ بعض الملاكين الاقطاعيين بالاتباع المسلحين الذيـن يمثلون القوة الفعلية للمالك ، وهم أشبه بمرافقي الرؤسـاء العشائريين • ويدير القرية « مختار » ينتخبه سكان القرية بموافقة المالك أو قد يعينـه المالك بصورة مباشرة أو غير مباشرة • ويمثل المختار واسطة الاتصال بين سكان القرية والمالك أو نائبه (الشحنة) • وهناك مجلس من الرجال الاخيار يساعدون المختار في حل مشكلات القرية يطلق عليهم اسم « الاختيارية » • وقد يتقاسم القرية في بعض الاحوال ملاكون صغار فيتوزع النفوذ حينئـذ بين أسر عديدة في القرية ، وان كانت اسرة المختار تحظى في العادة بأكبر نصيب من النفوذ • ويلاحظ أن السيطرة الحكومية على القرى اللاعشائرية هي أقوى مما هي عليه في القرى العشائرية •

ويتشابه النظام العائلي لدى المجتمعات العشائرية واللاعشائرية ، وهو أساسا نظام أبوي (باترياركي) • فالاب في العادة هو سيد الاسرة ، ويأتي في الأهمية الابناء الذكور ثم الاناث • والاكراد يحبون كثـرة الاولاد ، وللابن البكر محبة خاصة لدى الاب ، ويعتبر الابن البكر خير رهينـة يتبادلها الاكراد عند المفاوضات[1] • والرجل الكردي يعتز بكرديته وكل ما يتصل بها ، لذلك يتمسك بملابسه الكردية الجميلة ويفخر بها (انظر شكل رقم ٢٧) • ويجرى الاحترام في الاسرة الكرديـة بالتسلسل • فالاب

(١) كاظم حيدر – الاكراد ؛ من هم والى اين – منشورات الفكـر الحر – بيروت ١٩٥٩ ص ٢٠ •



شكل رقم ٢٧ ـ رجلان كرديان يرتديان الزي الكردي

هو سيد الاسرة وبعده يأتي الابن البكر ، ثم الابن الاصغر وهكذا • وبالرغم من أن للمرأة مكانة ثانوية على العموم الا انها في الوقت نفسه تتمتع بمركز طيب في الاسرة الكردية • ويشتهر الرجل الكردي باحترامه للنساء ، وهو لا يميل الى تعدد الزوجات الا نادرا ، ولا يضيق على زوجته • وتستقبل المرأة الكردية الريفية الزوار وتضيفهم وتتحدث اليهم ولا تستر وجهها ، وهي تلعب دورا أساسيا في تربية الاولاد • وكثيرا

ما تتقلد مركز الرئاسة • غير ان مركز المرأة المدنية ادنى من مركز المرأة الريفية ، ويمكن القول ان حريتها مقيدة الى درجة كبيرة •

ومن الجدير بالذكر ان المجتمعات المدنية الكردية لا تختلف كثيرا عن المجتمعات الريفية • ومن أبرز مظاهر الحياة المدنية تبلور طبقات اجتماعية تستند عموما على الحالة الاقتصادية لكل فئة من السكان • ولم يعد نظام العائلة الابوي في المدن يحتفظ بصرامته وحدته ، فقد تضاءلت سلطة الاب ضمن نطاق الأسرة وأصبحت رهنا بميول الابناء ومستوى ثقافتهم •ولكن الاب ظل على أية حال الرئيس المطلق للعائلة •

الديانات والمعتقدات الكردية

يدين الغالبية المطلقة من الاكراد بالديانة الاسلامية • ويفترض في اولئك الذين يدينون بأديان اخرى ان يكونوا مسلمين اصلا • ومن المشكوك فيه ان يكون بعض الاكراد قد تحولوا الى المسيحية قبل تبنيهم الاسلام وان كان كل من مينورسكي ودرايفر Driver يدينان بهذا الرأي[1] •فالمجموعات الاخرى التي تعيش بين الاكراد وتدين بالمسيحية ، وهي مجموعات الارمن والاثوريين والكلدان ، تنتمي جميعا الى مجموعات سلالية اخرى • ولقد تحول الاكراد في عام ٢٠ للهجرة من الديانة الزرداشتية الى الاسلام • وكانت الزرادشتية الديانة المشتركة التي ينتمي اليها جميع الاكراد • وقد تم تحولهم الى الاسلام نتيجة اخضاع الدولة الاسلامية لبلادهم • ومما يلفت الانتباه ان كثيرا من الرحالة لاحظوا بقايا الديانة الزرادشتية في بعض عادات وتقاليد الاكراد ، ومثال ذلك الاحتفال بعيد نوروز في ٢١ مارت الذي أصبح عيدا قوميا للاكراد والذي يتفق الباحثون

---

1. Driver, G.R., 'The religion of the Kurds' Bulletin of schooj of oriental studies, vol. 12, 1922, pp. 197-214.

انه عيد زرادشتي الاصل • وكذلك تقديس الاشجار والاحترام العميق للموتى • ومن المشاهد المألوفة في كردستان وجود مجموعة من الاشجار أو شجرة قائمة بذاتها لا تمسها الايدي وقد ربط بأغصانها رايات أو خرق خضر دلالة على مكانتها الدينية • ولابد لقبور رجال الدين أو الاولياء من أن تتفيأ ظلال شجرة وارفة • وتحتل المقابر عادة أفضل المواضع واجملها تظللها الاشجار •

وينتمي غالبية الاكراد الى المذهب الشافعي ، وهو أحد المذاهب السنية الاربع • وهناك عشائر كردية قليلة وأهمها اللر (الفيلية) تنتمي الى المذهب الشيعي • وقد تفرع من المذهب الشافعي عدة طرق تختلف عن بعضها اختلافا بسيطا • واكثر الطرق شيوعا بين الاكراد هي الطريقة القادرية تليها الطريقة النقشبندية • وهناك مجتمعات كردية أخرى ذات معتقدات خاصة يحوط أغلبها الغموض وأهمها اليزيدية والكاكائية •

اليزيدية

لقد أثارت الديانة اليزيدية فضول كثير من الرحالة والكتاب ، فكتب عنها كتابات كثيرة • ومع ذلك فلا يمكن القول بأن تلك الكتابات قد توصلت الى الحقيقة عن أصل الديانة اليزيدية وعن اعتقاداتها الاساسية • وقد ثار جدل عظيم حول أصل تسميتهم • فاعتقد البعض بأن اسمهم استقي من كلمة يزدان وهي الاسم الفارسي للذات العليا ، نظرا لان الله تعالى يحتل في ديانتهم سيادة رمزية[1] • واعتقد البعض الآخر بأن تسميتهم قد استمدت من كلمة يزد ، وهي مقاطعة فارسية يفترض انهم قد ظهروا فيها • وادعى آخرون بأنها ترجع الى مؤسس ديانتهم يزيد بن عنيزة الذي يمثله الشيخ

1. Luke, H. C., Mosul and its minorities, London 1925, p: 125:

.بغدادي•وهناك ايضا عدد من الباحثين الذين يرتئون بأن تسميتهم قد استمدت من يزيد بن معاوية الخليفة الاموي الثاني ، وانهم أما ان يكونوا قد اتخذوا هذه التسمية ليربطوا انفسهم بالامويين ويحصلوا على حمايتهـــم ، أو أن الشيعة انفسهم قد اطلقوا عليهم هذه التسمية ليلصقوا بيزيد عار تأييد هــذه الديانة[1] • وهناك من يعتقد أيضا أن تسميتهم قــد استمدت من اســـــم العشيرة الاصلية وهو (آزيدي) والذي حرّف في أيام الامويـــــين الى (اليزيدية) احتماء باسم الخليفة يزيد بن معاوية •. وعلى أية حال فبالرغم من وجود خلاف كبير حول تسميتهم فأن الكتاب يتفقون جميعا على انتمائهم الى الاكراد •

.كذلك تعرضت دياناتهم الى تفسيرات ومزاعم مختلفة • فقد اعتقـــد البعض بانهم كانوا مسيحيين في الاصل الا أنهم استسلموا للخرافات والجهل• واستندوا في اعتقادهم هذا الى وجود كثير من التعاليم المسيحية في صميم دياناتهم • واعتقد البعض الآخر أنهم كانوا من اتباع الديانة المنويـــة ثـم تحولوا الى الاســلام ، ودليلهم على ذلك انهم يتبنون القاعــدة الاساسـية للديانة المنوية وهي ازدواجية القوة العليا[٢] • وارتأى آخرون انهم جماعـة من الزرادشتيين الذين تبنوا جزءا من التعاليم الاسلامية والمسيحية ليتجنبـوا أذى اتباع هاتين الديانتين ، ودليهم على ذلك انهم يؤمنون اساسا بمبـدأ الخير والشر •. بل ان هناك من يعتقد ان اليزيديين ليسوا ســـوى مسلمين متطرفين قد أضاعوا الكثير من التعليمات الاسلامية الاســاسية واســتعاروا تعليمات اخرى من مختلف الاديان بسبب جهلهم[٣] • وربط بعض الباحثين

1. Empson R.H., The cult of the peacocke Angle, London 1928, pp. 27-28.

(٢) صديق الدملوجي ـ اليزيديون • الموصل ١٩٤٦ ، ص ١٧٠

(٣) انظر : عباس العزاوي : تاريخ اليزيديـــة ، بغـــداد ١٩٣٥ ، ص ١٩٤ـ١٩٥

كذلك انظر : عبدالرزاق الحسني: اليزيديون، بغداد ١٩٥١ ص٥٠

الديانة اليزيدية بالديانة المثروية القديمة على اعتبار ان كلا منها يعطي الشمس مركز الالوهية ، وحتى ان البعض سماهم بالشمسيين[1] • وعلى اية حال فأن ديانة اليزيديين تكشف بالفعل عن خلط وتجميع لاعتقادات أديان متعددة • وربما كان مرجع هذا الخلط والتجميع الى وقوع منطقة اليزيديين بين الامارات الاسلامية المتنافسة فضلا عن مجاورتها للمسيحيين (مدرسة عرفة) • وكثيرا ما تعرضوا لحروب طاحنة لاجبارهم على تغيير ديانتهم ، مما أدى الى تبنيهم معتقدات اسلامية ومسيحية • ولعل أقرب الآراء الى الصحة هو كونهم من اتباع الديانة الزرادشتية مع احتفاظهم ببعض المعتقدات السابقة للزرادشتية • ويمكن القول ان أبرز معتقدات اليزيديين ايمانهم بأله واحد يطلقون عليه اسم (يزدان) ، أي الخالق الرزاق ، وهم يعتقدون انه خالق الكون والملائكة السبع وآدم • وهم يقدسون الكتب الدينية الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن ويحترمونها على قدم المساواة • كذلك يبجلون المسيح وشارة الصليب ، كما يبجلون محمد (ص) ومكة المكرمة • ويقدس اليزيديون أيضا الشمس والقمر ، ولا سيما الشمس التي يسمونها الشيخ شمس الدين والتي يضحون لها سنويا بثور ابيض قرب معبد الشيخ شمس الدين • ويحرم اليزيديون تدنيس ثلاثة عناصر هي الماء والنار والهواء ويوصون باحترام العنصر الرابع وهو التراب • ويحتل ملك الملائكة في الديانة اليزيدية أسمى مراتب التقديس ويسمونه ملك طوس ، أي طاووس الملائكة ، ويعتبرونه أول الملائكة السبعة الذين خلقهم الله من ذاته • ويعزى هذا التقديس الى اعتقادهم بأن الله كان قد خلق أرواح الملائكة السبعة أولا وامرهم الا يعبدوا أو يخضعوا لغيره • وبعد سبعة آلاف عام خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا الا ملك طاووس الذي تذكر قول الله فلم يسجد ،

1. Wahby, Tawfiq, The remnants of Mthraism, London 1962, p. 2.

فجعله الله رئيسا على الملائكة وترك اليه أمر العقاب على مايقترفه الإنسان من ذنوب[1] • وينفي اليزيديون أية علاقة لهم بالشيطان ، بل هم لايعترفون بوجود الشيطان في ديانتهم، وهم يعتقدون ان ما يقترفه الانسان من شر كامن في نفسه وليس بأمر أحد•وهم يفسرون تحريمهم للعن الشيطان بأن أصحاب الاديان والمعتقدات الاخرى حاولوا اقران ملك طوس بالشيطان ، وهو كفر لا يمكنهم قبوله • ولهذا كرهوا سماع لفظة (الشيطان) وحرموا التلفظ بها•بل لقد بلغ الامر بالمتطرفين من رجال الدين ان يحرموا التلفظ بأية كلمة تبدأ بالحرف (ش) لان كلمة (شيطان) تبدأ بها ، ولا سيما كلمات شط وشيت وشحنة وشخطة وشتي وشيطان ، كما وحرموا لبس اللون الازرق الذي قد يعني غضب السماء على الشيطان • الا ان تحريم أمثال تلك الكلمات ليس من صلب الديانة اليزيدية ، بدليل ان الشيخ شمس الدين يبدأ اسمه بحرف (ش) • ويمثل ملك طوس ، الذي يسمونه ايضا بملك القوت، تمثال برونزي للطاووس • وهناك سبعة تماثيل لملك طوس يطوف بها سنويا على اليزيديين رجال الدين الذين يطلق عليهم اسم (القوالون) •

ولهم كتابان يسمى الاول المصحف الاسود (مصحف رش) وهو يوضح المحرمات التي ينبغي ان يتجنبها اليزيدي ، ويسمى الثاني مصحف (الجلوة) ، ويروى كيفية خلق الكون والملائكة السبعة •

ويعتقد اليزيديون بمحاكمة الارواح بعد الموت امام سبعة قضاة عادلين فمن زادت حسناته على سيئاته ففي الظلمات او يعود مسخا على هيئة خنزير أو قرد او حية ، ومن تساوت حسناته وسيئاته ففي مكان يسمى «زينة نخ» لا يعذب ولا ينعم • • اما اصحاب الحسنات فيذهبون الى الجنة[2] •

---

(١) انور المائي — الاكراد في بهدينان — الموصل ١٩٦٠ ، ص ٦٨

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٩

وتشتمل طقوسهم الدينية على الصلاة التي يؤدونها في الصبح والعصر ويفتتحونها بعبارة (باسم الله العلي الرؤوف الكريم)، وتتضمن قصائد وتراتيل دينية في امتداح الله والانبياء والملائكة ، كما تشتمل على الصوم وهو ثلاثة ايام في السنة ابتداء من ١٢ كانون الاول الى ١٥ كانون الاول • اما أعيادهم فعديدة واهمها عيد رأس السنة الشرقية وهو اول اربعاء من نيسان ، وهناك عيد الصوم (اليوم الرابع من فترة الصوم) ، وعيد اربعينية الصيف في الشهر السابع ، وعيد اربعينية الشتاء في الشهر الثاني ، وهم يشاركون المسلمين في عيد الاضحى • ويعتبرون يوم الاربعاء يوم عطلتهم الدينية •

ويحج اليزيديون الى قبر الشيخ عادي في وادي لالەش قرب مدينة الموصل في اول تشرين الاول بالحساب الشرقي • ويعتبر الشيخ عادي الاب الروحي لديانتهم ويخصونه باحترام عظيم قدر ما يخصون به ملك طوس • ويعمدون اولادهم في عين ماء في لالەش يسمونها كانياسي او زمزم ، حيث يعتقدون انها تنبع من الجنة وأنها اطهر ماء في الارض •

كذلك يقوم اليزيديون باحياء ليلة من السنة يسمونها (شەرفامەزن) ــ ليلة القدر ــ وهم يصلون ويبتهلون ويتضرعون فيها من المساء الى الصباح[١]•

ويقوم نظامهم الديني والاجتماعي على طبقية حادة • وهناك اربع طبقات دينية هي البيرات والشيوخ والقوالون والفقراء • (انظر شكل رقم٢٨)• فالبير أكبر شخصية دينية تبلغ درجة القداسة • والشيخ يمثل الزعامة الدينية • اما القوالون فهم رجال الدين المتجولون الذين يطوفون من قرية الى اخرى حاملين تماثيل ملك طوس ، كما يتولون ايضا وظائف دينية ثانوية • أما الفقراء فتقتصر وظيفتهم الدينية على خدمة قبر الشيخ عادي • وهناك طبقة المريدين والتي تمثل غالبية اليزيديين وهي بمثابة الطبقة العامة • ويمنع

(١) الماثي ، ص ٧٠

منعا باتا الزواج بين هذه الطبقات المختلفة ، كما يمنع ايضا الزواج مع أصحاب الاديان الاخرى الذين يعتبرون اقل مرتبة من اليزيديين . كذلــك لا يجوز لليزيدي ان يتزوج من اية عشيرة يشاء ، بل هناك عشيرة خاصة يتزوج منها ولا يجوز له الزواج من غيرها ، وتعدد الزوجات مباح .



شكل رقم ٢٨ ــ صورة تمثل احد أفراد طبقة الشيوخ

وهناك رئيس تجتمع فيه السلطة الدينية والدنيوية يطلق عليه اسـم ميرى ميران (امير الامراء) ، ويتمتع بسلطة سياسية واجتماعية غير محدودة، ويخضع له امراء ثانويون ينفذون أوامره ، ومركزه وراثي ، وهو يقيم في قرية باعذرى .

وقد قاسى اليزيديون من الاستغلال الداخلي من قبل رؤسائهم ورجال دينهم ، كما قاسوا من اضطهاد الاقوام المجاورة لهم بسبب اعتقاداتهم الدينية. ويحترف غالبيتهم الزراعة ولاسيما زراعة الحنطة والشعير والذرة والزيتون ، كما يقومون بعمل الزيتون المخلل والتين المجفف[1] . ومن الجدير بالذكر ان زراعة الزيتون تكتسب اهمية خاصة لديهم نظرا لاستخدام زيته في بعض الشعائر الدينية . وتحترف بعض عشائرهم ولا سيما عشيرة الهيويرية الرعي وتربية الحيوانات . ويحترف سكان القصبات ، وخصوصا في بعشيقة وسنجار الحياكة والتجارة والحرف اليدوية الاخرى ، كما ان البعض منهم اتخذ التجارة حرفة له الا ان عددهم قليل جدا . وهناك عدد كبير منهم قد تقلد الوظائف الحكومية وخصوصا في سلك التعليم ، ويقدر عدد المعلمين اليزيديين بحوالي خمسمائة معلما . ويسكن أغلب اليزيديين في قضائي الشيخان وسنجار من محافظة نينوى ، كما يسكن عدد منهم ايضا في محافظة دهوك . ويقدر عددهم بحوالي ٥٥٠٠٠ نسمة .

الكاكائيون

تعتبر ديانة الكاكائيين من أشد الديانات الباطنية غموضا نظرا لان التكتم من اهم تعاليمها . وقد استمدت تسميتهم من الكلمة الكردية (كاكا) التي تعني الاخ . وتزعم حكاياتهم بأن أحد منشيء ديانتهم من السادة البرزنجية كان قد قرر تشييد تكية عظيمة فلما تم بناء الاعمدة ظهر ان احدها أقل ارتفاعا من الجدران . وكان بين الحاضرين ثلاثة من الدراويش من المتفقهين في الديانة الكاكائية ، ولم تكن هويتهم معروفة بالنسبة للحاضرين. فقال أحدهم للاخر : (كاكه ... بكيش) ، فامتدت الاعمدة بمعجزة .

(١) الدكتور سامي سعيد الاحمد ـ اليزيدية ، احوالهم ومعتقداتهم ، الجزء الاول بغداد ١٩٧١ ص ٤١

وهكذا سمّي اتباعهم بالكاكائية . ولكن يبدو ان الاساس الحقيقي لتسميتهم يعود الى مخاطبة بعضهم بعضا بكلمة (كاكا)[1] .

ومن المسلم به ان دياناتهم قديمة جدا وان استعارت بعض تعاليمها من الديانة الاسلامية . وهم يؤمنون بأن الله قد انزل القرآن على محمد (ص) ، كما يقدسون الامام علي تقديسا عظيما ويعتقدون بأن روح الله قد حلت فيه . ومن جملة اعتقاداتهم ايضا الايمان بتناسخ الارواح . وهم يصومون ثلاثة أيام في كل عام . كما انهم يحتفلون بعدة اعياد منها عيد الصوم وعيد الاضحى وعيد نوروز ، ويخصون يومي الجمعة والاثنين باحترام خاص . ومن أبرز تعاليمهم الامتناع عن قص الشوارب مهما كانت الاسباب والامتناع عن شرب الخمر ، وعدم خيانة الامانة ، والتكتم في معتقداتهم ، ولا يجوز تعدد الزوجات كما لا يباح الطلاق الا برضى الطرفين . ومن أبرز مزاراتهم المقدسة كل داود في كردستان ايران وسلطان اسحاق الذى يقع بجوار الحدود العراقية ــ الايرانية في محافظة السليمانية .

ومن ابرز صفاتهم التكاتف والتآزر والاخوة فيما بينهم ، والتسامح الشديد تجاه الاديان والمعتقدات الاخرى . ومع ذلك فلم يسلموا من اذى الاقوام المجاورة وألصقوا بهم تهما مختلفة ، ولا سيما تهمة الاباحية التي ربطها أعداؤهم باحدى مظاهر احتفالاتهم (احتفال اكلة المحبة).

ويمارس الكاكائيون طبقية دينية ايضا شأنهم شأن اليزيديين ، فهناك الرئيس الديني الاعلى المسمى (البير) والذى ينبغي طاعته طاعة عمياء . وهناك ثلاث طبقات في المجتمع الكاكائي : الاولى وهي طبقة السادة وهم المرشدون الدينيون ، وهي طبقة محدودة العدد تتمتع بنفوذ اجتماعي واسع ، وهي أعلى الطبقات مكانة . والطبقة الثانية وتسمى (مام) ، وهي

(١) عباس العزاوي ــ الكاكائية في التاريخ ــ بغداد ١٩٤٩ ، ص ٤

الطبقة المتوسطة ، ويعتبر أفرادها مساعدين للسادة ، ويطلق على الفــرد منهم أسم (مرشد) أو (بابا) والطبقة الثالثة ويطلق عليها اسم (اومي) ، وهم الاخوان او الكاكائية ، ويمثلون الطبقة العامة الغالبة في المجتمــع • ويمكن أن ينتمي رؤساء العشائر الكاكائية الى أي طبقة من تلك الطبقـات، ومراكزهم وراثية •• وهم يمارسون نفوذا سياسيا واقتصاديا واسعا عــلى ابناء العشيرة ، وهم المسؤولون عن حل مشاكل أبناء عشائرهم • لكن نفوذهم ضعف بدرجة كبيرة في الفترة الاخيرة • وما يزال التضـــامن الاجتماعـــي قائما على أشده بين العشائر الكاكائية في مختلف مناطق استيطانها • وقد يتسـع هذا التضامن الاجتماعي فيشمل التضامن السياسي ايضا • ويعيش غالبيـــة الكاكائيين في محافظة كركوك وفي قضاء خانقين • كما يتواجد عدد اقـــل منهم في محافظتي السليمانية ونينوى • وهم يمارسون بدرجة رئيسية زراعة الحنطة والشعير ويرتدون الزي الكردي الشائع في منطقتهم •

ثانيا ــ المجموعة العربية

يمكن القول ان غالبية اتباع المجموعة العربية في العراق الشمالي هم من العشائريين • وهم اما ان يكونوا عشائر مستقرة تعمل في الزراعة او أن يكونوا عشائر رحالة تعمل في تربية الحيوان • أما المدنيون منهم فيتركزون في مدينة الموصل بالدرجة الاولى وفي مدينة كركوك بالدرجة الثانية • وبطبيعة الحال فان سكان المدن يختلفون تمام الاختلاف عن الريفيين والبدو في تظاميم الاجتماعي والاقتصادي •

ولقد سبق ان ذكرنا عند دراستنا للتركيب الاثنولوجي للسكان أهم العشائر التابعة للمجموعة العربية ومناطق تواجدها • وقد لاحظنا نوعين من العشائر العربية ، المستقرة منها والرحالة • وقد اشتملت تلك العشائر على عشيرتين كبيرتين رئيستين هما عشيرتي شمر والجبور ، وعلى عشائر متفرقة اخرى ذات اعداد قليلة نسبيا • ومن ابرز العشائر الصغيرة :



شكل رقم ٢٩ ــ احد افراد عشيرة شمر بملابسه البدوية

١ ـ عشيرة الجحيش ، وتقطن فيما بين الموصل وتلعفر ، وهـــي عشيرة مستقرة الا انها ما تزال تهتم بتربية الحيوان .

٢ ـ العبيد ، وتنتشر مابين سامراء وكركوك وتعمل بالزراعة .

٣ ـ الكروية ، وتتواجد في محافظتي ديالى وكركوك ، وربما تمت في اصلها الى زبيد .

٤ ـ البيات ، وهي تتواجد في منطقة طوزخرماتو بشكل خاص وفي بعض جهات اربيل ، وتشتمل على فروع تركمانية .

وهناك ايضا أعداد اخرى صغيرة تتبع عشائر عزة وخزرج وبنو تميم وبنو ويس (اوس) وتستوطن المنطقة بين قزلرباط وكفري وبلد وبغداد[1].

اما عشيرة الجبور فهي كما ذكرنا من العشائر الضخمة وتنتشر في جهات واسعة في العراق الشمالي والاوسط . ويتوزع اتباعها على ضـفة دجلة اليمنى بين تكريت وتل ابو طاهر وحميدات وتلعفر وفي محافظـات أربيل وكركوك وديالى . ويسكن عدد منهم كذلك في منطقة الجزيــرة الشمالية على جانبي الخابور[2] . ويحترف جميع اتباعها الزراعة .

اما عشيرة شمر فتحتل مساحة واسعة في منطقة الجزيرة من نصيبين شمالا حتى عقرقوف جنوبا ، ومن تلعفر شرقا حتى دير الزور غربا ،واهم جهاتها المنطقة الواقعة شمال شرقي الخابور ولا سيما حوض وادي جغجغ .

ولقد نزحت عشيرة شمر من نجد الى العراق في موجتين . ويعـود تاريخ نزوح الموجة الاولى الى حوالي خمسة قرون وتقطـــن بقاياها في العراق الاوسط والجنوبي . اما الموجة الثانية فقد نزحت الى منطقة الجزيرة قبل حوالي ثلاثة قرون (في القرن السابع عشر) واجتذبتها خصـــوبة

---

(١) الهاشمي ـ جغرافية العراق الثانوية ١٩٣٨ ، ص ٩٠
(٢) الدركزلي ، ص ٦٣ .

اراضي الجزيرة ووفرة المراعي بها ، وقد دخلت في صراعات عنيفة مع عشيرة طي بشكل خاص التي كانت تستوطن المنطقة وافلحت في طردها نحو الشرق ، فخضعت لها بقية العشائر الصغيرة المتواجدة في المنطقة • وتتألف عشيرة شمر من خمسة افخاذ رئيسية هي الخرصة وعبدة وسنجارة وزوبع والصايح[1] •

من الواضح اذن أن المجموعة العربية التي تستوطن العراق الشمالي تزاول نمطين من الحياة هما الزراعة والرعي • والواقع ان العشائر الصغيرة التي تحترف الزراعة حاليا كانت في الاصل رعوية ، وقد طردتها عشيرة طي من مناطقها الاصلية في منطقة الجزيرة – وهي امتداد لصحراء جزيرة العرب – وكانت عشيرة طي قد طردت بدورها من قبل عشيرة شمر • وقد زحفت تلك العشائر الصغيرة نحو الشرق والجنوب الشرقي فاستوطنت ضفاف الانهار واخذت تمارس نوعا من الزراعة المتنقلة اضافة الى حرفتها الاساسية وهي الرعي •

ويمكن القول ان عشيرة شمر تمثل اهم العشائر البدوية في العراق الشمالي • وبالرغم من أن عددا كبيرا من افرادها قد توطن في منطقة الجزيرة الا أن العشيرة بمجموعها ماتزال تعتبر بدوية • وهي تتجول في مناطق واسعة في محافظة الموصل وفي منطقة الجزيرة بين دجلة والفرات ، وتصل في تجوالها حتى الحدود السورية العراقية في اقصى الجهات الشمالية الغربية من القطر ، وقد تدخل البلاد السورية ايضا • ويمكن ان يقدم لنا تركيبها الاجتماعي والاقتصادي نموذجا امثلا للعشيرة البدوية العربية •

(١) مكي الجميل – البدو والقبائل الرحالة في العراق ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ٢٨٠ •

التنظيم العشائري العربي

يتميز التنظيم العشائري العربي بمميزات معينة يمكن ان تتضح في صفات « النسب » و « الرئاسة » و « العصبية العشائرية » •

١ ـ النسب :

تقوم العشيرة العربية قبل كل شيء على « وحدة الدم » • لذلـك ترتبط اقسامها بعضها عن طريق الانتساب الى سلف مشترك • وبالرغم من صعوبة تتبع العلاقات النسبية بين مختلف اقسام العشيرة الا ان افرادهـا يؤمنون بانهم ينتمون الى اب واحد • لذلك فأن ذوبان المجموعة الغريبة ضمن العشيرة لايمكن ان يتحقق بمجرد الاخضاع ، بل يتم بواسطة عملية تقليدية معينة يطلق عليها اسم « الكتبة » • وتمنح هذه العملية الجماعـة المتبناة نفس الحقوق والمزايا التي يتمتع بها ابن العشيرة الاصلي ويصبح افرادها جزءا لا يتجزأ من العشيرة الكبيرة • ويهتم رؤساء العشيرة العربية اهتماما خاصا بصلتهم بمؤسس الفخذ او العشيرة ، وفي وسعهم ان يتتبعوا اصولهم لعدة اجيال •

اما الوحدة الاساسية الصغرى للعشيرة العربية فهي الاسرة ، او مـا يسمى بـ (الاهل) او (البيت) ، وهي اسرة باترياركية ذات روابط متينة يتعاون افرادها في العمل • ويأتي الاب في المقام الاول ، وللمرأة مكانـة ثانوية • ويليها (الجيل) وهو مجموعة من الاسر وثيقة الاتصال ترتبط بروابط النسب الذي قد يرقى بها الى الجد الخامس ، ويمثلها (الفخذ) • وتتكون العشيرة من مجموع الافخاذ التي تعرف باسم (الحمائل) ،وترتبط الافخاذ فيما بينها بروابط نسب بعيدة وبمصالح مشتركة ، ويتكون مـن مجموع العشائر « القبيلة »[1] •

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠ـ٤١ •

٢ ـ الرئاسة :

يمثل « الرئيس » او « الشيخ » اساساً الاب الروحي للعشيرة العربية ، وقد انتقلت سلطات أب الاسرة اليه . وهو يحكم العشيرة مستنداً الى مكانته ورجاحة عقله والى منعته التي توفرها له عصبته وأقرباؤه الاقربون، فهو لايمثل اذن الحاكم المطلق او الدكتاتور . وتتنوع مهام « الشيخ » تنوعاً عظيماً ، وتشمل الحقول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . (فهو يعرف معرفة تامة الحقوق والتقاليد التي تختص بها عشيرته ، كما يعرف ايضا تلك التي تختص بالعشائر المجاورة ، وهو يعرف نسب ابناء العشيرة معرفة تامة، ويجب ان يكون ممثلهم السياسي ، وينبغي عليه ان يضمن السلام والوئام داخل العشيرة مستخدماً الحزم والعدل ، وعليه ان يعرف معرفة جيدة الاوضاع الخارجية التي تخص سلامة المخيم مثل توفر آبار المياه وحالة الطرق الخ) (١) .

ولذلك فبالرغم من ان مركز « الشيخ » وراثي حسب النظام التسلسلي الا في حالة عجز الابناء ، لكنه في الوقت نفسه ينحصر عملياً بأكثر الاسر ثراءاً ليستطيع « الشيخ» مواجهة النفقات التي يتطلبها مركزه . وفي أحيان نادرة تلغى قاعدة الوراثة لمصلحة شخص تتوفر فيه مؤهلات القيادة بدرجة اعظم .

ولقد ذكر بوركهات Burkhart في دراسته المستفيضة لبدو الجزيرة العربية بان « الشيخ » ليس دكتاتوراً على عشيرته . وقد حدد وظائفه على النحو المذكور اعلاه ، واضاف الى ذلك قوله : (ولا يستطيع « الشيخ » ان يعلن الحرب او يعقد شروط السلم بدون استشارة الرجال البارزين في

---

(١) Bonne, A., State and economy in the Middle East, London 1948, P. 362.

عشيرته • واذا اراد رفع المخيم فلا بد له مقدما من استشارة رجاله حول سلامة الطرق وكفاية المرعى والمياه في المنطقة المهاجر اليها •• واما أوامره فلا تطاع لغرض الطاعة فحسب ، بل تحتذى اعماله من قبل افراد العشيرة • بل ان احكامه لا تفرض على الجماعات المتخاصمة حتى في قضايا الثأر ما لم يكونوا مقتنعين بها) [١] • والواقع ان البدوي لا يخضع للشيخ الا اذا اقتنع ان خضوعه من مصلحته ومنبثق من صميم ارادته • والبدوي يرفض الانصياع الى استبداده ، وبوسعه ان يعتزل مجتمع القبيلة دون ان يصيبه العقاب ، كما انه يتمتع بحرية مطلقة في ابداء آرائه في الشؤون التي تمسه وتمس العشيرة [٢] •

ومن المعروف ايضا ان ابناء العشيرة يتصرفون في حضور شيخهم في حرية وألفة وكأنهم على قدم المساواة معه اجتماعيا وماديا • ويدل سلوك الشيوخ وابناء العشائر تجاه بعضهم بعضا على انعدام الفوارق الطبقية والاجتماعية ضمن عشائرهم [٣] •

غير ان هذا النوع من الرئاسة يتمثل في العشائر البدوية فحسب • أما « رئاسة » العشائر المستقرة فقد تطورت الى مؤسسة ارستقراطية مقرونة باستغلال اقتصادي واجتماعي لابناء العشيرة • وقد وصف الدكتور سليم رئاسة العشيرة المستقرة في دراسته المستفيضة لعشيرة بني أسد في جنوب العراق على النحو التالي :

(لقد عاش آل خيون « وهم الفخذ الحاكم في عشيرة بني اسد » كارستقراطية عسكرية ، فكانوا يتمتعون بمركز ممتاز جدا وسلطة وقوة

---

(١) Burkhart, J. L., Notes on Beduins and Wahabys tribes, London 1831, Vol. I, PP. 117-118.

(٢) البرازي – البداوة والاستقرار في العراق ، ص ٩٩ •

(٣) Fahmi, Ahmed, Report on Iraq, Baghdad 1926, P. 15.

عظيمتين للغاية • وكانوا ينظرون لكافة افراد العشيرة كاتباع وعبيد ، اقل منهم درجة ومرتبة • وحكموا حكما استبداديا عاملوا فيه اتباعهم بمنتهى القساوة • فكان الشيوخ ـ وهم رؤوس آل خيون ـ يلجؤون الى تغريم اتباعهم وسجنهم في قلاعهم كطريقة اعتيادية في العقوبة • والمفروض في الفرد من العشيرة ان يضع نفسه دائما في خدمة « بيت الرياسة » لأي واجب يطلب منه ، فكانت العشيرة كلها تعمل للشيخ واقاربه آل خيون ، فيستولي هو وأقاربه على اغلب المنتوج الزراعي ويأخذ الضرائب على اشجار النخيل والماشية ، ويشارك حتى الآباء في مهور بناتهم • وكان آل خيون يتطلبون خضوعا تاما من كافة افراد العشيرة لانهم السادة المتحكمون او كما يطلقون على انفسهم « بيت الرياسة » ، فللخيوني الحق الذي لا يقبل المنازعة في اهانة أو ضرب او اساءة معاملة السداوي « فرد العشيرة » ، الذي يجب عليه ان يتقبل مثل تلك المعاملة بدون اعتراض او تذمر • وللخيوني الحق في التدخل في أي نزاع او أية قضية تخص أي فرد من بني أسد بغض النظر عن كون الخيوني رئيسا او غير رئيس ، لأن المفروض في كل خيوني انه رئيس •• وان اراد دراهم فيستطيع ان يجمعها من افراد العشيرة لأنه لا يعمل وواجبه ان يحكم فقط)[1] •

ولقد قضت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ على هذا النوع من الرئاسة العشائرية اثر الغاء النظام الاقطاعي واعلان قوانين الاصلاح الزراعي ، ولم يعد الفرد العشائري يعترف بسلطة امثال اولئك « الشيوخ » • كما ان الرئاسة العشائرية المشار اليها اعلاه فقدت مدلولها كليا وحل محلها الولاء المعنوي لرئيس المجموعة النسبية العشائرية •

ويعتبر « الشيخ » البدوي مسؤولا عن كل ما يخص القبيلة ، وهو

---

(١) الدكتور شاكر مصطفى سليم ـ الجبايش ، دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق ، بغداد ١٩٧٠ (الطبعة الثانية) ، ص ١٥٦ •

صاحب السلطة العليا في كل امورها ، وهو الذي يأمر بالحرب ويتولى المفاوضات مع القبائل الاخرى ومع ممثلي الدولة ، كما انه يعين اوقات الترحل ومناطقها • كذلك يقوم بترأس القضاء القبلي لكنه لا ينفرد باصدار الاحكام ، بل يشترك معه من يسمون بالعرافين (او العوارف) ، وهم متضلعون بعرف العشائر وعاداتهم ويختصون بالفصل في الخصومات التي تحدث بين ابناء العشيرة واحكامهم نافذة في العادة [١] •

ولقد ترتب على مكانة « الشيخ » ايضا مسؤولية جوهرية وهي القيام بواجبات الضيافة • ومن المعلوم ان الضيافة تعتبر من ابرز سمات النظام البدوي العربي ، وان احترامها والالتزام بها واجب محتم • ويتعهد « الشيخ » بالانفاق على « المضيف » من ماله الخاص ويكلفه هذا الانفاق مبالغ جسيمة •

٣ — العصبية القبلية :

لا ريب ان ظاهرة « العصبية القبلية » هي وسيلة من وسائل تكيف البدوي لبيئة البادية ، فبيئة الصحراء بيئة فقيرة ، ويشتد فيها الصراع والتنازع من اجل الحياة ومن اجل الحصول على المراعي ، لذلك يصبح من الضروري انتماء الفرد الى جماعة كبيرة الحجم ضمانا لسلامته وسلامة حيواناته • ومن هنا تكتسب « العصبية القبلية » اهميتها حيث تصبح اداة لحماية القبيلة • وتتصف « العصبية » بانها موحدة وشاملة وذات قوة الزامية قهرية وزجرية تمارس سيطرة على ضمائر افراد العشيرة • وفي ظلها تصبح الحقوق والواجبات حقا عاما والزاما لابناء العشيرة كما يتجلى ذلك في الزواج والغزو والدخالة والحشم وغيرها من مظاهر المجتمع العشائري [٢] • « فالعصبية القبلية » اذن تفرض على العشائري الالتزامات

---

(١) عبدالجبار الراوي — البادية • بغداد ١٩٤٦ ، ص ١٠٧.

(٢) الدكتور عبدالجليل الطاهر (ترجمة) — تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ٤ •

التالية :

١ ـ القتال : لا بد لكل فخذ في العشيرة ان يساهم في الدفاع التام ضد المتدين على العشيرة ، كما لا بد له ان يساهم في العمليات الحربية التي يقتضيها « الغزو » او الخلافات مع العشائر الاخرى .

٢ ـ الفصل : يجمع الفصل او الدية المفروضة على احد افراد العشيرة من جميع اعضاء العشيرة او الفخذ . كما يوزع مبلغ « الفصل » او « الحشم » الذي تكسبه العشيرة على جميع افراد العشيرة او الفخذ .

٣ ـ المسؤوليات المالية : يعتبر جميع الافخاذ مسؤولين بالتساوي عن مد الشيخ بمبلغ من المال ينفقه على شؤون العشيرة .

٤ ـ احتفالات المناسبات : لا بد لكل عضو من اعضاء العشيرة ان يساهم في احتفالات المناسبات . فأما حفلات الزواج فمن الضروري الاشتراك بها اذا ما دعي الفرد العشائري وعليه ان يساهم بهدية مناسبة (من الحيوانات او السكر او الشاي او الرز) . اما احتفالات الوفاة فينبغي على العشائري أن يحضرها دون دعوة وعليه ان يقدم هدية مناسبة [1] .

٥ ـ الالتزام بالاعراف : هناك اعراف عديدة اصبحت جزءا من كيان العشيرة العربية ولا بد لكل عشيرة وعشائري من الالتزام بها . ومن جملة تلك الاعراف « الدخلة » وهي طلب الحماية من عشيرة معينة ، فتصبح تلك العشيرة مسؤولة تحت جميع الظروف بتقديم تلك الحماية غير المشروطة مهما كلفها الامر وحتى لو كان الطلب من اعداء العشيرة . ومن جملتها ايضا « النخوة » وهي المساهمة في بعض الاعمال العامة التي تتطلب من العشائري مساعدة ابناء العشيرة .

---

(١) ضياء شكارة ـ « الحياة الاجتماعية والاقتصادية القبلية في المقاطعات الوسطى والجنوبية وفي لواء الموصل » ـ تقرير قدم الى حلقة الدراسات الاجتماعية في عام ١٩٥٤ ، ص ١٩ .

وما تزال « العصبية القبلية » قوية حتى بين افـــراد العشـــائر المستقرة • وبالرغم من ضعف « الرئاســـة » العشـــائرية بشـــكلها القديم المعروف بل واختفائها كليا لدى كثير من العشائر المستقرة نتيجة لزوال النظام الاقطاعي ، فان التزامات « العصبية القبلية » ضمن « الاهل » و « البيت » ما تزال تفرض نفسها على العشائري بنفس القوة •

واخيرا فان حياة البدوي تتميز بالبساطة المطلقـــة فـــي غذائـــه ومأواه وملبسه الذي يلائم البيئة الطبيعية ملاءمة تامة • (انظـــر شـــكل رقم ٢٩) •



شكل رقم ٣٠ ـ جماعة من أفراد العشائر المستقرة يقفون وراء كوخهم الطيني ويحملون أدواتهم الزراعية

التنظيم الاقتصادي للعشيرة البدوية

تمثل عشيرة شمر كما ذكرنا أهم عشيرة بدوية في العراق الشمالي• وبالرغم من ان بعض افخاذها قد استقر ، الا ان اعدادا كبيرة منها لا تزال

تمارس حياة الترحل . ولقد فرضت البيئة الصحراوية على السكان هذا النمط من الحياة ، وهو يعتبر افضل استجابة لظروف البيئة الطبيعية ، فالوليد الطبيعي لهذه البيئة الجافة هو الحشائش ، ومن طبيعتها ان تنبت وقت سقوط الامطار، واذا ما استهلكت فلن تظهر الا في العام التالي . لهذا تحتم على سكان هذه المناطق ان يبحثوا دائما عن مناطق جديدة ، أي ان يتنقلوا على الدوام من مكان الى آخر ، فكلما نضبت حشائش منطقة رحلوا الى اخرى ليوفروا الغذاء لحيواناتهم . لهذا كان الموطن الحقيقي للرعاة الرحل هي الصحاري واشباه الصحاري .

ويمكن القول ان هجرة البدو والعرب عبارة عن حركة مستمرة تشمل العام باكمله ، وهي حركة شبه دائرية تتوغل في اعماق الصحراء في فصول الامطار وتقترب من الآبار وموارد المياه في فصل الجفاف ، وتتحكم في هذه الحركة كمية الامطار التي يعتمد عليها بالتالي توزيع المراعي وثرائها . كذلك تتحكم فيها الآبار التي تعتبر مفاتيح الطرق داخل الصحراء، وهي مصدر لتموين القوافل المتنقلة بالمياه ، لذلك فهي تلعب دورا كبيرا في توزيع الجماعات البدوية في الصحاري(١) .

وتبدأ الهجرة نحو اعماق الصحراء في اوائل الخريف ، اي حوالي نهاية شهر تشرين الاول حيث تبدأ بواكير الامطار الخريفية . وتستمر القبائل البدوية ضاربة في اعماق الصحراء طوال فصول الخريف والشتاء والربيع ، ثم يبدأ انسحابها نحو هامش الصحراء منذ اواسط الربيع ، أي منذ نهاية نيسان واوائل مايس ، حيث تقترب من الارياف والمناطق الزراعية المأهولة وتتجمع بالقرب من الآبار وعند بطون الوديان شبه الجافة أو في المنخفضات التي تتجمع فيها المياه وهي التي يطلقون عليها

---

(١) البزازي ، ص ١١٥ .

اسم (الخبر) • ويحاول البدو الوصول الى تلك المناطق قبل ابتداء موسم الصيف وانقطاع الامطار خوفا من التعرض لمخاطر انعدام المياه فضلا عن انتهاء الكلأ •

وخلال فترة تنقلهم يغيّر البدو اقامتهم كل عشرة ايام او خمسة عشر يوما وقد تزيد فترة اقامتهم عن ذلك ، ويسمون فترة الاقامة هذه بـ « النجعة » ، ويرجع سبب رحيلهم المستمر الى عوامل صحية ، كما يعود ايضا الى استهلاك الكلأ في المنطقة[1] • ويتخذ قرار الارتحال من قبل شيوخ او رؤساء العشائر فالشيخ هو الذي يأمر بالرحيل وبالنزول ويعين لهما الوقت والمكان[2] •

ولقد وصف الرحالة بوركهارت Burkhardt في منتصف القرن الماضي هجرة القبائل البدوية على النحو التالي : (يتقدم العشيرة المهاجرة كوكبة من الفرسان تتألف من خمسة او ستة اشخاص على بعد حوالي ستة اميال تقوم بدور الاستطلاع • ويتألف الجزء الرئيسي من العشيرة المهاجرة من خط يتقدم العشيرة بحوالي ثلاثة اميال على الاقل • ويشتمل هذا الخط على عدد من الرجال المسلحين ومن راكبي الجمال يبعد كل منهم عن الاخر حوالي مائة وخمسين خطوة ، وينتشرون على امتداد الخط الامامي بأجمعه • ويتبع هذا الخط صفوف عريضة تتألف من النوق وصغارها وهي ترعى ما تصادفه من اعشاب واشواك • ويلي صفوف النوق الجمال المحملة بالمؤونة والخيام ، ثم الجمال ذات الهوادج التي يمتطيها النساء والاطفال ، وينتشر في غير نظام بين تلك الصفوف بأجمعها ، ويحاول اغلبهم ان يسير في مقدمة الصفوف • ويتولى بعض الرجال قيادة الخيول من مقاودها وقلما يمتطونها • ويمكن ان يقدر طول الموكب التي تكونه

---

(١) عبدالجبار عريم ، القبائل الرحالة في العراق ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٢٤
(٢) الراوي ، ص ١٠٧ •

امثال هذه العشائر البدوية بما لا يقل عن ميلين ونصف)[1] .

غير ان هذا التنظيم في الهجرة العربية لم يعد يحتفظ في الوقت الحاضر بصوره الماضية بالنظر لتزعزع النظام القبلي وضعفه . كما ان الخوف من الصدام بين القبائل البدوية بعضها مع البعض الاخر او مع المزارعين قد تضاءل الى درجة كبيرة . ومما يقلل من فرص الاحتكاك ان القبائل البدوية تتجول في مناطق خالية من الصحراء وقلما تقترب من القرى والمزارع الا في اوقات شحة المياه مما يجعل الصدام بينهم وبين المزارعين امرا نادر الوقوع ، اللهم الا أذا أرتأوا القيام بغارات سلب ونهب على القرى والمزارع الواقعة على حافة الصحراء . وتتنقل القبائل البدوية في الظروف الاعتيادية في مناطق معينة ، وبالرغم من أن ملكية إراضي تلك المناطق تعود للدولة ، الا أن لكل قبيلة منطقة معينة تتجول ضمن نطاقها يطلق عليها اسم (ديرة القبيلة) ، ولا يحق لاية قبيلة ان ترعى فيها ، وهي تستثمر مراعيها دون مقابل ، خلا ما تدفعه للدولة من ضرائب على الحيوانات بصورة غير مباشرة .

وفي اثناء التنقل يصحب البدو معهم جميع مقتنياتهم ومؤونتهم فضلا عن حيواناتهم ، وحينما يحطون الرحال تنصب الخيام في الغالب على شكل دائرة او مستطيل تتصدرها خيمة الشيخ ليهتدي اليها الضيوف ، اما الحيوانات فيحتفظ بها في داخل المخيم صيانة لها من السرقة والنهب[2] .وقد ذكر بوركهارت في وصفه لمخيم قبيلة عنزة انه اذا كان عدد الخيام قليلا نصب المخيم على شكل دائرة واطلق عليه اسم (دوار) . اما المخيمات الضخمة فتنصب على شكل خطوط مستقيمة او على شكل صف من

---

(١) Burkhardt, P. 35.

(٢) الجميل ، ص ٩٣ .

الخيام المفردة ، لاسيما اذا أقيم المخيم على ضفاف نهر . وقد يتألف المخيم في بعض الحالات من بضعة صفوف ، ويطلق على مثل هذا المخيم اسم (نزلة) . أما في فصل الشتاء حيث يتوفر الماء والمرعى فيختلف وضع المخيم كليا . أذ تنتشر العشيرة بأكملها على امتداد السهل . وتنضب الخيام على شكل مجموعات تتألف كل منها من ثلاث او اربع خيام ، ويفصل بين كل مجموعة منها مسيرة نصف ساعة على الاقل . ويطلق على هذا النوع من المخيم اسم (فرقة)[1] .

ولقد ربط ديمولان Demolin هذا النوع في وضع المخيم العربي بصلب النظام الاجتماعي للقبيلة البدوية ، فذكر ان الوحدة الصغرى لدى القبيلة الصحراوية هي الخيمة ، وهي عبارة عن اسرة نووية . وتؤلف مجموعات خيمات الاب والابناء وابناء العم (نزلة) ، وفيها يكون الحيوان والادوات مشاعة . وتكون مجموعات النزلات (دوارا) ، وهي عبارة عن عدة عائلات ابوية (باترياكية) من اصل واحد ، وتكون فيها الواجبات اليومية مشتركة كمراقبة القطعان والنوبات الليلية وسقاء الحيوان . اما مجموعات الدوار فتكون (فرقة) ، وهي عبارة عن اكبر عدد ممكن من افراد القبيلة يمكن ان يتحرك معا من دون ارهاق المرعى[2] .

وتتخذ الخيمة العربية شكلا دائريا تقريبا وتثبت ثلاث من جهاتها الاربع الى الارض . وتكاد تتشابه خيم جميع افراد العشيرة ، فجميعهم متساوون في الحقيقة من حيث المستوى الاقتصادي ولا تمايز طبقي بينهم ، الا ان خيمة « الشيخ » تتميز في حجمها وفي ثرائها بالسجاد والأثاث . فخيمة البدوي تشتمل عموما على عمود او عمودين ، أما خيمة الشيخ فتشتمل على عدة اعمدة حسب مكانته وثرائه . فالخيمة التي ترفع على أقل من ثلاثة

(١) Burkhardt, P. 33.

(٢) الدكتور جمال حمدان ، انماط من البيئات ، القاهرة ص ١٠٢ .

أعمدة تسمى(مكرون)، والتي ترفع على ثلاثة اعمدة تسمى(مثولث)، وهكذا مربوع ومخموس ومسودس • وتقسم الخيم الكبيرة الى شبه غرف مستقلة بينها الحواجز المصنوعة من الشعر او القصب ، ويخصص كل قسم لغرض وقتي ، فواحد للضيوف والاخر للنوم والثالث للطبخ • وقد يكون الحاجز بين قسم واخر داخل الخيمة جدارا من اكياس الذخيرة كالدقيق والرز والشعير وغيره (١) • أما نسيج الخمية فيتألف من عدد من القطع الطويلة المصنوعة من شعر الماعز التي تخاط مع بعضها ، ويبلغ عرضها حوالي قدمين ، بينما يبلغ طولها حوالي اربعين ياردة(٢) •

وتعتمد الحياة الاقتصادية لبدو شمر على الحيوانات وما يتصل بها اعتمادا كليا ، لهذا فهو يتبعها دائما كما ذكرنا متنقلا من منطقة الى اخرى(*) • وكان الجمل يعتبر اهم حيواناته ، الا أن قيمته الاقتصادية ضعفت في الوقت الحاضر • ويمكن القول ان الجمل كان مسؤولا عن احدى دعامات حياته الاقتصادية الهامة وهي الوساطة التجارية • غير أن مد الطرق الحديثة عبر الصحارى وانتشار السيارات قد الغيا أهمية الجمل كأداة للنقل عبر الصحراء • وقد ادى ذلك الى تدهور قيمة الجمل المادية وتناقص اعداده بشكل عظيم بات يهدده بالانقراض • فلحوم الجمال اقل قيمة من لحوم بقية الحيوانات • ويمكن القول ان مزاولة ابناء شمر للنقل التجاري باتت محددة في الوقت الحاضر بعدد قليل منهم • ويقتصر عمل هؤلاء عادة على فصل الصيف فقط حيث يقومون بنقل الحبوب وبعض الحاصلات الزراعية الاخرى من المزارع الى المدن والقصبات والقرى الكبيرة • ولهذا تحولت اغلب جماعات شمر الى رعي الاغنام • ويعتمد

(١) الراوي ، ص ١٢٨ •

(٢) Ford, G. Daryll, Habitat, economy and society , London 1956.

(*) بالرغم من ان البدوي العربي يحتقر الزراعة ومحترفيها ، الا ان بعض جماعات شمر اخذت تمارس نوعا من الزراعة الديمية على =

عدد الجمال لدى العشائر البدوية في الوقت الحاضر على نوعية المرعى فحيثما اتسعت البوادي واشتد جفافها كثرت اعداد الجمال . وحيثماتوفرت الامطار وكثر الكلأ ازدادت اعداد الاغنام . وبما ان ديار شمر في منطقة الجزيرة تتميز بوفرة المرعى نسبيا ، لذلك تحتل الاغنام مكان الصدارة في اقتصادها[1] .

وتعتمد موارد البدوي على بيع الحيوانات الحية ، وعلى المتاجرة بمشتقاتها من الوبر والاصواف والشعر والجلود ومنتجاتها من السمن والجبنة . ولا تكاد الخيول تلعب دورا ملموسا في اقتصاد البدوي الا في حالات خاصة ، اذ يقوم بعض الشيوخ بتربيتها للاغراض التجارية . ويعتبر اقتناء الحصان دليلا على اليسار . ويواجه البدوي بنفسه تجار المدن، الا انه كثيرا ما يقع فريسة للاحتيال ، وقد تلجؤه الظروف الطبيعية القاسية المتمثلة بالجفاف والمحل الى تقبل ذلك الاحتيال والاستسلام له . ويتمثل هذا الاحتيال في طريقة التجارة المسماة (السلم) ، وهو ان يستلف البدوي نقودا من التاجر قبل موسم البيع مما يضطره الى الرضوخ للاسعار التي يفرضها عليه ، وهي اسعار زهيدة في الغالب[2] . فاذا ما خانه الموسم اضطر الى الاستدانة ثانية ، مما يقيده الى التاجر بقيود صارمة يصعب التخلص منها . وعلى العموم فان الوضع الاقتصادي للبدوي مترد دائما وحياته شظفة قاسية . وقد شجع ذلك الكثير من ابناء العشائر البدوية على ترك عشائرهم والعمل في منشآت شركات النفط ولا سيما في الموصل وكركوك .

ولعل ابرز تغير في حياة بدو العراق الشمالي هو تجاح بعض

= نطاق محدود جدا ولا سيما في منطقة الجزيرة الشمالية . وقد شجعتهم الحكومة على ممارسة هذه الخطوة بتوزيع البذور عليهم .

(١) البرازي ، ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

المحاولات الحكومية لتوطين عدد من عشيرة شمر وتحويلهم نحو الزراعة. وقد بدأت محاولات التوطين لجماعات شمر منذ اوائل العشرينات بتشجيع من رؤساء العشيرة ومساندة من الحكومة . وكان أهم اجراء اتخذته الحكومة لتشجيعهم على الاستقرار هو حفر آبار المياه . غير أن مشاريع التوطين لم تتخذ صفة جدية ومنظمة الا في اوائل الخمسينات (١٩٥١) . فقد تألفت لجنة حكومية لهذا الغرض قامت بدراسة المنطقة (منطقة الجزيرة) ، ثم خصصت جزءا من الاراضي الاميرية لاقامة المستوطنات البدوية ، وراعت في ذلك رغبة المستوطنين في اسكان كل مجموعة عشائرية منهم ضمن حدود منطقة استثمارها وتجوالها التقليدي ، كما راعت صلاحية الظروف الجغرافية في المنطقة (ملائمة الامطار والتربة). وقد خصصت لكل عائلة مستوطنة ٣٧٫٥ هكتارا (حوالي ١٥٠ دونما)، لغرض الاستثمار الزراعي والرعي وطلبت منهم ان يتولوا حفر آبار لمياه الشرب عن طريق عمل جماعي يشمل جميع اعضاء القرية الواحدة [١] .

وتوسعت محاولات التوطين في اوائل الستينات (١٩٦٣) ، ولا سيما بعد صدور قوانين الاصلاح الزراعي حيث تم انتزاع الاراضي الديم الشاسعة التي كان يتولى الشيوخ والملاك الغائبون زراعتها باللزمة ، ووزعت على ابناء العشائر البدوية . وهكذا بلغ عدد القرى المنشأة في منطقة الجزيرة فيما بين عام ١٩٥١ حتى ١٩٦٥ في المنطقة الممتدة من جنوب جبل سنجار حتى مدينة الحضر ما يقارب (٤٠٠) قرية جديدة يسكنها حوالي ٤٧٢٠١ شخصا ، وجميعها تقع ضمن قضاء الحضر [٢] .

(١) الدكتور نافع ناصر القصاب ـ ملامح جغرافية حول استيطان القبائل البدوية المتنقلة ـ مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ـ المجلد الخامس ـ ص ٢٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

وكذلك يبلغ عدد المستوطنات البدوية في المنطقة الواسعة شمال وشمال شرقي جبل سنجار لغاية عام ١٩٦٥ حوالي ١٥٢ قرية تقع جميعها ضمن قضاء تلعفر . وهناك (١٧٤) قرية اخرى تقع مجموعة منها ضمن ناحية سنجار ويبلغ عدد نفوسها ٣٢٢٠٠ نسمة ، كما تقع المجموعة الاخرى ضمن ناحية الشمال ويبلغ عدد نفوسها ٢٧٤٧٦ نسمة [١] .

وبالرغم من الجهود الحكومية التي بذلت لتهيئة الظروف المناسبة لنجاح عملية توطين عشائر شمر الرحالة وذلك باعداد المرشدين الزراعيين وتوزيع البذور على المستوطنين وحفر آبار المياه ، بل وحتى تهيئة المكائن الزراعية الحديثة ، الا ان العملية ماتزال تحتاج الى وقت غير قصير ليتحقق نجاحها الكامل . ففي حالات كثيرة قام المستوطنون البدو بتأجير اراضيهم الى ملاك المدن (وخاصة مدينتي الموصل وسنجار) والذين يطلق عليهم محليا اسم (طبقة اصحاب المصالح) لاستثمارها في الزراعة مقابل نسبة معينة من الحاصل . ولعل مرجع ذلك الى المصاعب النفسية والمادية التي واجهها اولئك البدو المستوطنين في حياتهم الجديدة .

ولقد نتج عن عملية توطين عشيرة شمر نمط جديد في حياتهم ، وقد اشار اليه القصاب على النحو التالي : (لقد ظهر ان البدو المستوطنين لم يتمكنوا حتى الان ان يتجاهلوا بسهولة عادات حياتهم التقليدية التي مارسوها حقبة طويلة من الزمن ، وخاصة ما يتعلق منها بعادة التنقل والترحال . فقد انشأت العوائل المستوطنة بيوتا لها في الاراضي المخصصة لذلك واقامت بجانبها المخازن لخزن المحاصيل الزراعية واصطبلات لحفظ الحيوانات ، وتركت اعداد الارض الى طبقة اصحاب المصالح ، اللهم الا في بعض الحالات النادرة التي تولوا هم انفسهم فيها زراعة الارض ، وخاصة تلك العوائل التي لاتملك الا اعدادا قليلة من الحيوانات

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤

تكفي لرعيها في الارض المخصصة لها . وما عدا ذلك فقد ظهر نمـط جديد في الحياة شبه البدوية كمرحلة انتقالية تطورت من البداوة التـي كانت قائمة على اساس الترحال المستمر الى لون جديد من التنقل الفصلي المقرون بتحديد طرق الانتقال وتقليل المسافات من ١٠٠٠ كم سابقا الـى ١٠٠ او ٢٠٠ كم . ويمارس هذا اللون من التنقل الموسمي حاليا بـين مراكز الاستيطانات الجديدة الثابتة في الوسط والشمال من الجزيـرة والاقاليم الرعوية في الجنوب منها .

كما طرأت تغييرات أخرى على نمط الحياة الاقتصادية عند البـدو بعد استيطانهم ، ذلك أن الاهتمام بتربية الابل قد قل الى درجة كبيرة . وفي بعض المناطق زال نهائيا واستبدل بتدجين الاغنام التي تعتبر اليـوم مصدر ثروة مهمة للبدو المستوطنين . كما ان العائلة البدوية التي كانت ترتحل برمتها من مكان الى آخر أصبح جزء منها ينتقل مع الحيوانـات والاخر يبقى مقيما طوال السنة في قراه الجديدة)[١] .

وهكذا يبدو ان توطين العشائر البدوية في العراق الشمالي ما يزال يحتاج الى زمن اطول لكي يأتي ثماره ، كما انه مايزال يحتاج الى المزيد من الخطوات الحكومية الجدية في فرض اجراءات الاصلاح الزراعـي وتهيئة متطلبات الزراعة الحديثة للمستوطنين الجدد .

أما ما يتعلق بالعشائر العربية المستقرة في العراق الشـمالي فـان تنظيماتها الاجتماعية لا تكاد تختلف جوهريا عن تنظيمات العشائر البدوية. فالعشيرة في اساسها اسرة واسعة، ويرتبط افرادها برابطة الدم.وكان السكان الى عهد قريب يتبعون العرف العشائري في نزاعاتهم ويدينـون بالطاعـة لرؤسائهم (شيوخهم) ، غير أن الغاء النظام الاقطاعي بعد ثورة ١٤ تمـوز افقد شيوخ العشائر سلطتهم الفعلية . ولم تكن سلطتهم في السابق تستمد من كونهم آباء روحيين للعشيرة كما هو الحال في العشيرة البدوية ، بل من

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١ و ٣٦ .

كونهم ملاك الارض التي يعمل فيها افراد عشائرهم • وقد سبق ان اوضحنا التطور الذي حدث بالنسبة لـ « رئاسة » العشائر المستقرة حيث تحولت الى ارستقراطية عسكرية • .

وبالرغم من زوال النظام الاقطاعي فان افراد العشيرة العربية المستقرة ما يزالون يرتبطون بعضهم في نطاق المجموعة النسبية ، وما تزال العصبية القبلية التي تتمثل في الزواج والقتال (النفير) والدخالة والحشم تتحكم بتصرفاتهم [1] •

واما الاسرة فهي باتريياكية (ابوية) شبيهة بالاسرة البدوية ، ويحتل الرجل فيها المكانة الاولى ، بينما تحتل المرأة مكانة ثانوية • والزواج فيها داخلي endogamy أو من داخل العشيرة ، ويميل الرجال الى تعدد الزوجات Polygamy • ويحتل « المضيف » مكانة اجتماعية هامة في حياتهم •

واما نظامهم الاقتصادي فيعتمد على الزراعة • ويعمل اغلب افـراد العشيرة في الاراضي التي يسيطر عليها رؤساؤهم وهم أما ملاكـين أو مستأجرين لاراضي الدولة • وقد الغت قوانين الاصلاح الزراعي نظـام الملكية هذا وشرعت بتوزيع الاراضي على الفلاحين • ويميـل الزراع العشائريين الى زراعة الحبوب ولا سيما الشعير ، كما انهم يقتنون عـددا كبيرا من المواشي كالابقار والاغنام ، وهو تقليد مايزالون يتمسكون بـه من حياتهم الرعوية القديمة •

وتتصف مساكنهم بكونها اكواخا صغيرة متفرقة مبنية من الطـين ، وتشاطرهم السكنى حيواناتهم • وبالرغم من مجاورتهم للاكراد والتركمان فقد ظلوا يحتفظون بعاداتهم العربية وبملابسهم التقليدية • (انظر شكل رقم ٣٠) •

---

(١) عباس العزاوي : عشائر العراق ، اهل الارياف ، الجزء (٣) • بغداد ١٩٥٥ ، ص ٢٨٨ •

الجبلية في الشمال والشمال الشرقي والجهات السهلية في الجنوب والجنوب الغربي ، ويبدأ هذا الخط من تلعفر وينتهي عند دلي عباس مارا باربيل وطوزخرماتو وكركوك وكفري ، وبالتالي يفصل بين مجموعتين متميزتين هما المجموعة الكردية الجبلية والمجموعة العربية السهلية ، الا أن ذلك لايعني بان المجموعة التركمانية تتواجد حول هذا الخط فحسب. وقد تكون بعض المدن والمراكز الواقعة على امتداد هذا الخط قد استخدمت بالفعل من قبل الاتراك السلجوقيين او الاتراك العثمانيين كمناطق حاجزة بين الاكراد والعرب ، ولحماية طريق التجارة بين ايران وبغداد والموصل والذي يبدأ عند مدخل السهل الفيضي في الشرق قرب تلال حمرين وينتهي عند مدينة الموصل في الشمال الغربي ، فوطنت فيها حاميات عسكرية تركمانية كانت نواة للسكان الحاليين ، غير ان ذلك وحده لا يمكن ان يفسر تواجد التركمان في مواطنهم الحالية ، وينبغي لنا ان نبحث ايضا عن التفسير في طيات الاحداث التاريخية الاكثر قدما كاستخدام الجنود الاتراك لمساندة الخلفاء العباسيين ، وكالفتوحات التي تعرضت لها المنطقة من قبل الجيوش المغولية في عهد هولاكو وجنكيز خان، وكالامارات السلجوقية التي قامت في المنطقة مثل امارة الاتابكية في الموصل وامارة آل زين الدين في اربيل وامارة بني قفجاق في كركوك والامارة الايواقية في جبل حمرين . كذلك ينبغي لنا أن نبحث عن التفسير في طبيعة الظروف الجغرافية للمنطقة ، فمن المعلوم ان اغلب الموجات التركمانية التي صاحبت جيوش القواد المسلمين كانت تأتي من بلاد خراسان ومن جهات الشمال الشرقي ، فكان من الطبيعي ان تستقر في جهات القطر المجاورة لمناطقهم الاصلية.وكانت افضل منطقة لاستيطانها سهول حمرين وكركوك وامتداداتها في سهول اربيل . فهذه المنطقة تشابه وسهول تركستان الاستبسية من ناحية مناخها ونباتها وطبوغرافيتها . هذا فضلا عن ان المستوطنين الجدد الذين تحولوا من حياتهم العسكرية الى حياة

مدنية واشتغلوا في الزراعة وجدوا في تلك الجهات افضل المناطق ملائمة للاستيطان • فلم يكن في الامكان التوغل في الجهات الشمالية الجبلية ومنافسة الاكراد في اراضيهم المحدودة التي لاتكاد تسد حاجتهم ، كما لم يكن من الممكن التوغل نحو السهول الجنوبية حيث تتجمع العشائر العربية حول ضفاف دجلة وتستغل الاراضي التي تروى سيحا ، فكانت سهول حمرين وكركوك واربيل والموصل ذات الطوبوغرافية المتموجة ، والتي لم يكن من الممكن زراعتها الا بالاعتماد على المطر ، مناطق لايطمع فيها العرب ولا الاكراد •

وهكذا نجد التركمان يتركزون اليوم في محافظة كركوك وبعض القرى المحيطة بها ، ونواحي معينة مثل تازةخورماتو وداقوق والتون كوبرى وليلان وقرهتبة ومركز قضاء (طوز خرماتو) ، ومركز قضاء كفري ، وفي محافظة ديالى ولاسيما في مركز قضاء خانقين ونواحيه السعدية (قزلرباط) وجلولاء (قرهغان) ، وناحية المنصورية من قضاء الخالص ، ومركز قضاء المقدادية (شهربان) ، ومركز قضاء مندلي وناحية قزانية • كذلك يتركز التركمان في مركز محافظة اربيل ، وقضاء تلعفر في محافظة نينوى وبعض القرى المحيطة بمدينة الموصل•ومن الواضح ان جميع هذه المستوطنات تقع ضمن منطقة الهضاب والتلول (المنطقة المتموجة الشبيهة بالجبلية) •

وبما أن التركمان يتألفون من قبائل متعددة هاجرت الى مناطقها الحالية في عهود مختلفة ومن مناطق متفرقة من اواسط آسيا لذلك فقد تعددت اللهجات في لغتهم • الا أن تلك اللهجات المتباينة لاتحول دون التفاهم فيما بينهم بغير صعوبة كبيرة [1] • واهم اللهجات التركمانية في العراق هي :

---

(١) عبداللطيف بندر اوغلو — التركمان في عراق الثورة ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٣٢ •

١ ـ لهجة كركوك وداقوق وما جاورهما .
٢ ـ لهجة تلعفر وما جاورهما .
٣ ـ لهجة اربيل والتون كوبري وما جاورهما .
٤ ـ لهجة كفري وقرهتبة .
٥ ـ لهجة خانقين وقزلرباط وشهربان ومندلي وقرهغان .
٦ ـ لهجة طوزخرماتو وما جاورها .

وتعتبر لهجة كركوك انقاها واقربها الى اللهجتين الاذربيجانية والتركية الحديثة ، مما دعى المثقفين التركمان الى اتخاذها لغة للادب والثقافة التركمانية [1] .

التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للتركمان

ان التنظيم الاجتماعي للتركمان تنظيم عشائري يعتمد اساسا له الأسرة الواسعة . ولذلك فقد تعددت العشائر التركمانية وتميزت بصغر احجامها . ويرتبط التنظيم العشائري التركماني اصلا بالتنظيم الاستبسي المعروف في اواسط آسيا وهو العشيرة الرعوية . ومن المعروف ان العشيرة الرعوية تقوم اساسا على الاسرة البارترياركية الواسعة وتخضع لنظام رئاسي صارم . وما تزال الروابط العائلية في الاسرة التركمانية تحتفظ بالتماسك الشديد المعروف في الاسرة التركية ، وبالولاء والطاعة لرب الاسرة (الاب) ، وباحترام الصغير للكبير . وللمرأة ضمن الاسرة التركمانية القبلية مكانة عالية تفوق مكانة المرأة في التنظيم العشائري العربي . اما الزي التركماني فهو يشابه الزي العربي في المنطقة عدا لباس الرأس . (انظر شكل رقم ٣١) .

وتعتبر الزراعة الحرفة الرئيسية للسكان التركمان ، وهناك اهتمام

---

(١) ابراهيم الداقوقي ـ فنون الادب الشعبي التركماني ـ بغداد ١٩٦٢ ، ص ١٦ .

خاص بزراعة القمح • ولعلنا نجد في ذلك ايضا آثار البيئة الطبيعية الاستبسية التي انحدروا منها والتي يلعب المطر الدور الاساسي فيها • ولذلك فان « الامطار » تكتسب اهمية خاصة في الفولكلور التركماني• فانقطاع الامطار بالنسبة للتركمانيين يعتبر آفة كبيرة ، حتى ان الاعتقاد السائد بينهم يعزي عدم سقوط الامطار الى كثرة وجود الآثام والاجرام بين بني البشر التي تؤدي الى الجفاف [1] •

وهناك دعامة اخرى من دعامات الاقتصاد التركماني تتمثل بالاهتمام بتربية الاغنام ، ويمكن ان يكون ذلك ايضا تقليد موروث عن النظام الرعوي القديم •

العقائد التركمانية :

يدين التركمان عموما بالاسلام • ويذكر احد المصادر بان هناك فئة قليلة منهم تدين بالمسيحية ، وهي تسكن حاليا في كركوك ، وتعتبر من بقايا التركمان المسيحيين الذين دخلوا العراق في عهد المغول [2] • ويتوزع المسلمون التركمان بين المذهب الشيعي والمذهب السني • ويغلب على الذين صاحبوا جيوش الصفويين الى العراق المذهب الشيعي ، بينما يغلب على اولئك الذين صاحبوا الجيوش العثمانية المذهب السني •

الشبك

وهناك مجموعات اتنوغرافية اخرى قد تمت بصلة قوية للمجموعة التركمانية ، ومنها الشبك [3] • ولا يمكننا الجزم بتبعية الشبك الاثنولوجية ، ويحتاج الامر الى دراسة لغتهم واعرافهم وتقاليدهم دراسة دقيقة للتوصل الى الحقيقة • ولعلهم مجموعة أتنوغرافية أكثر من كونهم مجموعة أتنولوجية ،

---

(١) بندر اوغلو ، ص ٩٨ـ١٠٠

(٢) الضابط ، ص ٩٨ •

(٣) للدراسة المفصلة راجع : « الشبك » لاحمد حامد الصراف ، بغداد ١٩٥٤ •

أي انهم يشتركون في معتقدات وتقاليد وعادات مشتركة، ولكنهم قد ينتمون الى عدة مجموعات عرقية • ويظهر هذا الانقسام في الرأي بين الشبك انفسهم حول تبعيتهم للمجموعة الكردية او للمجموعة التركمانية • فالبعض من الشبكيين يؤكدون بانهم اكرادا أقحاح وانهم نزحوا من الاطراف الجنوبية لايران وانهم ينتمون الى قبيلة شبانكاره • كذلك يدعون بأن لغتهم هي لغة كردية اساسا وقد اختلطت بها بعض الكلمات التركية والفارسية والعربية ، وهي تابعة للهجة الكورانية التي يتحدث بها عشائر هوراماني وباجلان والللك وروزبياني وبالاني وجباري وقره اولوس [1] • ويؤيد ادعاؤهم هذا عدد من الباحثين امثال مينورسكي Minorisky [2] ولوك Luke [3] ومحمد امين زكي[4] والاب الكرملي[5] • وهناك عدد آخر من الباحثين يميلون الى اعتبارهم من المجموعة التركمانية او من بقايا الجيش المغولي الذي اجتاح المنطقة ، ويسوقون ادلة متعددة على انتمائهم الى المجموعة التركمانية • وهم يدعون ان لغتهم ، وان كانت خليطا من التركمانية والكردية والفارسية ، الا ان التركية هي الغالبة عليها • كذلك يزعمون أن بعض عاداتهم وتقاليدهم تنم عن ارتباطهم بالبكتاشية مما يؤكد تركمانيتهم[6] • ويقول الصراف في ذلك : (وقد ظهر لي من التتبع والتنقيب ان عقيدة الشبك عقيدة بكداشية قزلباشية مع وجود فرق يسير ،

---

(١) أنظر جريدة التآخي العدد ١٣٢٨ ، والعدد ١٣٤٥ (مايس ١٩٧٣)•

(٢) الانسكلوبيديا الاسلامية (بالانجليزية) ـ الشبك •

(٣) Luky, Harry charles, Mosul and its minorities, London 1925, P. 14

(٤) محمد امين زكي ، تاريخ الكرد و كردستان ، ترجمة محمد علي عوني القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٣١ •

(٥) الاب انستاس ماري الكرملي ـ تفكهه الاذهان في تعريف ثلاثة اديان ـ مجلة المشرق العدد ٥ سنة ١٩٠٢ •

(٦) الدكتور كامل مصطفى الشيبي ـ الطريقة الصوفية وروافدها في العراق المعاصر ـ بغداد ١٩٦٧ ، ص ٤٨ـ٥٠ •

فعوائد الشبك واوابدهم تكاد تكون بكطاشية محضة ، وآدابهم في الطريقة وسلوكهم في التصرف وشيوخهم جميعهم قزلباشية حاضنة الصفوية التي تأسست في اردبيل)[1] • هذا فضلا عن ان اسم (الشبك) قد ورد في مصادر تاريخية عديدة باعتباره يمثل احدى القبائل التركمانية •

وتعتبر عقيدة « الشبك » احدى العقائد الاسلامية الغالية ، والتي تتمركز حول تقديس الامام علي واحفاده • وبطبيعة هذا النوع من العقائد فانها تحيط نفسها بالغموض نظرا لتعرض اتباعها للاضطهاد في مختلف مراحل التاريخ • وهذه السرية سببا في الصاق بعض التهم في العقيدة الشبكية قد تكون براء منها • فقد ذكر بعض الكتاب ان الشبكيين لايصومون رمضان بل يصومون العشرة الاولى من محرم ، وأنهم لايؤدون الصلوات الخمس ، ولايمتنعون عن شرب الكحول[2] • وذكر آخرون انهم يمارسون بعض تعاليم الديانة المسيحية مثل الاحتفال بالعام الجديد ونشدان الغفران عن طريق الاعتراف للبيرات • غير ان بعض الشبك ينفون هذه المعلومات • وهم يزعمون بأن ديانتهم اسلامية بحتة وليس فيها غموض ، وان منهم السنة والشيعة ، وهم يؤدون الفرائض الاسلامية من صوم وصلاة وحج ، ويمتنعون عن شرب الخمور • كما انهم لايمارسون أية تعاليم مسيحية • كذلك ينفون ان يكون هناك تحريم ديني بينهم لقص الشوارب واللحى [3] • ويذكر الباحثون ان للشبك كتابا يتخذ منزلة التقديس هو كتاب (المناقب) ويسمونه (البوريوروق) او (البرخ) ، وهذا الكتاب يحض على التقوى وصنع الخير والتمسك بالولاء لآل

---

(١) الصراف ، ص ٤٥

(٢) عبد المنعم الغلامي – بقايا الفرق الباطنية فى لواء الموصل ، بغداد ١٩٥٠ ص ٣٢ •

(٣) التآخي العدد ١٣٢٨ (مايس ١٩٧٣) والعدد ١٣٤٥ (مايس ١٩٧٣) •

البيت ، وفيه اوامر وارشادات وادعية وصلوات وتفضيل للمقامات في التصوف [1] .

وعلى اية حال فالذي لاشك فيه ان معتقدات الشبك قد تأثرت تأثرا كبيرا بالاقوام المجاورة لها ولا سيما الباجلان والصارليين (الكاكائيين) واليزيديين والمسيحيين ، ولعل هذا التأثر هو المسؤول عن دخول كثير من التعاليم والممارسات والمعتقدات على دياناتهم الاصلية . وقد ساعد على ذلك طبيعة المنطقة الوعرة وسيادة الجهل والامية وتحكم رجال الدين والرؤساء .

ويحترف الشبك الزراعة ، ويتجمعون في القرى الواقعة ضمن منطقة تمتد حدودها من نهر الخازر شرقا الى قضاء تلكيف غربا ، ومن قضاء الشيخان (ناحية عين سفني) شمالا حتى قضاء الموصل جنوبا . ومعظم القرى الشبكية تابعة من الناحية الادارية لقضاء الحمدانية (قره‌قوش) وقضاء تلكيف . وقد استحدثت مؤخراً ناحية بازوايا لترتبط بها قرى الشبك اداريا ، وهي اساسا قرية شبكية كبيرة . ويقدر عددهم بحوالي عشرين الف نسمة ، وهناك من يقدرهم باكثر من هذا العدد .

(١) الشيبي ، ص ٥٣ .